

مكتبة دار المعرفة - الرياض

# المحامين والاصدقاء

تأليف

أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ البصري

إمام أهل الأدب المتوفى سنة ٢٥٥ هـ

دار مكتبة العرفان

PJ

7745

J3M3

702505

22.5.59

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### وبه الاعانة

الحمد لله رب العالمين . وصلى الله على رسوله سيدنا محمد وآله أجمعين .

قال أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ رحمه الله : اني ربما ألفت الكتاب المحكم المتقن في الدين والفقه والرسائل والسيرة والخطب والخراج والاحكام وسائر فنون الحكمة وأنسبه الى نفسي ، فيتواطأ على الطعن فيه جماعة من أهل العلم بالحسد المركب فيهم وهم يعرفون براعته ونصاحته ، وأكثر ما يكون هذا منهم اذا كان الكتاب مؤلفاً لملك معه القدرة على التقديم والتأخير والخط والرفع والترميم والترغيب فانهم يحتاجون عند ذلك احتياج الابل المغتلمة ، فان أمكنتهم الحيلة في اسقاط ذلك الكتاب عند السيد الذي ألف له فهو الذي قصدوه وأرادوه وان كان السيد المؤلف فيه الكتاب نحريراً تقاباً وتقريباً بليغاً وحاذقاً فطنا وأعجزتهم الحيلة سرقوا معاني ذلك الكتاب والفوا من أعراضه وحواشيه كتاباً وأهدوه الى ملك آخر وامتوا اليه به وهم قد ذموه وتلبوه لما رأوه منسوباً الي وموصوماً بي . وربما ألفت الكتاب الذي هو دونه في معانيه وألفاظه فأترجمه باسم غيره وأحيله على من تقدمني عصره مثل ابن المقفع والخليل وسلم صاحب بيت الحكمة وبجيب بن خالد والعتابي ومن أشبه هؤلاء من مؤلفي الكتب فيأنيبهم أولئك القوم بأعيانهم الطاعنون على الكتاب الذي كان أحكم من

هذا الكتاب لاستنساخ هذا الكتاب وقراءته علي ويكتبونه بخطوطهم ويصيرونه إماما يقتدون به وينتدرونه بينهم ويتأدبون به ويستعملون ألفاظه ومعانيه في كتبهم وخطاباتهم ويروونه عن غيرهم من طلاب ذلك الجنس فتثبت لهم به رياسة يأتم بهم هم فيه ، لأنه لم يترجم باسمي ولم ينسب الي تأليفي . وهذا كتاب وصيته ( بالمحاسن والاضداد ) لم أسبق الي تحلته ولم يسألني أحد صنعه ابتداءً بذكر محسن الكتابة والكتب وخصمته في ذكر شيء من محاسن الموت والله يكلموه من حامد اذا حمد

## ١ - محاسن الكتابة والكتب

كانت العجم تقيم مآثرها بالبنيان والمدن والحصون مثل بناء أزدشير وبناء اصطخر وبناء المدائن والدير والمدن والحصون ، ثم إن العرب شاركت العجم في البنيان وتفردت بالكتب والأخبار والشعر والآثار ، فلها من البنيان غمدان وكعبة نجران وقصر مأرب وقصر مارد وقصر شعوب والأبلىق الفرد وغير ذلك من البنيان ، وتصنيف الكتب أشد تقييدا للمآثر على سائر الأيام والدهور من البنيان ، لان البناء لا محالة يدرس وتعفى رسمه والكتاب باق يقع من قرن الى قرن ومن أمة الى أمة وهو أبداً جديد والناظر فيه مستفيد وهو أبلغ في تحصيل المآثر من البنيان والتصاوير . وكانت العجم تجعل الكتاب في الصخور ونقشا في الحجارة وخلقة مركبة في البنيان ، فربما كان الكتاب هو الثاني وربما كان هو المحفور اذا كان ذلك تاريخياً لامر جسيم أو عهداً لامر عظيم أو موعظة يرتجى نفعها أو احياء شرف يريدون تخليد ذكره كما كتبوا على قبة غمدان وعلى باب الفيروان وعلى باب سمرقند وعلى عمود مأرب وعلى ركن المشقر وعلى الابلىق الفرد وعلى باب الرها . يعمدون الى المواضع المشهورة والاماكن المذكورة

فيضعون الحُط في أبعاد المواضع من الدثور وأمنعها من الدروس وأجدر أن يراه من مر به ولا ينسى على وجه الدهور . ولولا الحكم المحفوظة والكتب المدونة لبطل أكثر العلم وانعاب سلطان النسيان سلطان الذكر ، ولما كان للناس مفزع إلى موضع استذكار ولو لم يتم ذلك لحرمنا أكثر النفع ، ولولا ما رسمت لنا الاوائ في كتبها ، وخدت من عجيب حكمتها ، ودونت من أنواع سيرها حتى شاهدنا بها ما غاب عنا وفتحنا بها كل مستعلق فجمعنا إلى قليلنا كثيرهم وأدر كنا ما لم نكن ندركه إلا بهم لقد نجس حظنا منه وأهل العلم والنظر وأصحاب المكر والعبر والعلماء بخارج الملل وأرباب النحل وورثة الانبياء وأعوان الخلفاء يكتبون كتب الظرفاء والصلحاء وكتب الملاهي وكتب أعوان الصلحاء وكتب أصحاب المراء والخصومات وكتب السخفاء وحمية الجامعية ، ومنهم من يفرط في العلم أيام خموله وتترك ذكره وحدائه منه ، ولولا جياذ الكتب وحسانها لما تحركت همم هؤلاء لطلب العلم ونزعت إلى حب الكتب وألفت من حال الجهل وان يكونوا في غمار الوحش ولدخل عليهم من الضرر والمشقة وسوء الحال ما عسى أن يكون لا يمكن الاخبار عن مقداره إلا بالكلام الكثير ، وسمعت محمد بن الجهم يقول إذا غشيتي النعاس في غير وقت النوم تناوت كتابا فاجد اهتزازي للفوائد الاربجية التي تعتريني من مرور الاستنباه وعز التبين أشد إيقاظا من نهيق الحمار وهدة الهدم فاني اذا استعسنت كتابا واستجدته ورجوت فائدته لم أوثر عليه عوضا ولم أبع به بدلا فلا أزال أنظر فيه ساعة بعد ساعة كم بقي من ورقه مخافة استنقاده وانقطاع المادة من قبله . وقال ابن داحة كان عبدالله بن عبد العزيز بن عبدالله بن عمر بن الخطاب لا يجالس الناس فنزل مقبرة من المقابر وكأث لا يزال في يده كتاب يقرؤه فسئل عن ذلك فقال لم أر أوعظ من قبر ولا آنس من كتاب ولا أسلم من الوحدة . وأهدى بعض الكتاب إلى صديق له دفترا وكتب معه : هديتي هذه أعزك الله تزكو على الانفاق

وتربو على الكد لا تفسدها العواري ولا تخلقها كثرة التقلب وهي إنس في الليل والنهار والسفر والحضر تصاح للدنيا والآخرة تؤنس في الخلو وتمنع من الوحدة مسامر مساعد ومحدث مطواع ونديم صدق ، وقال بعض الحكماء الكتب بساتين العلماء ، وقال آخر . الكتاب جليس لا مؤنة له ، وقال آخر : الكتاب جليس بلا مؤنة ، وقال آخر : ذهبت المكارم إلا من الكتب .

قال الجاحظ : وأنا أحفظ وأقول : الكتاب نعم الذخر والعقيدة والجليس والعمدة ونعم النشرة ونعم النزهة ونعم المشتغل والحرفة ونعم الأنيس ساعة الوحدة ونعم المعرفة ببلاد العربية ونعم القرين والدخيل والزميل ونعم الوزير والنزل . والكتاب وعاء مليء علما وظرف حشى ظرفا واناة شعن مزاحا إن شئت كان أعيان من باقل ، وإن شئت كان أبلغ من سحبان وائل ، وإن شئت سرتك نوادره وشجتك مواعظه ومن لك بواعظ ماله وبنامك فانك وناطق أخرس ، ومن لك بطبيب اعرايي ورومي هندي وفارسي يوناني ونديم مولد ونجيب بمتع ، ومن لك بشيء يجمع الأول والآخر والناقص والوافر والشاهد والغائب والرنيع والوضيع والفت والسمين والشكل وخلافه والجنس وضده . وبعد فما رأيت بستانا يحمل في ردن وروضة تنقل في حجر ينطق عن الموتى ويترجم عن الأحياء ، ومن لك بمؤنس لا ينام الا بنومك ولا ينطق إلا بما تهوى آمن من الأرض وأكنم للسر من صاحب السر وأحفظ للوديعة من أرباب الوديعة ولا أعلم جاراً آمن ولا خليطاً أنصف ولا رفيقاً أطوع ولا معلماً أخضع ولا صاحباً أظهر كفاية وعناية ولا أقل إملا لا ولا ابراما ولا أبعد من وراء ولا أتوك لشغب ولا أزهد في جدال ولا أكف عن قتال من كتاب ، ولا أعم بياناً ولا أحسن مؤاناة ولا أعجل مكافأة ولا شجرة أطول عمرا ولا أطيب ثمرا ولا أقرب مجتمى ولا أسرع إدراكا ولا أوجد في كل إبان من

كتاب ، ولا أعلم نتاجا في حداثة سنه وقرب ميلاده ورخص ثمنه وإمكان وجوده يجمع من السير العجيبة والعلوم الغريبة وآثار العقول الصحيحة ومحمود الأذهان اللطيفة ومن الحكم الرفيعة والمذاهب القديمة والتجارب الحكيمة والاختبار عن القرون الماضية والبلاد النازحة والأمثال السائرة والأمم البائدة ما يجمعه كتاب . ومن لك بزائر إن شئت كانت زيارته غبا وورده خمسا وإن شئت لزمتك لزوم ظلمك وكان منك كبعضك . والكتاب هو الجليس الذي لا يطربك والصديق الذي لا يقلبك والرفيق الذي لا يملك والمستمع الذي لا يستزبدك والجار الذي لا يستبطنك والصاحب الذي لا يريد استخراج ما عندك بالملق ولا يعاملك بالماكر ولا يخدعك بالنفاق . والكتاب هو الذي إن نظرت فيه أطال امتاعك وشهد طبعك وبسط لسانك وجود بيانك وفخم أفاظك وبجح نفسك وعمر صدرك ومنحك تعظيم العوام وصدافة الملوك يطبعك بالليل طاعته بالنهار وفي السفر طاعته في الحضر وهو المعلم إن افتقرت إليه لم يحقرك وإن قطعت عنه المادة لم يقطع عنك الفائدة وإن عزلت لم يدع طاعتك وإن هبت ريح أعدائك لم ينقلب عليك ومتى كنت متعلقا منه نادى حبل لم تضطرك معه وحشة الوحدة الى جليس السوء وإن أمثل ما يقطع به الفراغ نهارهم وأصحاب الكفايات ساعات ليلهم نظر في كتاب لا يزال لهم فيه ازدياد في تجربة وعقل ومروءة وصون عرض وإصلاح دين وتشير مال ورب صنيعه وابتداء إنعام . ولو لم يكن من فضله عليك وإحسانه اليك الا منعه لك من الجلوس على بابك والنظر الى المارة بك مع ما في ذلك من التعرض للحقوق التي تلزم ومن فضول النظر وملابسة صغار الناس ومن حضور الفاظهم الساقطة ومعانيهم الفاسدة وأخلاقهم الرديئة وجهالتهم المذمومة لكان في ذلك السلامة والغنمية واحراز الأصل مع استفادة الفرع ولو لم يكن في ذلك الا أنه يشغلك عن سخر المنى واعتياد الراحة وعن اللعب وكل ما تشتهيه لقد كان له في ذلك على صاحبه أصبغ النعم وأعظم المنة . وجملة الكتاب وإن كثر ورقه فليس بما

علم لأنه وإن كان كتاباً واحداً فإنه كتب كثيرة في خطابه والعلم  
بالشريعة والأحكام والمعرفة بالسياسة والتدبير ، وقال مصعب بن الزبير :  
إن الناس يتحدثون بأحسن ما يحفظون ويحفظون أحسن ما يكتبون  
ويكتبون أحسن ما يسمعون ، فإذا أخذت الأدب فخذها من أفواه الرجال  
فإنك لا ترى ولا تسمع إلا مختاراً ولؤلؤاً منظوماً ، وقال لقمان لابنه :  
يا بني ناس في طلب العلم فإنه ميراث غير مسلوب ، وقرين غير مغلوب ،  
ونفيس حظ من الناس وفي الناس مطلوب ، وقال الزهري : الأدب ذكر  
لا يحبه إلا الذكور من الرجال ولا يبغضه إلا مؤنثهم ، وقال : إذا  
سمعت أدباً فاكتبه ولو في حائط ، وقال منصور بن المهدي للمأمون :  
أحسن بنا طلب العلم والأدب قال : والله لأن أموت طالبا للأدب خير لي  
من أن أعيش قائماً بالجهل قال : فإلى متى يحسن بي ذلك قال : ما  
حسنت الحياة بك .

### ( ضده )

الحديث المرفوع ( رحم الله عبداً أصلح من لسانه ) . وكان الوليد بن عبد  
الملك لجنة فدخل عليه اعرابي يوماً فقال : أنصفتي من خنتي يا أمير المؤمنين  
فقال ومن خنتك ؟ قال رجل من الحي لا أعرف اسمه فقال عمر بن عبد  
العزيز : إن أمير المؤمنين يقول لك من خنتك ؟ فقال هو ذا بالباب فقال  
الوليد لعمر ما هذا ؟ قال النحو الذي كنت أخبرتك عنه ، قال لا جرم  
فإني لا أصلي بالناس حتى أتعلمه ، قال وسمع اعرابي مؤذناً يقول : أشهد  
أن محمداً رسول الله فقال يفعل ماذا ؟ قال وقال رجل لزياد : أيها  
الأمير إن أبينا ملك وإن أخينا غصبنا على ميراثنا من أبانا فقال زياد  
ما ضيقت من نفسك أكثر مما ضاع من ميراث أبيك فلا رحم الله أباك  
حيث ترك أبنا مثلك . وقال مولى لزياد : أيها الأمير أخذوا لنا همار



وهش ، فقال : ما تقول ، فقال : أخذوا لنا إبراً ، فقال زياد الاول  
خير من الثاني . قال واختصم رجلان الى عمر بن عبد العزيز فجعلوا يلحزان  
فقال الحاجب : قها فقد أوديتما أمير المؤمنين ، فقال عمر للحاجب : أنت  
والله أشد إزاء منها . ، قال وقال بشر المريسي وكان كثير اللحن :  
قضى لكم الأمير على أحسن الوجوه وأهنؤها ، فقال القاسم التمار : هذا  
على قواه

إِنَّ سُلَيْمِيَّ وَاللَّهِ يَكَلِّمُهَا صَنَعْتُ بِشَيْءٍ مَا كَانَ يَرْزُؤُهَا

فكان احتجاج القاسم أطيب من لحن بشر ، قال وكان زياد النبطي  
شديد اللكنة وكان نحوياً فدعا غلامه ثلاثاً لما أجابه قال . من لدن داؤنك  
الى أن ديتني ما كنت تصناً ، يريد دعوتك وجئتني وتصنع ، ومر ماسرجويه  
الطيب بعماد بن مسلم فقال : يا ماسرجويه اني لاجد في حلقي بجحا  
قال هو من عمل بلغم . فلما جاوزه قال : تراني لا أحسن أن أقول بلغم  
ولكنه قال بالعربية فأجبت بضعها .

## ٢ - محاسن المخاطبات

حكوا عن ابن القرية ، انه دخل على عبد الملك بن مروان فبينما هو عنده  
إذ دخل بنو عبد الملك عليه فقال : من هؤلاء الفتية يا أمير المؤمنين ؟ قال :  
ولد أمير المؤمنين ، قال : بارك الله لك فيهم كما بارك لابيك بك وبارك  
لهم فيك كما بارك لك في أبيك ، قال : وشحن فاه درأ ، قال وقال  
عمارة بن حمزة لابي العباس وقد أمر له بجوهر نفيس : وصلك الله يا  
أمير المؤمنين وبرك فوالله لئن أردنا شكرك على انعامك ليقصرن شكرنا

عن نعمتك كما قصر الله بنا عن منزلتك . قيل ودخل اسحاق بن ابراهيم  
الموصلي على الرشيد فقال : مالك ؟ قال :

سوامي سوامُ المُكثِرِينَ تَجَمُّلاً  
ومالي كما قد تعلمين قليلُ  
وأمرّة بالبُخلِ قلتُ لها أقصري  
فذاك شيءٌ ما إليه سبيلُ  
وكيف أخافُ الفقراً أو أحرَمُ الغني  
ورأيُ أميرِ المؤمنينَ جميلُ  
أرى الناسَ مُخلانَ الجوادِ ولا أرى  
تجيباً له في العالمينَ خليلُ

فقال الرشيد : هذا والله الشعر الذي صحت معانيه وقويت أركانه  
ومبانيه ولد على أفواه القائلين وأسماع السامعين يا غلام احمل اليه خمسين  
الف درهم ، قال اسحاق يا أمير المؤمنين كيف أقبل صلتك وقد مدحت  
شعري بأكثر مما مدحتك به ؟ قال الاصمعي : فعلت انه أصيد للدرهم  
مني . قال ودخل المأمون ذات يوم الديوان فنظر الى غلام جميل على أذنه  
قلم فقال : من أنت ؟ قال : أنا الناشء في دولتك المنقلب في نعمتك  
المؤمل لخدمتك الحسن بن رجاء ، فقال المأمون : بالاحسان في البديهة  
تفاضل العقول يرفع عن مرتبة الديوان الى مراتب الخاصة ويعطى مائة  
الف درهم تقوية له ، قال : ووصف يحيى بن خالد الفضل بن سهل وهو  
غلام على المجوسية للرشيد وذكر أدبه وحسن معرفته فعمل على ضمه الى

المأمون فقال ليحيى يوماً أدخل الى هذا الغلام المجوسي حتى أنظر اليه  
 فأوصله فلما مثل بين يديه ووقف تحير فأراد الكلام فارتج عليه فأدركته  
 كبوة فنظر الرشيد الى يحيى نظرة منكرة لما كان تقدم من تقريظه اياه  
 فانبعث الفضل بن سهل فقال : يا أمير المؤمنين ان من أبين الدلائل على  
 فراهة المملوك شدة افراط هيبته لسيده فقال له الرشيد : أحسنت والله لئن  
 كان سكرتك لتقول هذا انه لحسن ولئن كان شيئاً أدركك عند انقطاعك  
 انه لأحسن وأحسن ثم جهل لا يسأله عن شيء الا رآه فيه مقدماً فضمه  
 الى المأمون ، قال : وقال الفضل بن سهل المأمون وقد سأله حاجة لبعض  
 أهل بيوتات دهاقين سمرقند كان وعده تعجيل انفاذها فتأخر ذلك : هب  
 لوعدك مذكراً من نفسك وهنيء سائلك حلوة نعمتك واجعل مياك الى ذلك  
 في الكرم حثاً على اصطفاء شكر الطالبين تشهد لك القلوب بمقائيق الكرم  
 والالسن بنهاية الجود ، فقال : قد جعلت اليك اجابة سؤالني بما ترى  
 فيهم وآخذك في التقصير فيما يلزم لهم من غير استئثار أو معاودة في اخراج  
 الصكك من أحضر الاموال متناولاً قال اذا لا تجدي معرفتي بما يجب لامير  
 المؤمنين انشاء به بما يديم له منهم حسن الشاء ويستمد بدعائهم طول البقاء .  
 وقال الفضل بن سهل المأمون . يا أمير المؤمنين اجعل نعمتك صائفة لوجوه  
 خدمك عن اراقة مائها في غضاضة السؤال فقال والله لا كان ذلك الا كذلك .  
 قال ودخل العتابي على المأمون فقال : خبرت بوفانك فغممني ثم جاءني  
 وفادتك فسرتني فقال يا أمير المؤمنين كيف أمدحك أم بماذا أصفك ولادتك  
 الابك ولا دنيا الا معك ؟ قال سئني ما بدا لك قال يداك بالعطية أطلق من لساني  
 بالمسالة . قال وقدم السعدي ابو وجزة على المهلب بن ابي صفرة فقال : أصالح الله  
 الامير اني قد قطعت اليك الدهناء وضربت اليك آباط الابل من يشرب قال  
 فهل أتيتنا بوسيلة أو عشرة أو قرابة ؟ قال لا ولكني رأيتك لحاجتي أهلاً فان  
 قمت بها فأهل ذلك وان يحل دونها حائل لم اذمم يومك ولم أياس من  
 غدك فقال المهلب يعطى ما في بيت المال فوجد مائة ألف درهم فدفعت

إليه فآخذها وقال :

يَا مَنْ عَلَى الْجُودِ صَاحَ اللَّهُ رَاحَتَهُ  
فَلَيْسَ نَحْسِنُ غَيْرَ الْبَدَلِ وَالْجُودِ  
عَمَّتْ عَطَايَاكَ مَنْ بِالشَّرْقِ قَاطِبَةٌ  
فَأَنْتَ وَالْجُودُ مَنَحَوْتَانِ مِنْ عَوْدِ

وقد يجب على العاقل الراغب في الادب أن يحفظ هذه المخاطبات ويدرس قراءتها ، وقد قال الأصمعي :

أما لو أعي كل ما أسمع	وأحفظ من ذلك ما أنجمع
ولم أستفيد غير ما قد جمعت	أقبل أنا العالم المتقنع
ولكن نفسي إلى كل شيء	من العلم تسمعه تنزع
فلا أنا أحفظ ما قد جمعت	ولا أنا من جمعه أشبع
وأقعد للجهل في مجلس	وعلمي في الكتب مستودع
ومن بك في عليه هكذا	يكن دهره القهقري مدجع
يضيع من المال ما قد جمعت	وعلمك في الكتب مستودع
إذا لم تكن حافظاً واعياً	فجمعك للكتب ما ينفع

وقال بعضهم : الحفظ مع الافلال أمكن وهو مع الاكثار أبعد  
وتغيير الطابع زمن رطوبة العفن أقبل ، وفيها قال الشاعر :

أتاني هواها قبل أن أعرف الهوى  
فصادف قلباً خالياً فتمكنا

وقيل : العلم في الصغر كالتفش في الحجر والعلم في الكبر كالعلامة على المدر .. فسمع ذلك الاحنف فقال الكبير أكثر عقلاً ولكنه أكثر شغلاً كما قال :

وإِنْ مَسَّنْ أَدْبَتَهُ فِي الصَّبِيِّ      كَالْعُودِ يُسْقَى الْمَاءَ فِي غَرَسِهِ  
جَتَّى تَرَاهُ مَوْرِقًا نَاضِرًا      بَعْدَ الَّذِي أَبْصَرْتَ مِنْ يُدْسِهِ

والصبي عن الصبي أهم وهو له آلف ، واليه أنزع . وكذلك العالم عن العالم والجاهل عن الجاهل ، وقال الله تعالى ( ولو جعلناه ملكاً لجعلناه رجلاً ) لان الانسان عن الانسان أهم وطبائه بطبائه آتى

( ضده )

قال : دخل أبو علقمة النخعي على أمين الطبيب فقال : اني اكلت من لحوم الجوازيء وطسئت طسأة فأصابني وجع بين اللواية إلى داية العنق فلم يزل يربو وينمو حتى خالط الشراسيف من عندك دواء ؟ قال نعم خذ خوفقا وسربقا وقرقفا فاعسه واشربه بناء فقال لا أدري ما تقول فقال ولا أنا دريت ما قلت . قال وقال وما آخر لي أجسد . معمة في قلبي وقرقرة في صدري فقال له أما المعمة فلا أعرفها وأما القرقرة فهي ضراط غير نضيج . قال وأتى رجل الهيثم بن العريان بغيره له قد مضله حقه فقال أصلح الله الأمير ان لي علي هذا حقا قد غلبني عليه فقال له الآخر

أصلحك الله ان هذا باعني عنجدا واستنسانه حولا وشرطت عليه أن أعطيه مياومة فهو لا يلقاني في لقم الا اقتضاني ذهابا فقال له الهيثم أمن بني أمية أنت ؟ قال لا قال أمن بني هاشم أنت ؟ قال لا قال أمن أكفائهم من العرب ؟ قال لا قال ويلي عليك أنزعوا ثيابه فلما أرادوا أن ينزعوا ثيابه قال أصلحك الله ان إزاري مرعبل قال دعوه فلو ترك الغريب في موضع لتركه في هذا الموضع . قال ومر أبو عاقمة ببعض الطرق فهاجت به مرة فوثب عليه قوم فعملوا بعصرون إيهامه ثم يؤذنون في أذنه فأفلت من أيديهم فقال ما لكم تتكأ كأون على تكأ كؤمك على ذي جنة افرنقوا عني فقال رجل منهم دعوه فان شيطانه يتكلم بالهندية . قال وقال لحجام يحججه اشدد قصب الملازم وارهدف ظبة المشارط وخفف الوضع وعجل النزاع وليكن شرطك وخزا ومصك نهزا ولا تكرهن أيبا ولا تودن أتيا فوضع الحجام محاجمه في جوثته وانصرف .

### ٣ - محاسن المكاتبات

قال كعب العبسي لعروة بن الزبير . . قد أذنبت ذنبا الى الوليد بن عبد الملك وليس يزيل غضبه شيء فاكتب لي اليه فكتب اليه . لو لم يكن لكعب من قديم حرمة ما يغفر له عظيم جريوته لوجب أن لا تحرمه التفيؤ بظن عفوك الذي تأمله القلوب ولا تعلق به الذنوب وقد استشفع بي اليك فوثقت له منك بعفو لا يخالطه سخط فحقق أمه وصدق ثقتي بك تجد الشكر وافيا بالنعمة . فكتب اليه الوليد . . قد شكرت رغبته اليك وعفوت عنه لموله عليك وله عندي ما يحب فلا تقطع كتبك عني في أمثاله وفي مائر أمورك . وكتب عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر الى بعض اخوانه . أما بعد فقد هانني الشك عن عزيمة الرأي ابتدائي بلطيف

من غير خبرة ثم أعقبني جفاء من غير ذنب فاطمعي أولك في احسانك  
وأيا سني آخرك من وفائك فلا أنا في غير الرجاء مجمع لك اطراحا ولا في  
غد أنتظره منك على ثقة فسبحان من لو شاء كشف إيضاح الرأي فيك  
فأقمنا على ائتلاف أو افترقنا على اختلاف . قال وسخط مسلة بن عبد الملك  
على العريان بن الهيثم فعزله عن شرطة الكوفة فشكا ذلك الى عمر بن عبد  
العزيز فكتب اليه : ان من حفظ أنعم الله رعاية ذوي الاسنان ومن اظهار  
شكر الموهوب صفح القادر عن الذنب ومن تهاجم السودد حفظ الودائع  
واستتاهم الصنائع وقد كنت أودعت العريان نعمة من أنعمك فسلبتها عجلة  
سخطك وما أنصفته غضبه ، على أن وليته ثم عزلته وخليته وأنا شفيعه  
فاحب أن تجعل له من قلبك نصيبه ولا تخرجه من حسن رأيك فتضيع ما  
أودعته وتتوى (١) ما أفسدته : فعفا عنه وردده الى عمله : قال وغضب  
سليمان بن عبد الملك على ابن عميد مولاه فشكا الى سعيد بن المسيب ذلك  
فكتب اليه : أما بعد فان أمير المؤمنين في الموضع الذي يرتفع قدره مما  
تقتضيه رعيته وفي عفو أمير المؤمنين سعة للمسيبين : فرضي عنه . قال وطلب  
العتابي من رجل حاجة فقصى له بعضها ومطله ببعض فكتب اليه : أما  
بعد فقد تركتني منتظراً لوعدك منتجزاً لوفدك وصاحب الحاجة محتاج  
الى نعم هنيئة أو لا مريحة والعذر الجميل أحسن من المثل الطويل . وقد  
قلت بيتي شعر :

بَسَطْتَ لِسَانِي مِمَّ أَوْثَقْتَ نِصْفَهُ

فَنِصْفُ لِسَانِي بِأَمْتِدَاحِكَ مُطْلَقٌ

فَإِنَّ أَنْتَ لَمْ تُنْجِزْ عِدَاتِي تَرَكَتَنِي

وَبَاقِي لِسَانِ الشُّكْرِ بِالْيَأْسِ مَوْثِقٌ

قال : وكتب عمرو بن مسعدة إلى المأمون في رجل من بني ضبة  
يستشفع له بالزيادة في منزلته وجعل كتابه تعريضاً : أما بعد فقد استشفع  
بي فلان يا أمير المؤمنين لتطورك علي في إلحاقه بنظرائه من الخاصة فيما  
يرتقون به وأعلمته أن أمير المؤمنين لم يجعلني في مراتب المستشفعين وفي  
ابتدائه بذلك تعدى طاعته والسلام . فكتب إليه المأمون قد عرفنا تصرفك  
له وتعريضك لنفسك وأجبتك اليها ووقفناك عليها : قال وكتب عمرو  
ابن مسعدة إلى المأمون كتاباً يستعطفه على الجند : كتابي إلى أمير المؤمنين  
ومن قبلي من أجناده وقواده في الطاعة والانقياد على أحسن ما تكون عليه  
طاعة جند تأخرت أرزاقهم واختلت أحوالهم ، فقال المأمون : والله لأقضين  
حق هذا الكلام وأمر بإعطائهم لشهانية أشهر . قال وقدم رجل من أبناء  
دهاقين قريش على المأمون لعدة سلفت منه فطال على الرجل انتظار خروج  
أمر المأمون فقال لعمرو بن مسعدة توصل في رقعة مني إلى أمير المؤمنين  
تكون أنت الذي نكتبها تكون لك على نعمتان فكتب : ان رأي أمير  
المؤمنين أن يفك أسر عبده من ربة المطل بقضاء حاجته ويأذن له في  
الانصراف إلى بلده فعل إن شاء الله ، فلما قرأ المأمون الرقعة دعا عمراً  
فجعل يعجبه من حسن لفظها وإيجاز المراد فقال عمرو فما تبيحتها يا أمير  
المؤمنين قال الكتاب له في هذا الوقت بما وعدناه لئلا يتأخر فضل استعصاننا  
كلامه وبجائزة مائة ألف درهم صلة عن دناءة المطل وسماجة الاغفال ففعل  
ذلك له . وحدثنا اسماعيل بن أبي شاعر قال : لما أصاب أهل مكة السيل  
الذي شارف الحجر ومات تحته خلق كثير كتب عبيد الله بن الحسن  
العلوي وهو والي الحرمين إلى المأمون : ان أهل حرم الله وجيران بيته  
وألاف مسجده وعمرة بلاده قد استجاروا بهز معروفك من سيل تراكمت  
أخرياته في هدم البيتان وقتل الرجال والنسوان واجتياح الاصول وجرف  
الابقال حتى ما ترك طارفاً ولا تالداً للراجع اليهما في مطعم ولا ملبس فقد  
شغلهم طلب الغذاء عن الاستراحة إلى البكاء على الامهات والاولاد والآباء



والاجداد فأجرهم يا أمير المؤمنين بمطقتك عليهم واحسانك اليهم تجسد الله  
مكافئك عنهم ومثيبك عز الشكر منهم . قال فوجه اليهم الامون بالاموال  
الكثيرة وكتب الى عبيد الله اما بعد فقد وصلت شكيتك لأهل حرم الله  
أمير المؤمنين فيكلم بقلب رحمة وانجده بسبب نعمته وهو متبع ما أسلف  
اليهم بما يخلف عليهم عاجلا وآجلا ان أذن الله في تثبيت عزمه على صحة  
نيتة . قال فصار كتابه هذا آتس لأهل مكة من الأموال التي أنفدها  
اليهم . قال وكتب جعفر بن محمد بن الأشعث الى يحيى بن خالد يستغفیه  
من العمل : شكري لك على ما أريد الخروج منه شكر من سأل الدخول  
فيه : قال وكتب علي بن هشام الى اسحاق بن ابراهيم الوصلي : ما أنري  
كيف أصنع أغيب فاشتاق وأنتقي ولا أشتقي ثم يحدث لي اللقاء الذي طلبت  
منه الشفاء نوعا من الحرقه لاوعة القرقة : قال وكتب معقل الى أبي دلف  
فلان جميل الحال عند الكرام فان أنت لم ترتبطه بفضلك عليه فم ل  
غبيرك . وكتب أبو هاشم الحرابي إلى بعض لامراء : غرضي من  
الامير مهوز والصبير على الحرمان معجز : وكتب آخر الى صديق له :  
أما بعد فقد أصبح لنا من فضل الله ما لا نخصيه مع كثرة ما نعصيه وما  
ندري ما نشكر أجميل ما نشر أم كثير ما ستر أم عظيم ما أبى أم كثير  
ما عفا غير انه يلزمنا في كل الامور شكره ويجب علينا حمده فاستزد الله في  
حسن بلائه كشكرك على حسن آلائه .

( ضده )

( قال الجاحظ ) كتب ابن المراكبي إلى بعض ملوك بغداد : جعلت  
فداك بروحمته : قال وقرأت على عنوان كتاب لابي الحسن الشعري :

( م - ٢ - محاسن )

للموت لنا قبله : وقرأت أيضاً عن عنوان كتاب : الى الذي كتب إلي

## ٤ - محاسن الجواب

قال : دخل رجل على كسرى أبرويز ، فشكا اليه عاملاً غصبه على ضيعة له ، فقال له كسرى : منذ كم بي في يدك ؟ قال منذ أربعين سنة قال : فانت تأكلها أربعين سنة ما عليك أن يأكل عامي منها سنة واحدة فقال : وما كان عنى الملك أن يأكل بهرام جور الملك سنة واحدة ؟ فقال : ادفعوا في قفاه فأخرجوه فلما خرج أمكنته التفاتة فقال : دخلت بمظلمة وخرجت بمئتين فقال كسرى : ردوه وأمر برد ضيفته وصيره في خاصته . ويقال : ان سعيد بن مرة الكندي حين أتى معاوية قال له : أنت سعيد قال : أمير المؤمنين سعيد ، وأنا ابن مرة . قال : ودخل السيد بن أنس الأزدي على المأمون ، فقال : أنت السيد ؟ فقال : انت السيد يا أمير المؤمنين ، وأنا ابن أنس . قال : وقيل للعباس ابن عبد المطلب أنت أكبر أم رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال هو عليه الصلاة والسلام أكبر مني وأنا ولدت قبله . قال : وقال الحجاج للهبأ أنا أطول أم أنت ؟ قال : الامير أطول وأنا أبسط قامة منه . قيل : ووقف المهدي على امرأة من بني ثعل فقال لها : بمن العجوز ؟ قالت من طي ، ؟ قال ، ما منع طيئنا أن يكون فيها آخر مثل حاتم قالت : الذي منع العرب أن يكون فيها آخر . تلك وأعجب بقولها ووصلها ، قيل : وما استوثق أمر العراق لعبدالله بن الزبير وجه مصعب اليه وقدأ فلما قدموا عليه قال لهم وددت أن لي بكل خمسة منكم رجلاً من أهل الشام ، فقال رجل من أهل العراق : يا امير المؤمنين علقناك وعلقت بأهل الشام وعلق أهل الشام بأهل مروان ، فما أعرف لنا مثلاً إلا قول الأعشى :

## عُلِّقَتْهَا عَرَضًا وَعُلِّقَتْ رَجُلًا      غَيْرِي وَعُلِّقَ أُخْرَى غَيْرَهَا الرَّجُلُ

فما وجدنا جواباً أحسن من هذا . قال : وقال مسلمة بن عبد الملك :  
ما شيء يؤتى العبد بعد الإيمان بالله تعالى أحب إلي من جواب حاضر فان  
الجواب إذا انقلب لم يكن شيئاً .

( ضده )

قال اجتمع عند رسول الله صلى الله عليه وسلم الزبيرقان بن بدر وعمرو  
ابن الأهتم فذكر عمرو الزبيرقان قال : بأبي أنت وأمي يا رسول الله انه  
لملأعام جواد الكف مطاع في أدانيه شديد العارضة مانع لما وراء ظهره  
فقال الزبيرقان : بأبي أنت وأمي يا رسول الله انه ليعرف مني أكثر من  
هذا ولكنه يحسدني ، فقال عمرو : والله يا نبي الله ان هذا لزم المرورة  
ضيق العطن لئيم العم أحق الخال ، فرأى الكراهية في وجه رسول الله  
صلى الله عليه وسلم لما اختلف قوله ، فقال : يا رسول الله ما كذبت في  
الأولى ولقد صدقت في الأخرى ولكني رضيت انقلت أحسن ما علمت  
وسخطت انقلت أسوأ ما علمت . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :  
( إن من البيان لسحوا وإن من الشعر لحكما ) ، وذكروا أن الوليد بن  
عقبة قال لعقيل بن أبي طالب : غلبك على الثروة والعدد . قال : وسبقني  
ولياك الى الجنة . قال الوليد : أما والله إن شديك لتضخخان من دم  
عثمان ، قال عقيل : ما لك ولقريش ؟ وإنما أنت فيهم كمنيع المسير ،  
فقال الوليد : والله إني لأرى لو أن أهل الأرض اشتركوا في قتله  
لوردوا صعودا ، فقال له عقيل : كلا أما ترغب عن صحبة أهلك . قال  
وقال رجل من قریش خالد بن صفوان ما اسمك ؟ قال خالد بن صفوان  
ابن الاهتم ، قال : ان اسمك لكذب ما أنت بخالد وان أباك لصفوان

وهو حجر وان جددك لأهم والصحيح خير من الأهم ، فقال له خالد :  
 من أي قريش أنت ؟ قال من عبيد الدار بن قصي بن كلاب ، قال :  
 لقد هشمك هاشم وأمتك أمية وجمعت بك جمع وخزمتك مخزوم وأفصتك  
 قصي فجعلتك عبيد ذرها تفتح إذا دخلوا وتغلق إذا خرجوا . قيس :  
 ومر الفرزدق فرأى خليفة الشاعر فقال له : يا أبا فراس من القائل :

هُوَ الْقَيْنُ وَأَبْنُ الْقَيْنِ لَأَقِينُ مِثْلَهُ

لِفَطْحِ الْمَسَاحِي أَوْ لِحَدْلِ الْأَدَاهِمِ

قال الفرزدق : الذي يقول :

هُوَ اللَّصُّ وَأَبْنُ اللَّصِّ لَأَلِصُّ مِثْلَهُ

لِنَقْبِ جِدَارٍ أَوْ لِطَسْرِ الدَّرَاهِمِ

• محاسن حفظ اللسان

قال أكثم بن صيفي : مقتل الرجل بين فكيه - يعني لسانه - وقال :  
 رب قول أشد من قول ، وقال : لكن ماقطة لاقطة ، وقال المهذب  
 لئيبه : اتقوا زلة اللسان فإني وجدت الرجل تشر قدمه فيقوم من عثرته  
 ويزل لسانه فيكون فيه هلاكه . قال يونس بن عبيد : ليست خلة من  
 خلال الخير تكون في الرجل هي أخرى أن تكون جامعة لأنواع الخير  
 كلها من حفظ اللسان . وقال قدامة بن زهير : يا معشر الناس ان  
 كلامكم أكثر من صمتكم فاستعينوا على الكلام بالصمت وعلى الصواب بالفكر .  
 وكان يقال : ينبغي للماقل أن يحفظ لسانه كما يحفظ موضع قدمه ومن لم

يحفظ لسانه فقد سلطه على هلاكه ، وقال الشاعر :

عَلَيْكَ حِفْظَ اللِّسَانِ مُجْتَهِدًا      فَإِنَّ جُلَّ الهَلَاكِ فِي زَلَلِهِ

غيره

وَجُرْحُ السِّيفِ أَسْوَهُ فَيَبْرًا      وَجُرْحُ الدُّهْرِ مَا جَرَحَ اللِّسَانُ  
جِرَاحَاتُ الطَّمَانِ لَهَا التِّثَامُ      وَلَا يَلْتَامُ مَا جَرَحَ اللِّسَانُ

غيره

احْفَظْ لِسَانَكَ لَا تَقُولُ فِتْنَتِي      إِنَّ البَلَاءَ مُوَكَّلٌ بِالمَنْطِقِ

غيره

كَعَمْرِكَ مَا شَيْءٌ عَلِمْتُ مَكَانَهُ      أَحَقُّ بِسِجِّينٍ مِنْ لِسَانٍ مُذَلَّلِ  
عَلَى فَيْكٍ مِمَّا لَيْسَ بِعَيْنِكَ قَوْلُهُ      بِقُنْفُلٍ شَدِيدٍ حَيْثُ مَا كُنْتَ فَأَقْفَلِ

قيل : تكلم أربعة من الملوك بأربع كلمات كأنما رميت عن قوس واحد : قال كسرى : أنا على رد ما لم أقل أقدر مني على رد ما قلت ، وقال ملك الهند : إذا تكلمت بكلمة ملكتمني وإن كنت أملكها ، وقال فيصر : لا أندم على ما لم أقل وقد ندمت على ما قلت ، وقال ملك الصين : عاقبة ما قد جرى به القول أشد من الندم على ترك القول ، وقال بعضهم : من حفاة الانسان أن يكون الاستماع أحب إليه من النطق إذا وجد من يكفيه فانه لن يعدم الصمت والاستماع سلامة وزيادة في العلم ، وقال بعض الحكماء : من قدر على أن يقول فيحسن فانه قادر

على أن يصمت بحسن ، وقال بعضهم : كان ابن عبيدة الريجاني  
 المتكلم الفصيح صاحب التصانيف يقول : الصمت أمان من تحريف  
 اللفظ وعصاة من زيغ المنطق وسلامة من فضول القول ، وقال أبو  
 عبيد الله كاتب المهدي : كن على التماس الحظ بالسكوت أحرص منك  
 على التمامه بالكلام ، وكان يقال : من سكت فسلم كان كمن قال فغنم ،  
 وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ( إن الله تعالى يكره الانبعاث في  
 الكلام يرحم الله امرأ أوجز في كلامه واقتصر على حاجته ) ، قيل : وكلم  
 رجل سقراط عند قتله بكلام أطاله فقال : أنساني أول كلامك طول  
 عهده وفارق آخره فهمي لتفاوته ، ولما قدم ليقتل بكت امرأته فقال  
 لها : ما يبكيك ؟ قالت اقتل ظلماً قال : وكنت تحبين أن أقتل حقاً  
 أو أقتل ظالماً . وشتم رجل المهلب فلم يجبه فقبيل له : حملت عنه فقال :  
 ما أعرف مساويه وكرهت أن أجهت بها ليس فيه ، وقال سلمة بن القاسم  
 عن الزبير قال : حملت الى المتوكل وأدخلت عليه فقال : يا أبا عبدالله  
 الزم أبا عبدالله - يعني المعتز - حتى تعلمه من فقه المدنين ، فأدخلت  
 حجرة فإذا أنا بالمعتز قد أتى في رجله نعل من ذهب وقد عثر به فسال دمه  
 فجعل يغسل الدم ، ويقول :

يُصَابُ الْفَتَى مِنْ عَثْرَةِ بِلْسَانِهِ

وَأَيْسَ يُصَابُ الْمَرْءُ مِنْ عَثْرَةِ الرَّجُلِ

فَعَثْرَتُهُ مِنْ فِيهِ تَزِمِي بِرَأْسِهِ وَعَثْرَتُهُ بِالرَّجُلِ تَبْرَأُ عَلَى مَهْلٍ

فقلت في نفسي : ضمنت الى من أريد أن أتعلم منه .

(ضده)

مثل بعض الحكماء عن المنطق فقال : انك تمدح الصمت بالمنطق

ولا تمدح المنطق بالهمت وما عبر به عن شيء فهو أفضل منه ، وسئل آخر عنها فقال : أخزى الله الساكنة ما أفسدها للسان وأجلبها للعبي وواثقه للمباراة في استخراج حق أهده للعبي من النار في يابس العرفج ، فقيل له : قد عرفت ما في المباراة من الذم ، فقال : ما فيها أقل ضرراً من السكنة التي تورث عللاً وتولد داء أيسره العبي ، وقال بعض الحكماء : اللسان عضو فان مرنته مرن وإن تركته حرن ، وبمن أفرط في قوله فاستقبل بالحلم ، ما حكى عن شهرام المروزي فإنه جرى بينه وبين أبي مسلم صاحب الدولة كلام فما زال أبو مسلم يحاوره الى أن قال له شهرام : يا لفظه فصت أبو مسلم وندم شهرام على ما سبق به لسانه وأقبل معتذراً خاضعاً ومنتصلاً ، فلما رأى ذلك أبو مسلم قال : لسان سبق ووهم أخطأ وإنما الغضب شيطان والذنب لي ، لأنني جرأتك على نفسي بطول احتيالي منك ، فان كنت معتدداً للذنب فقد شركتك فيه وان كنت مغلوباً فالعذر يسمعك ، وقد غفرت لك على كل حال ، قال شهرام : أيها الملك عفو مثلك لا يكون غروراً قال : أجل ، قال : وان عظيم ذنبي لمن يدع قلبي يسكن ولج في الاعتذار ، فقال أبو مسلم : يا عجباً كنت تسيء وأنا أحسن ، فاذا أحسنت أمأت .

## ٦ - محاسن كتمان السر

قال : كان المتصور يقول : الملك يحتمل كل شيء من أصعابه الا ثلاثاً إفشاء السر والتعرض للحرم والقدهج في الملك ، وكان يقول : سر من دمك فانظر من تملكه ، وكان يقول : سر من لا تطلع عليه غيرك وإن من انفذ البصائر كتمان السر حتى يبرم المبروم ، وقيل لأبي مسلم : بأي شيء أدركت هذا الامر ؟ قال : ارتديت بالكتمان واترت بالحزم

وحالفت الصبر وساعدت المقادير فأدرى كنت طلبيني وحزت بعفتي ، وأنشد  
في ذلك :

أدرى كنت بالحزم والكتمان ما عجزت  
عنه ملوك بني مروان إذ حشدوا  
ما زلت أنسى عليهم في ديارهم  
والقوم في ملكهم بالشام قد رقدوا  
حتى ضربتهم بالسيف فانتبهوا من نومة لم ينمها قبلهم أحد  
ومن رعى غنماً في أرض مسبمة ونام عنها تولى رعيها الأسد

قال : وقال عبد الملك بن مروان للشعبى لما دخل عليه : جنبي خصلاً  
أربماً : لا تطريني في وجهي ولا تجرين على كذبة ولا تفتان عندي أحداً  
ولا تفشين لي سراً . وقال النبي صلى الله عليه وسلم : ( استعينوا على  
إنجاح حوائجكم بكتهان السر فان كل ذي نعمة محسود ) وأنشد اليزيدي  
في ذلك :

النجم أقرب من سرٍ إذا اشتملت  
مني على السر أضلاع وأنحشا

غيره

ونفسك فاحفظها ولا نفس لعدى  
من السر ما يطوي عليه ضميرها



فَمَا يَحْفَظُ الْمَكْتُومَ مِنْ سِرِّ أَهْلِهِ  
 إِذَا عُقِدَ الْأَسْرَارِ ضَاعَ كَثِيرُهَا  
 مِنَ الْقَوْمِ إِلَّا ذُو عَفَافٍ يُعِينُهُ  
 عَلَى ذَلِكَ مِنْهُ صِدْقُ نَفْسٍ وَخَيْرُهَا

قال معاوية بن أبي سفيان : أعتت عني علي بن أبي طالب بأربع خصال : كان رجلاً ظاهرة علته لا يكتم سراي وكنت كئوباً لسري وكان لا يسعي حتى يفاجئه الأمر مفاجأة وكنت ابادر إلى ذلك وكان في أخبث جند وأشدهم خلافاً وكنت في أطوع جند وأقلهم خلافاً وكنت أحب إلى قريش منه فنلت ما شئت فله من جامع إلي ومفرق عنه . وكان يقال : لسكاتم سره من كتمانك إحدى فضيلتين : الظفر بجاحته والسلامة من شره ، فمن أحسن فليحمد الله وله المنة عليه ، ومن أساء فليستغفر الله . وقال بعضهم : كتمانك سر ك يعقبك السلامة وإفشاؤك سر ك يعقبك الندامة والصبر على كتمان السر أسير من الندم على إفشائه . وقال بعضهم : ما أقبح بالإنسان أن يخاف على ما في يده من اللصوص فيخفيه ويمكن عدوه من نفسه باظهاره ما في قلبه من سر نفسه وسر أخيه ، ومن عجز عن تقويم أمره فلا يلومن إلا نفسه ان لم يستقم له . وقال معاوية : ما أفشيت سري إلى أحد إلا أعقبني طول الندم وشدة الأسف ولا أودعته جوازح صدري فحكمته بين أضلاعي إلا أكسبني مجداً وذكرًا وسناء ورفعة فقيل : ولا ابن العاص قال : ولا ابن العاص . وكان يقول : ما كنت كلمة من عدوك فلا تظهر عليه صديقك . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ( من كتم سره كانت الخيرة في يده ومن عرض نفسه للتهمة فلا بلو من من أساء به الظن وضع أمر أخيك على أحسنه ولا تظن بكلمة خرجت منه

سوءاً ما كنت واجداً لها في الخير مذهباً وما كافات من عصى الله وبك  
 بأفضل من أن تطيع الله جل اسمه، فيه وعليك باخوان الصدق فانهم زينة  
 عند الرخاء وعصاة عند البلاء ( . . . ) وحدث ابراهيم بن عيسى قال :  
 ذكرت المنصور ذات يوم في أبي مسلم وصورته السر وكتبه حتى فعل ما  
 فعل ، فأنشد :

تَقَسَّمَنِي أَمْرَاتٍ لَمْ أَفْتَتِحْهُمَا      بَجَزْمٍ وَلَمْ تَعْرُكْهُمَا لِي الْكِرَاكِرُ  
 وَمَا سَاوَرَ الْأَنْحِشَاءَ مِثْلُ دَفِينَةٍ      مِنْ أَلْهَمٍ رَدَّتْهَا إِلَيْكَ الْمَعَاذِرُ  
 وَقَدْ عَلِمْتَ أَفْنَاءَ عَدْنَانَ أَنِّي      عَلَى مِثْلِهَا مِقْدَامَةٌ مُتَجَابِرُ

وقال آخر :

صُنِ السِّرُّ بِالْكِتْمَانِ يُرِضُكَ غَيْبُهُ      فَقَدْ يَظْهَرُ السِّرُّ الْمُضْمِعُ فَيَنْدَمُ  
 وَلَا تُفْشِيَنَّ سِرًّا إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ      فَيَظْهَرُ خَرَقُ الشَّرِّ مِنْ حَيْثُ يُكْتَمُ  
 وَمَا زِلْتُ فِي الْكِتْمَانِ حَتَّى كَأَنَّي      يَرْجِعُ جَوَابَ السَّائِلِ عَنْهُ أَعْجَمُ

لِنَسَلَمَ مِنْ قَوْلِ الْأَوْشَاءِ وَتَسْلَمِي      سَلِمَتْ وَهَلْ حَيٌّ عَلَى الدَّهْرِ يَسْلَمُ

وقال آخر :

أَمِنِي تَخَافُ أَنْ تَنْشَارَ الْخَبِيرُ      وَحَظِي فِي سِرِّهِ أَوْفَرُ  
 وَلَوْ لَمْ أَصْنَهُ لِبُقْيَا عَلَيْكَ      نَظَرْتُ لِنَفْسِي كَمَا تَنْظُرُ

وقال أبو نواس :

لَا تُفْشِ أَسْرَارَكَ لِلنَّاسِ      وداوِ أْحْزَانَكَ بِالْكَاسِ  
فَإِنَّ إِبْلِيسَ عَلَى مَا بِهِ      أَزَافُ بِالنَّاسِ مِنَ النَّاسِ

وقال المبرد : أحسن ما سمعت في حفظ اللسان والسر ما روى  
لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه :

لَعَمْرُكَ إِنَّ وُشَاةَ الرَّجَا      لِ لَا يَبْزُ كُونَ أَدِيمًا صَحِيحًا  
فَلَا تُبْدِ سِرَّكَ إِلَّا إِلَيْكَ      فَإِنَّ لِكُلِّ نَصِيحٍ نَصِيحًا

وقال العتيبي :

وَلِي صَاحِبٌ سِرِّي الْمَكْتُمِ عِنْدَهُ      مَعَارِيْقُ نَيْرَانٍ بَلْبَلٍ تُحْرِقُ  
عَدَوْتُ عَلَى أَسْرَارِهِ فَكَسَوْتُهَا      ثِيَابًا مِنَ السَّكْتِمَانِ مَا تَتَخَرَّقُ  
فَمَنْ كَانَتْ الْأَسْرَارُ تَطْفُو بِصَدْرِهِ      فَأَسْرَارُ صَدْرِي بِالْأَحَادِيثِ تُفْرَقُ  
فَلَا تُوَدِّعَنَّ الدَّهْرَ سِرَّكَ أَحْمَقًا      فَإِنَّكَ إِنْ أُوْدِعْتَهُ مِنْهُ أُنْحَقُ  
وَحَسْبُكَ فِي سِتْرِ الْأَحَادِيثِ وَاعْظَا      مِنَ الْقَوْلِ مَا قَالَ الْأَدِيبُ الْمُوَفَّقُ  
إِذَا ضَاقَ صَدْرُ الْمَرْءِ عَنْ سِرِّ نَفْسِهِ      فَصَدْرُ الَّذِي يُسْتَوْدَعُ السَّرَّ اضْبِيقُ

وقال آخر :

لَا يَكْتُمُ السَّرَّ إِلَّا كُلُّ ذِي خَطَرٍ      فَالسَّرُّ عِنْدَ كِرَامِ النَّاسِ مَكْتُومٌ

وَالسِّرُّ عِنْدِي فِي يَدْتِ لَهُ غَلَقٌ      قَدْ ضَاعَ مِفْتَاحُهُ وَالْبَابُ مَرْدُومٌ

قيل : دخل أبو العتاهية على المهدي وقد ذاع شعره في عتبه ، فقال :  
ما أحسنت في حبك ولا اجملت في إذاعة سرك ، فقال :

مَنْ كَانَ يَزْعُمُ أَنْ سَيَكْتُمُ حُبَّهُ

أَوْ يَسْتَطِيعُ السِّرَّ فَهُوَ كَذُوبٌ

الْحُبُّ أَغَابٌ لِلرِّجَالِ بِقَهْرِهِ      مِنْ أَنْ يُدَى لِّلسِّرِّ فِيهِ نَصِيبٌ  
وَإِذَا بَدَأَ سِرُّ السَّبِيبِ فَائُهُ      لَمْ يَبْدُ إِلَّا وَالْفَتَى مَمْلُوبٌ  
إِنِّي لِأَحْسُدُ ذَاهِرِي مُسْتَحْفِظًا      لَمْ تَتَّهَمُهُ أَعْيُنٌ وَقُلُوبٌ

فاستحسن المهدي شعره وقال : قد عذرتك على إذاعة سرك ووصلناك  
على حسن عذرك ان كتمان السر أحسن من إذاعته . وقال زياد : لكل  
مستشير ثقة وان الناس قد ابتدأت بهم خطئات : إذاعة السر ، وتوك  
النصيحة ، وإيس للسر موضع إلا أحد رجلين : إما أخروي يرجو ثواب  
الله ، أو دنياوي له شرف في نفسه وعقل يصون به حسيبه وهما معدومان  
في هذا الدهر . وقال المهلب : ما ضاقت صدور الرجال عن شيء كما  
تضيق عن السر ، كما قال الشاعر :

وَلَرُبَّمَا كَتَمَ الْوَقُورُ قَصْرُحَتِ      حَرَكَاتَهُ لِلنَّاسِ عَنِ كِتْمَانِهِ  
وَلَرُبَّمَا رَزَقَ الْفَتَى بِسُكُوتِهِ      وَلَرُبَّمَا حَرَّمَ الْفَتَى بَيَانِهِ

وقال آخر :

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَحْفَظْ لِنَفْسِكَ سِرَّهَا فَسِرُّكَ عِنْدَ النَّاسِ أَفْشَى وَأَضْيَعُ

وقال آخر :

لِسَانِي كَتَمْتُ لِأَسْرَارِكُمْ وَدَمْعِي تَمُومٌ لِسِرِّي مُذْبَعُ  
فَلَوْلَا الدَّمْعُ كَتَمْتُ الهَوَى  
وَلَوْلَا الهَوَى لَمْ تَكُنْ لِي دَمْعُ

#### ٧ - محاسن المشورة

يقال : إذا استخار الرجل ربه واستشار صيحه واجتهد فقد قضى ما عليه ويقضي الله في أمره ما يجب . وقال آخر : حسن المشورة من المشير قضاء حق النعمة . وقيل : إذا استشرت فانصحت ، وإذا قدرت فاصفح . وقيل : من وعظ أخاه سراً زانه ومن وعظه جهراً شانه . وقال آخر : الاعتصام بالمشورة نجاة . وقال آخر : نصبت قلبك مع أخيك فاستشروه . وقال آخر : إذا أراد الله لمبدعاً هلاكاً أهلكه برأيه . وقال آخر : المشورة تقوم اعوجاج الرأي . وقال : إنك والمشورة التواء فان رأيت إلى أو من وعزمتهن إلى ومن .

(ضده)

قال بعض أهل العلم : لو لم يكن في المشورة إلا استضعاف صاحبك لك وظهور فقرك إليه لوجب أطراح ما تفيدته المشورة والقاء مسأله يكسبه الامتنان ، وما استشرت أحداً إلا كنت عند نفسي ضعيفاً وكان عندي

قويًا ، وتصاغت له ودخلته العزة ، فأياك والمشورة وان ضاقت بك  
المذاهب واختلفت عليك المسالك وأذاك الاستبهاج الى الخطأ الفادح ، فان  
صاحبها أبدا مستذل مستضعف ، وعليك بالاستبداد فان صاحبه أبدا جليل  
في العيون مهيب في الصدور ، ولن تزال كذلك ما استغفيت عن ذوي  
العقول فاذا افتقرت اليها حقرتك العيون ورجفت بك أركانك وتضعضع  
بنيانك وفسد تدبيرك واستعترك الصغير واستخف بك الكبير وعرفت بالحاجة  
اليهم . وقيل : نعم المستشار العلم ونعم الوزير العقل . ومن اقتصر على  
رأيه دون المشورة الشعبي فانه خرج مع ابن الأشعث فقدم به على الحجاج  
فلقبه يزيد بن أبي مسلم كاتب الحجاج فقال له : أشير علي فقال : لا أدري  
بما أشير ولكن اعتذر بما قدرت عليه وأشار بذلك عليه كافة أصحابه ، قال  
الشعبي : فلما دخلت خالفت مشورتهم ورأيت والله غير الذي قالوا فسلمت  
عليه بالامرة ثم قلت : أيد الله الأمير ان الناس قد أمروني أن أعتذر بغير  
ما يعلم الله انه الحق والله ان لا أقول في مقامي هذا إلا الحق قد  
جهدنا وحررنا فما كنا بالاقرباء الفجرة ولا الأتقياء البررة ولقد نصرك الله  
علينا وأظفرك بنا فان سطوت فيذنوبنا وإن عفوت فبجعلك والحجة لك  
علينا ، فقال الحجاج : أنت والله أحب الينا قولا ممن يدخل علينا وسيفه  
يقطر من دمائنا ويقول والله ما فعلت ولا شهدت أنت آمن يا شعبي ،  
فقلت : أيها الأمير آكتعلت والله بعدك السهر واستعلست الخوف وقطعت  
صالح الاخران ولم أجد من الأمير خلفا قال : صدقت ، وانصرفت .

## ٨ - محاسن الشكر

قال بعض الحكماء : من شكرك ممن لا يستحقه واسترما وجهك  
بالقناعة . وقال الفضل بن سهل : من أحب الازيد من النعم فليشكر ومن

أحب المنزلة فليكن ومن أحب بقاء عزه فليسقط دالته ومكره . ومن ذلك قول رجل لرجل شكره في معروف :

لَقَدْ ثَبَّتَتْ فِي الْقَلْبِ مِنْكَ مَوَدَّةٌ

كَمَا ثَبَّتَتْ فِي الرَّاحَتَيْنِ الْأَصَابِعُ

قال : واصطنع رجل رجلاً وسأله يوماً أتجني يا فلان قال : نعم أحبك حبا لو كان فوقك لأظلك أو كان تحتك لأقلك . وقال كسرى أنوشروان : المتعم أفضل من الشاكر لأنه جعل له السبيل إلى الشكر . واختصر حبيب ابن أوس هذا في مصراع واحد فقال :

لَهَانَ عَلَيْنَا أَنْ نَقُولَ وَتَفْعَلَا

الباهي عن أبي فروة قال : مكتوب في التوراة : أشكر من أنعم عليك وأنعم على من شكرك فإنه لا زوال للنعم إذا شكرت ولا إقامة لها إذا كفرت والشكر زيادة في النعم وأمان من الغير ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : خمس تعاجل صاحبهن بالعقوبة : ( البغي والغدر وعقوق الوالدين وقطيعة الرحم ومعرفة لا يشكر ) ، وأنشد الخطيب عمر وكعب الأحمار عنده :

مَنْ يَفْعَلِ الْخَيْرَ لَا يَعْدَمُ جَوَازِيَهُ

لَا يَذْهَبُ الْعُرْفُ بَيْنَ اللَّهِ وَالنَّاسِ

فقال كعب : يا أمير المؤمنين من هذا الذي قال هذا هو مكتوب في التوراة ؟ فقال عمر : كيف ذلك ؟ قال في التوراة مكتوب : من يصنع

الخير لا يضيع عندي لا يذهب العرف بيني وبين عبيدي . وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ليس قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فما هذا الاجتهاد ، فقال : أفلا أكون عبداً شكوراً . وفي الحديث ( ان رجلاً قال في الصلاة خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، اللهم ربنا لك الحمد حمداً مباركاً طيباً زكياً فلما انصرف صلى الله عليه وسلم قال أيسم صاحب الكلمة قال أحدهم أنا يا رسول الله فقال لقد رأيت سبعة وثلاثين ملكاً يتندرون أيم يكتبها أولاً ) وقيل : نسيان النعمة أول درجات الكفر ، وقال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه : المعروف يكفر من كفره لأنه يشكره عليه أشكر الشاكرين ، وقد قيل في ذلك :

بِدُ الْمَعْرُوفِ غَنَمٌ حَيْثُ كَانَتْ      تَحْمَلُهَا كَفُورٌ أَمْ شُكُورٌ  
فَعِنْدَ الشَّاكِرِينَ لَهَا جَزَاءٌ      وَعِنْدَ اللَّهِ مَا كَفَرَ الْكَافُورُ

وقال بعض الحكماء : ما أنعم الله على عبد نعمة فشكر عليها الا ترك حسابها عليها ، وقال بعض الحكماء : عند التراخي عن شكر النعم تحمل عظام النعم ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيراً ما يقول لعائشة ما فعل بيتك فتشده

يَجْزِيكَ أَوْ يُثْنِي عَلَيْكَ وَإِنْ مَسَّنْ  
أَثْنِي عَلَيْكَ بِمَا فَعَلْتَ كَمَنْ جَزَى

فيقول صلى الله عليه وسلم : صدق القائل يا عائشة إن الله إذا أجرى على يد رجل خيراً فلم يشكروه فليس لله بشاكر ، وقيل لذي الرمة : لم خصت بلال بن أبي بردة بحدحك ؟ قال : لأنه وطأ مضجعي وأكرم مجلسي وأحسن صلتني فحق لكثير معروته عندي ان يستولي على شكري .



ومنهم من يقدم ترك مطالبة الشكر وينسبه الى مكارم الاخلاق ، من ذلك ما قاله بزرجهر . من انتظر بمعرفة شكرك عاجل المكافاة ، وقال بعض الحكماء : إن الكفر يقطع مادة الانعام فكذلك الاستطالة بالصنعة تحقق الأجر ، وقال علي بن عبيدة : من المكارم الظاهرة وسنن النفس الشريفة ترك طلب الشكر على الاحسان ورفع الهمة عن طلب المكافاة واستكثار القليل من الشكر واستقلال الكثير بما يبذل من نفسه . وفصل من كتاب ولست أقابل اياديك ولا أستديم احسانك إلا بالشكر الذي جعله الله للنعم حارساً وللحق مؤدياً والمزيد سبباً .

( ضده )

قال بعض الحكماء : المعروف الى الكرام يعقب خيراً والى اللئام يعقب شراً ومثل ذلك مثل المطر يشرب منه الصدف فيعقب أولوا وتشرب منه الافاعي فيعقب سماً . وقال سفيان : وجدنا اصل كل عداوة اصطناع المعروف الى اللئام . وقال : أثار جماعة من الاعراب ضيعة فدخلت خباء شيخ منهم فقالوا أخرجها ، فقال : ما كنت لأفعل وقد استجارت بي فانصرفوا وقد كانت هزيبلا فأحضر لها لقاها وجعل يسقيها حتى عاشت فنام الشيخ ذات يوم فوثبت عليه فقتلته . فقال شاعرهم في ذلك :

وَمَنْ يَصْنَعِ الْمَعْرُوفَ فِي غَيْرِ أَهْلِهِ

يُلَاقِي الَّذِي لَاقَى مُجْبِرُ أُمِّ عَامِرٍ

أَقَامَ لَهَا لَمَّا أَنْخَتَ بِيَابِهِ

فَأَسْمَتَهَا حَتَّى إِذَا مَا تَمَكَّنَتْ

فَرَنَّهُ بِأَنْيَابِ لَهَا وَأَظْفَرِ

فَقُلْ لِدَوِي الْمَعْرُوفِ هَذَا جَزَاءٌ مَنْ يَجُودُ بِإِحْسَانٍ إِلَى غَيْرِ شَاكِرٍ

قيل : وأصاب أعرابي جرو ذئب فاحتمله الى خبائه وقرب له شاة فلم يزل يمتص من لبنها حتى سمن وكبر ثم شد على الشاة فقتلها . فقال الاعرابي يذكر ذلك :

عَذَّتْكَ سُوءِيَّتِي وَنَشَأَتْ عِنْدِي      فَمَنْ أُذْرَاكَ أَنْ أَبَاكَ ذَيْبُ  
فَجَعَتْ نُسِيَّةً وَصِغَارَ قَوْمٍ      بِشَاتِهِمْ وَأَنْتَ لَهَا رَبِيبُ  
إِذَا كَانَ الطَّبَاعُ طِبَاعَ سَوْءٍ      فَلَيْسَ بِنَافِعِ أَدَبِ الْأَدِيبِ

وفي المثل - سمن كلبك يا كلك - وأنشد :

مُمْ سَمَّنُوا كَلْبًا لِيَأْكُلَ بَعْضُهُمْ      وَلَوْ عَمِلُوا بِالْحَزْمِ مَا سَمَّنُوا كَلْبًا

وقال آخر :

وَإِنِّي وَقَيْسًا كَالْمُسَمَّنِ كَلْبُهُ      فَخَدَّشَهُ أَنْيَابُهُ وَأَظْفَرُهُ

ويضرب المثل بسنمار ، وكان بنى للنعمان بن المنذر الحورتق فأعجبه وكره أن يبني لغيره مثله فرمى به من أعلاه فمات ، ف قيل فيه :

جَزَيْنَا بَنِي سَعْدِ بِحُسْنِ بِلَاثِهِمْ      جَزَاءَ سِنِمَارٍ وَمَا كَانَ ذَا ذَنْبِ

وقال بشار : (١)

أُنْبِي عَلَيْكَ وَلِي حَالٌ تُكَذِّبُنِي      فَيَا أَقُولُ فَأَسْتَحْيِي مِنَ النَّاسِ

(١) - المشهور أن الايات لابي العتاهية . وأولها :

يا ابن العلاء ويا ابن القرم مرداس اني أتيتك في صهي وجماسي

قَدُّ قَلْتُ إِذْ أَبَاحَ فَصِّ لَأَكْرَمُ مَنْ يَمْشِي فَخَاصِمِي فِي ذَاكَ إِفْلَاسِي  
 حَتَّى إِذَا قِيلَ مَا أَعْطَاكَ مِنْ صَفْدِي  
 طَاطَاتُ مِنْ سَوْءِ حَالِي عِنْدَهَا رَاسِي

ولابي الهول :

كَأَنِّي إِذْ مَدَحْتُكَ يَا ابْنَ مَعْنٍ رَأَيْتِ النَّاسُ فِي رَمَضَانَ أَزِينِي  
 فَإِنَّكَ رُحْتَ عَنْكَ بِغَيْرِ شَيْءٍ فَلَا تَفْرَحُ كَذَلِكَ كَانَ ظَنِّي

وقال آخر :

لَحَى اللَّهُ قَوْمًا أَعْجَبَتْهُمْ مَدَائِحِي فَقَالُوا مَقَالًا فِي مَلَامٍ وَفِي عَتَبِ  
 أَبَا حَازِمٍ تَمْدَحُ فَقَاتُ مُعَدَّرًا  
 هَبُونِي أَمْرًا جَرَّ بَتُ سَيْفِي عَلى كَلْبِ

وقال آخر :

عُثْمَانُ يَعْلَمُ أَنَّ الْحَمْدَ ذُو ثَمَنِ لَكِنَّهُ يَشْتَهِي حَمْدًا بِمَجَانِ  
 وَالنَّاسُ أَكْبَسُ مِنْ أَنْ يَمْدَحُوا رَجُلًا  
 حَتَّى يَرَوْا عِنْدَهُ آثَارَ إِحْسَانِ

وقال آخر :

مُحِبُّ الْمَدِيحِ أَبُو خَالِدٍ وَيَنْضَبُ مِنْ صَلَةِ الْمَدِيحِ

كِبْرٍ تُحِبُّ لِدَيْدِ النِّكَاحِ . وَتَجْزَعُ مِنْ صَوْلَةِ النَّاكِحِ .

وقال آخر :

وَلَوْ كَانَ يَسْتَفْنِي عَنِ الشُّكْرِ سَيِّدٌ  
لِعِزَّةِ مُلْكٍ أَوْ عُلوِّ مَمَكٍ  
لَمَّا أَمَرَ اللَّهُ الْعِبَادَ بِشُكْرِهِ  
فَقَالَ أَشْكُرُونِي أَتَيْهَا النَّقْلَانِ

### ٩ - محاسن الصدق

قال بعض الحكماء : عليك بالصدق فيما السيف القاطع في كف الرجل الشجاع بأعز من الصدق ، والصدق عز وإن كان فيه ما تكره ، والكذب ذل وإن كان فيه ما تحب ، ومن عرف بالكذب اتهم في الصدق . وقيل : الصدق ميزان الله الذي يدور عليه العدل ، والكذب مكيال الشيطان الذي يدور عليه الجور . وقال ابن السهك : ما أحسبني أوجر على ترك الكذب لأني أتوكله أنفة . وقال آخر : لو لم يترك العاقل الكذب إلا مروءة لكان بذلك حقيقاً ، فكيف وفيه المأثم والعار . وقال الشعبي : عليك بالصدق حيث ترى أنه يضرك فانه ينفعك ، واجتنب الكذب حيث ترى أنه ينفعك فانه يضرك . وقال بعضهم : الصدق عز والكذب خضوع . ومدح قوم بالصدق منهم أبو ذر رضي الله عنه فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ( ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء ، ولا طلعت الشمس على ذي لهجة أصدق من أبي ذر ) . ومنهم العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه فانه روى أنه اطلع على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده جبريل فقال له جبريل : هذا عمك العباس قال : نعم ، قال ان الله تعالى : يأمرك أن تقرأ عليه السلام وتعلمه أن اسمه عند الله الصادق وأن له شفاعة يوم القيامة ، فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك ، فتبسم

فقال : ان شئت أخبرتك بما به تبست ، وان شئت أن تقول فقل ، فقال : بل فعلني يا رسول الله ، فقال : لأنك لم تحلف يمينا في جاهلية ولا اسلام برة ولا فاجرة ، ولم تقل لسائل : لا قال : والذي بعثك بالحق نبياً ما تبست إلا لذلك . ويروى أن رجلا أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ، اني أسأسر بخلال الزنا والسرقة وشرب الخمر والكذب فأين أحببت تركه ، قال : دع الكذب فمضى الرجل فهم بالزنا ، فقال : يسألني رسول الله ﷺ ، فان جهدت نقضت ما جعلته له ، وان أقررت حددت فلم يزن ، فهم بالسرقة وشرب الخمر ، ففكر في ذلك فرجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له : قد تركتهن أجمع . فأما من رخص له في الكذب فيروى عن رسول الله ﷺ أنه قال : ( لا يصلح الكذب إلا في ثلاث : كذب الرجل لاهله ليرضيها وكذب في إصلاح ما بين الناس وكذب في حرب ) . وروى عن المغيرة بن ابراهيم أنه قال : لم يورخص لأحد في الكذب إلا للحجاج بن علاط فانه لما فتحت خيبر قال يا رسول الله : ان لي عند امرأة من قريش وديعة فأذن لي يا رسول الله أن أكذب عليك كذبة لعلني أستل وديعتي فرخص له في ذلك فقدم مكة فأخبرهم أنه ترك رسول الله ﷺ أسيراً في أيديهم يأثمون فيه فقائل يقول : يقتل وقائل يقول : لا بل يبعث به إلى قومه فتكون منه ، فجعل المشركون يتباشرون بذلك ويؤثنون العباس عم رسول الله صلى الله عليه وسلم والعباس يريهم التجمل ، وأخذ الرجل وديعته فاستقبله العباس وقال : ويحك ما الذي أخبرت به ؟ فأعلمه السب ، ثم أخبره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد فتح خيبر ونكح صفية بنت حبي بن أخطب وقتل زوجها وأباها ، ثم قال : أكنتم علي اليوم وغداً حتى أمضي ففعل ذلك : فلما مضى يومان أخبرهم العباس بالذي أخبره ، فقالوا : من أخبرك بهذا ؟ قال من أخبركم بضده .

( ضده )

قيل : وجد في بعض كتب الهند ليس لكذوب مروءة ، ولا لضجور  
رياسة ، ولا للمول وفاء ، ولا لبخيل صديق . وقال قتيبة بن مسلم : لا  
تطلبن الحوائج من كذوب ، فانه يقربها وإن كانت بعيدة ، ويبعدها وإن  
كانت قريبة ، ولا الى رجل قد جعل المسألة مأكلة فانه يقدم حاجته  
قبلها ويجعل حاجتك وقاية لها ، ولا إلى أحق فانه يريد نفعك فيضرك .  
وقيل : أمران لا ينفكان من كذب : كثرة المواعيد وسدّة الاعتذار .  
وقيل : كفاك موجهاً على الكذب علمك بانك كاذب . وقال رجل لأبي  
حنيفة : ما كذبت قط قال : أما هذه فواحدة . وفي المثل هو أكذب  
من أخيد السند ، وذلك أنه يؤخذ الحسيس منهم فيزعم أنه ابن الملك .  
وكذلك يقال : أكذب من سياح خراسان ، لأنهم يجتازون في كل بلد ،  
ويكذبون للسؤال والمسألة . ويقال : هو أكذب من الشيخ الغريب ،  
وذلك أنه يتزوج في الغربية وهو ابن سبعين سنة فيزعم أنه ابن أربعين .  
ويقال : هو أكذب من مسيلة وبه يضرب المثل . وما قيل في ذلك  
من الشعر :

حَسْبُ الْكَذُوبِ مِنَ الْجَلِيَّةِ      بَعْضُ مَا يُجْنَى عَلَيْهِ  
مَا إِنْ سَمِيتُ بِكَذْبَةٍ      مِنْ غَيْرِهِ نُسِبَتُ إِلَيْهِ

وقال آخر :

لَقَدْ أَخْلَفْتَنِي وَحَلَفْتَ حَتَّى  
أَلَا لَا تَخْلِفَنَّ عَلَيَّ كَلَامٍ  
إِخَاؤُكَ قَدْ كَذَّبْتَ وَإِنْ صَدَقْتَا  
فَأَكْذَبُ مَا تَكُونُ إِذَا حَلَفْتَا

وقال آخر :

قَدْ كُنْتُ أَنْجِرُ دَهْرًا مَا وَعَدْتُ إِلَى  
 أَنْ أَتْلَفَ الْوَعْدُ مَا جَمَعْتُ مِنْ نَسَبِ  
 فَإِنْ أَكُنْ صِرْتُ فِي وَعْدِي أَخَا كَذِبِ  
 فَضُرَّةُ الصِّدْقِ أَفْضَتْ بِي إِلَى الْكَذِبِ

قال الاصمعي : قال الخليل بن سهل : يا أبا سعيد أعلمت أن طول  
 رمح رستم كان سبعين ذراعاً من حديد مصمت في غلظ الراقد ، فقلت  
 ها هنا أعرابي له معرفة فاذهب بنا إليه فحدثه بهذا ، فذهبت به إلى الأعرابي  
 فحدثه ، فقال الأعرابي : قد سمعت بذلك ، وبلغنا أن رستم هذا كان  
 هو واسفنديار أبا لقمان بن عاد بالبادية فوجداه نائماً ورأسه في حجر أمه  
 فقالت لها : ما شأنكما ، فقالا : بلغنا شدة هذا الرجل فأتيناه فانتبه  
 فزعا من كلامهما فنفضهما فألقاهما إلى أصبهان فقبورها اليوم بها ، فقال الخليل :  
 قبحك الله ما أكذبك قال : يابن أخي ما بيننا شيئاً إلا وهو دون  
 الراقد . قيل : وقدم بعض العمال من عمل فدعا قوماً إلى طعامه وجعل  
 يحدثهم بالكذب ، فقال بعضهم : نحن كما قال الله عز وجل « سماعون  
 للكذب أكلون للسحت » . قيل : وكان رجال من أهل المدينة من بين  
 فقيه وراوية وشاعر يأتون بغداد فيرجعون بحظوة وحال حسنة فاجتمع  
 عدة منهم فقالوا لصديق لهم لم يكن عنده شيء من الأدب : لو أتيت  
 العراق فلعلك أن تصيب شيئاً ، قال : أنتم أصحاب آداب تلتصون بها ،  
 فقالوا : نحن نحتاج لك فأخرجوه ، فلما قدم بغداد طلب الاتصال بعلي  
 ابن يقطين وشكوا إليه الحاجة فقال : ما عندك من الأدب ؟ فقال : ليس  
 عندي من الأدب شيء غير أنني أكذب الكذبة وأخيل إلى من يسمعا أنني  
 صادق ، وكان ظريفاً مليحاً فأعجب به وعرض عليه مالا فابى أن يقبله

وقال ما أريد منك الا أن تسهل أذني وأدني مجلسي قال : ذاك لك ، وكان من أقرب الناس اليه مجلسا حتى عرف بذلك . وكان المهدي قد غضب على رجل من القواد واستصفى ماله ، وكان يختلف الى علي بن يقطين رجاء أن يكلم له المهدي ، وكان يرى قرب المدني ومكانه من علي فأتى المدني القائد عشياً فقال : ما البشري قال : لك البشري وحكمك قال : أرسلني علي بن يقطين اليك وهو يقرئك السلام ويقول : قد كلمت أمير المؤمنين في أمرك ورضى عنك وأمر برد مالك وضياعك وبأمرك بالغدو اليه لتغدو معه الى أمير المؤمنين متشكراً ، فدعا له الرجل بألف دينار وكسوة وحملان وغدا على علي مع جماعة من وجوه العسكر متشكراً ، فقال له علي : وما ذاك ؟ قال : أخبرني ابو فلان - وهو الى جنبه - كلامك امير المؤمنين في أمري ورضاه عني فالتفت الى المدني وقال : ما هذا ؟ فقال : أصلحك الله هذا بعض ذلك المتاع نشرناه فضحك علي وقال : علي بدابتي وركب الى المهدي وحدثه الحديث فضحك المهدي وقال : إنا قد رضينا عن الرجل ورددنا عليه ماله ، وأجرى على المدني رزقا واسعاً واستوصى به خيراً ثم وصله ، وكان يعرف بكذاب أمير المؤمنين .

### ١٠ - محاسن العفو

قيل : أسر مصعب بن الزبير رجلا من أصحاب المختار فأمر بضرب عنقه فقال : أيها الامير ما أقبح بك أن أقوم يوم القيامة الى صورتك هذه الحسنة فأتعلق بأطرافك وأقول : رب سل مصعبا فم قتاني فقال : أطلقوه ، فقال : أيها الامير اجعل ما وهبت لي من عمري في خفض عيش ، فقال : اعطوه مائة ألف درهم . قال : بأبي أنت وأمي أشهدك أن لابن قيس الرقيات منها خمسين ألفا قال : لم ؟ قال : لقوله فيك :



إِنَّمَا مُصْعَبٌ شِهَابٌ مِّنَ اللَّيْلِ تَجَلَّتْ عَنْ وَجْهِهِ الظُّلَمَاءُ  
مُلْكُهُ مُلْكٌ رَّأْفَةٌ لِّنَسِ فِيهِ جَبْرُوتٌ وَلَا لَهُ كِبَرِيَاءُ

فضحك مصعب وقال : لقد تلطفت وان فيك لمرضا للصبيعة ، وأمر له بالمائة ألف ، ولان قيس الرقيات بخمسين ألف درهم . قيل : وأمر الرشيد يحيى بن خالد بجبس رجل جنى جنابة فحبسه ، ثم سأل عنه الرشيد فقيل : هو كثير الصلاة والدعاء ، فقال للموكل به : عرض له بان تكلمني وتساأني اطلاقه فقال له الموكل ذلك ، فقال : قل لأمر المؤمنين إن كل يوم يمضي من نعمتك ينقص من محنتي ، والامر قريب ، والموعد الصراط ، والحاكم الله فخر الرشيد مغشياً عليه ثم أفاق وأمر باطلاقه . وقيل ظفر المأمون برجل كان يطلبه ، فلما دخل عليه قال : يا عدو الله أنت الذي تفسد في الأرض بغير الحق يا غلام خذ اليك فاسقه كأس المنية ، فقال : يا أمير المؤمنين ان رأيت ان تستبقيني حتى أؤيدك بما قال لا سيبل الى ذلك فقال : يا أمير المؤمنين فدعني أنشدك أبياتاً قال هات فأنشده :

زَعَمُوا بَأْنَ الْبِازِ عَلَّقَ مَرَّةً      عُصْفُورَ بَرٍّ سَاقَهُ الْمَقْدُورُ  
فَتَكَلَّمَ الْعُصْفُورُ تَحْتَ جَنَاحِهِ      وَالْبِازُ مُنْقَضٌ عَلَيْهِ يَطِيرُ  
مَا بِي لِمَا يُفْنِي لِمِنِّيكَ شَبْعَةً      وَأَيْنَ أَكَلْتُ فَإِنِّي لِحَاقِرُ  
فَتَبَسَّمَ الْبِازُ الْمُدِلُ بِنَفْسِهِ      كَرَمًا وَأَطْلِقَ ذَلِكَ الْعُصْفُورُ

فقال له المأمون : أحسنت ما جرى ذلك على لسانك الا لبقية بقيت من عمرك فأطلقه وخلع عليه ووصله . وعن بعضهم أن والياً أتى برجل جنى جنابة فأمر بضربه فلما مد قال : بحق رأس أمك الا ما عفوت عني ، قال : أوجع فقال : بحق خديها ونحرها قال : اضرب قال بحق ثدييها

قال : اضرب قال : بحق سرتها قال : ويلكم دعوه لا ينجد قليلاً .  
وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال ( إن الرجل إذا ظلم فلم  
ينتصر ولم يجد من ينصره فرفع طرفه إلى السماء ودعا قال الله له ليبيك  
عبدي أنصرك عاجلاً وآجلاً ) . وقال صلى الله عليه وسلم في قولهم : أنصر  
أخاك ظالماً أو مظلوماً ، وقد سئل عن ذلك فقيل : أنصره مظلوماً فكيف  
أنصره ظالماً ؟ فقال : تمنعه من الظلم فذلك نصرك إياه ، وقال فضيل بن  
عياض : بكى أبي فقلت : ما يبكيك ؟ فقال : أبكي على ظالمي ومن  
أخذ مالي أرحمه غداً إذا وقف بين يدي الله عز وجل وسأله فلا تكون له  
حجة . وقال الحسن البصري : أيها المتصدق على السائل يرحمه ارحم أولاً  
من ظلمت . وروى عن عبدالله بن سلام قال : قرأت في بعض الكتب :  
قال الله عز وجل « إذا عصاني من يعرفني سلطت عليه من لا يعرفني » .  
قال خالد بن صفوان : إياكم ومجانيق الضمفاء ( يعني الدعاء ) .

### ( ضلله )

قيل : لما قالت التغلبية للجحاف بن حكيم السلمي في وقفته بالبشر  
قروض الله عمادك وأطال مهالك وأقل رقادك فوالله ان قتلت الانساء  
أسافلهم دمي وأعالين ندي ، قال لمن حوله : لولا ان تلد مثلها خلعت  
سبيلها فبلغ ذلك الحسن البصري فقال : أما الجحاف فجدوة من نار جهنم .  
قال ولما بنى زياد بناء البصرة أمر أصحابه أن يسموا من أفواه الناس  
فأتى برجل تلا آية « أتبنون بكل ريع آية تعبثون وتتخذون مصانع  
لعلكم تتخلدون » قال : وما دعائك الى هذا ؟ قال : آية من  
كتاب الله عز وجل خطرت على بابي فتلوتها والله لأعملن فيك بالآية الثانية  
« وإذا بطشتم بطشتم جبارين » ثم أمر به فبنى عليه ركن من أركان  
القصر . قال وبعث زياد الى رجل من بني نعيم فقال : أخبروني بصالحاء

كل ناحية فأخبروه فاختر منهم رجالاً فضمنهم الطريق ، وقال لو ضاع  
بني وبين خراسان حبل لعلت من لقطه . وكان يدفن الناس أحياء وينزع  
أضلاع اللصوص . قال : وقال عبد الملك للحجاج كيف تسير في الباس ؟  
قال : انظر الى عبوز أدركت زيادا فاسألها عن سيرته فاعمل بها ، فاخذ  
والله بسنته حتى ما ترك منها شيئاً . وذكروا أن الحجاج لما أتى المدينة  
ارسل الى الحسن بن الحسن رضي الله عنه : فقال هات سيف رسول الله  
صلى الله عليه وسلم ودرعه قال : لا افعل قال : فجاء الحجاج بالسيف  
والسوط فقال : والله لأضربنك بهذا السوط حتى أقطعه ، ثم لأضربنك  
بهذا السيف حتى تبرد أو تأتيني بها ، فقال الباس : يا أبا محمد لا تعرض  
لهذا الجبار قال : فجاء الحسن بسيف رسول الله صلى الله عليه وسلم ودرعه  
فوضعها بين يدي الحجاج ، فأرسل الحجاج الى رجل من بني أبي رافع  
مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له : هل تعرف سيف رسول الله  
صلى الله عليه وسلم ؟ قال : نعم ، فخلطه بين أسيافه ثم قال : أخرجه ،  
ثم جاء بالدرع فنظر اليها ، ثم قال : هناك علامة كانت على الفضل بن  
العباس يوم اليرموك فطعن بحربة فخرقت الدرع فعرفناها ، فوجد الدرع  
على ما قال فقال الحجاج : أما والله لو لم تجئي به وجئت بغيره لضربت  
به رأسك . وذكروا أن الحجاج قال ذات ليلة لحاجبه : أعس بنفسك  
فمن وجدته فجئني به فلما أصبح أتاه بثلاثة فقال : أصلح الله الأمير ما  
وجدت إلا هؤلاء الثلاثة ، فقال الحجاج لواحد منهم : ما كان سبب  
خروجك بالليل وقد نادى المنادي أن لا يخرج أحد بالليل قال : أصلح الله  
الأمير كنت مكران فغلبني السكر فخرجت ولا أعقل ، ففكر ساعة ثم  
قال : مكران غلبه مكره خلوا عنه لا تهودن ، ثم قال للآخر : فأنت  
ما كان سبب خروجك ؟ قال : أصلح الله الأمير كنت مع قوم في مجلس  
يشربون فرقت بينهم عريضة فخفت على نفسي فخرجت ، ففكر الحجاج  
ساعة فقال : رجل أحب المسألة خلوا عنه ، ثم قال للآخر ما كان سبب

خروجك ؟ فقال : لي والدة عجوز وأنا رجل حمال فرجعت الى بيتي  
فقلت والدتي : ما ذقت الى هذا الوقت طعاما ولا ذواقا فخرجت ألتمس  
لها ذلك فأخذني العسس ، ففكر ساعة ثم قال : يا غلام أضرب عنقه فاذا  
رأته بين رجلية .

### ١١ - محاسن الصبر على الحبس

قال الكسروي : وقع كسرى بن هرمز الى بعض المحبسين : من صبر  
على النازلة كان كمن لم تنزل به ، ومن طول في الحبس كان فيه عطبه ،  
ومن أكل بلا مقدار تلفت نفسه . قيل ودخل ابن الزيات على الافشين  
وهو محبوس فقال يخاطبه :

اصبر لها صبرا أقوام نفوسهم لا تستريح إلى عقل ولا قود

فقال الافشين : من صحب الزمان لم ينج من خيره أو شره ووجد  
الكرامة والهوان ، ثم قال :

لم ينج من خيرها أو شرها أحد

فأذكر شوايبيها إن كنت من أحد

خاضت بك المنية الحقاء غمرتها

فتلك أمواجها ترميك بالزبد

ولعلي بن الجهم لما حبسه المتوكل :

فالت حبيبت فقلت أيس بضائري حبيسي وأي مهند لا يفعد

أَوْ مَا رَأَيْتِ اللَّيْثَ يَا لَفُ غَيْلَهُ  
 وَالنَّارُ فِي أَحْبَارِهَا مَخْبُوءَةٌ  
 وَالْبَدْرُ يُدْرِكُهُ الظَّلَامُ فَتَنْجَلِي  
 وَالزَّاعِمِيَّةُ لَا يُقِيمُ كُؤُوبَهَا  
 غَيْرُ اللَّيَالِي بِادِّثَاتٍ عُودٌ  
 لَا يُؤَيِّسُنَّكَ مِنْ تَفْرِجِ كُرْبِيَّةٍ  
 فَلِكُلِّ حَالٍ مُعَقِّبٌ وَلِرَبِّمَا  
 كَمْ مِنْ عَلِيلٍ قَدْ تَخَطَّاهُ الرَّدَى  
 صَبْرًا فَإِنَّ الْيَوْمَ يَعْقُبُهُ غَدٌ  
 وَالْحَبْسُ مَا لَمْ تَفْشِهِ لِذَنْبِيَّةٍ  
 لَوْ لَمْ يَكُنْ فِي الْحَبْسِ إِلَّا أَنَّهُ  
 يَبْتَئِجِدُ لِلْكَرِيمِ كِرَامَةً  
 أَبْلَغُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَدُونَهُ  
 أَنْتُمْ بَنُو عَمِّ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ  
 مَا كَانَ مِنْ حُسْنٍ فَأَنْتُمْ أَهْلُهُ

كُرِّمَتْ مَغَارِسُكُمْ وَطَابَ الْمُعْتَدُ

أَمِنَ السُّوِيَّةُ يَا أَبْنَ عَمِّ مُحَمَّدٍ  
 حَضَمَ تَقَرُّبُهُ وَأَخْرَجَ يُعَدُّ

يَا أَحْمَدَ ابْنَ أَبِي دَوَادٍ إِنَّمَا      تُدْعَى لِكُلِّ كَرِيهَةٍ يَا أَحْمَدُ  
 إِنَّ الدِّينَ سَعَوْا إِلَيْكَ بِبَاطِلٍ      أَعْدَاةُ نِعْمَتِكَ الَّتِي لَا تُجْعَدُ  
 شَهِدُوا وَغَبْنَا عَنْهُمْ فَتَحَكَّمُوا      فِيمَا وَلَيْسَ كِفَاؤُهَا مَنْ يَشْهَدُ  
 لَوْ يَجْمَعُ الْخُصَمَاءُ عِنْدَكَ مَنْزِلُ      يَوْمًا لَبَانَ لَكَ الطَّرِيقُ الْأَرْشَدُ  
 وَالشَّمْسُ لَوْ لَا أَنَّهَا مَحْجُوبَةٌ      عَنْ نَظَرَيْكَ لَمَا أَضَاءَ الْفَرْقَدُ

(ضده)

أنشدنا عاصم بن محمد الكاتب لنفسه لما حبسه أحمد بن عبد العزيز  
 ابن أبي دلف قوله :

قَالَتْ حُبِسْتَ فَقُلْتُ خَطْبٌ أَنْكَدُ  
 أَنْحَى عَلَيَّ بِهِ الزَّمَانُ الْمُرْصَدُ  
 لَوْ كُنْتُ حُرًّا كَانَ سَرِّي مُطْلَقًا  
 مَا كُنْتُ أُحْبَسُ عَنْوَةً وَأَقِيدُ  
 لَوْ كُنْتُ كَالسَّيْفِ الْمُهَنْدِ لَمْ يَكُنْ  
 وَقْتُ الْكَرِيهَةِ وَالشَّدَائِدِ يُفْعَدُ  
 لَوْ كُنْتُ كَاللَّيْثِ الْهَيَّوْرِ لَمَا رَعَتْ  
 فِي الذَّنَابِ وَجَدَوْتِي تَتَوَقَّدُ

من قال إنَّ الحَبْسَ نَيْتٌ كَرَامَةٌ  
 ما الحَبْسُ إِلَّا نَيْتٌ كُلُّ مَهَانَةٍ  
 إِنْ زَارَنِي فِيهِ الْعَدُوُّ فَشَامَتْ  
 أَوْ زَارَنِي فِيهِ الْمُحِبُّ فَمُوجِعٌ  
 يَكْفِيكَ أَنْ الْحَبْسَ نَيْتٌ لَا يُدْرِي  
 تَمْنِي اللَّيَالِي لَا أَذُوقُ لِرَقْدَةٍ  
 فِي مُطَبَقٍ فِيهِ النَّهَارُ مُشَاكِلٌ  
 فَإِلى مَتَى هَذَا الشَّقَاءُ مُؤَكَّدٌ  
 مَا لي مُجِيرٌ غَيْرُ سَيِّدِي الَّذِي  
 غَدَيْتُ مُحْشَاةً مُهْجَتِي بِنَوَافِلِ  
 عِشْرِينَ حَوْلًا عِشْتُ تَحْتَ جَنَاحِهِ  
 فَخَلَا الْعَدُوُّ بِمَوْضِعِي مِنْ قَلْبِهِ  
 فَاعْفِرْ لِعَبْدِكَ ذَنْبَهُ مُتَطَوِّلاً  
 وَأَذْكَرْ خِصَائِصَ خِدْمَتِي وَمَقَاوِمِي  
 فَمُكَاثِرٌ فِي قَوْلِهِ مُتَجَلِّدٌ  
 وَمَذَلَّةٌ وَمَكَارِهِ لَا تَنْفَدُ  
 يُبْذِرِي التَّوَجُّعَ تَارَةً وَيُفْنِدُ  
 يَذْرِي الدَّمُوعَ بِزُفْرَةٍ تَتَرَدَّدُ  
 أَحَدٌ عَلَيْهِ مِنَ الْخَلَائِقِ يُجْسِدُ  
 طَعْمًا وَكَيْفَ يَذُوقُ مَنْ لَا يَرْقُدُ  
 لِلَّيْلِ وَالظُّلُمَاتِ فِيهِ سَرْمَدٌ  
 وَإِلى مَتَى هَذَا الْبَلَاءُ مُجَدِّدٌ  
 مَا زَالَ يَكْفُلُنِي فَنِعْمَ السَّيِّدُ  
 مِنْ سَيِّبِهِ وَصَنَائِعِ لَا تُجْحَدُ  
 عَيْشَ الْمُلُوكِ وَحَالَتي تَتَزَيَّدُ  
 فَحِشَاهُ جَمْرًا نَارُهُ تَتَوَقَّدُ  
 فَالْحَقُّ مِنْكَ سَجِيَّةٌ لَا تُعْهَدُ  
 أَيَّامٌ كُنْتُ جَمِيعَ أَمْرِي تَحْمَدُ

وقال عبدالله بن معاوية بن عبدالله بن جعفر بن أبي طالب رضي الله

عنه :

خَرَجْنَا مِنَ الدُّنْيَا وَنَحْنُ مِنْ أَهْلِهَا      فَلَسْنَا مِنَ الْأَمْوَاتِ فِيهَا وَلَا الْأَحْيَاءِ

إِذَا دَخَلَ السَّجَّانُ يَوْمًا لِحَاجَةٍ  
وَتَفَرَّحُ بِالرُّؤْيَا فَجُبُلٌ حَدِيثِنَا

إِذَا نَحْنُ أَصْبَحْنَا الْحَدِيثُ عَنِ الرُّؤْيَا  
فَإِنْ حَسُنَتْ كَانَتْ بَطِينًا مَجِيئَهَا

وَإِنْ قُبِحَتْ لَمْ تُتَنَتَّرْ وَأَنْتِ سَعِيَا

وقال آخر :

مُتَقِيمِينَ فِي الدُّنْيَا وَقَدْ فَارَقُوا الدُّنْيَا  
وَلَمْ يَعْرِفُوا غَيْرَ الشَّدَاثَةِ وَالْبَلَاوَى

أَلَا أَحَدٌ يَدْعُو لِأَهْلِ مَحَلَةٍ  
كَأَنَّهُمْ لَمْ يَعْرِفُوا غَيْرَ دَارِهِمْ

وقال ابن المعتز :

وَكُنْتُ أَمْرًا قَبْلَ حَبْسِي مَلِكٌ  
وَمَا ذَاكَ إِلَّا بِدَوْرِ الْفَلَكَ  
تَكَادُ تُلَاصِقُ ذَاتَ الْحُبِّكَ  
أَوْ قَعْنَهُ فِي حِبَالِ الشَّرْكَ  
وَمِنْ قَعْرِ بَحْرِ يُصَادُ السَّمَكُ

تَعَلَّمْتُ فِي السُّجْنِ نَسِجَ التَّكَلُّفِ  
وُقِيدْتُ بِمَدْرُكِ كُوبِ الْجِيَادِ  
أَلَمْ تُبْصِرِ الطَّيْرَ فِي جَوْهَا  
إِذَا أَبْصَرَتْهُ خُطُوبُ الزَّمَانِ  
فَهَذَاكَ مِنْ حَالِكٍ قَدْ يُصَادُ

ووجد في البيت الذي قتل فيه مكتوب بخطه على الأرض :

خَانَكَ بَعْدَ طَوَالِ الْأَمْنِ دُنْيَاكَ  
طُوبَاكَ يَا لَيْتَنِي إِيَّاكَ طُوبَاكَ

يَا نَفْسُ صَبِرَا لَعَلَّ الْخَيْرَ عُقْبَاكَ  
مَرَّتْ بِنَا سَحَرًا طَيْرٌ فَقُلْتُ لَهَا



وقال أعرابي :

وَلَمَّا دَخَلْتُ السُّجْنَ كَبَّرَ أَهْلُهُ      وَقَالُوا أَبُو آيَلَى اللِّغْدَاءِ حَزِينُ  
وَفِي البَابِ مَكْتُوبٌ عَلَى صَفْحَاتِهِ      بِأَنَّكَ تَنْزَوُ ثُمَّ تَسُوفُ نَلِينُ

وفي الحديث الرفوع ( ان يوسف عليه السلام شكوا إلى الله تعالى طول الحبس فأوحى إليه أنت حيث تفك حين قلت : رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْهَا يَدْعُونِي إِلَيْهِ ) ولو قلت العافية أحب إلي لعوفيت . قال : وكتب يوسف عليه السلام على باب السجن : هذه منازل البلوى وقبور الأحياء وشهانة الأعداء وتجربة الأصدقاء .

## ١٢ - محاسن المودة

قال بعض الحكماء : ليس للانسان تنعم الا بمودات الاخوات وقال آخر : الازدياد من الاخوان زيادة في الآجال وتوفير لحسن الحال . وقيل : عاشروا الناس معاشرة ان عشم حنوا اليكم وإن متم بكوا عليكم . وقال :

فَدَيْمُكَ النَّاسُ حِينَمَا لَيْسَ بَيْنَهُمْ      وَدَلَّ فَيَزُرُّعُهُ النَّسْلِيمُ وَاللُّطْفُ  
يُسَلِّي الشُّقِيقِينَ طُولُ النَّأْيِ بَيْنَهُمَا      وَتَلْتَقِي شَعْبٌ شَتَّى فَتَأْتِي

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه لابنه الحسين : ابدل صدقك كل المودة ولا تطمئن اليه كل الضمانية واعطه كل المرواة ولا تقش اليه كل الأسرار . وقال العباس بن جرير : تولد تعاصف القلوب وتتلاف الأرواح وأنس النفوس ووحشة الأشخاص عند تنائي القساة وظهور السرور بكثرة التزاور وعلى حسب مشاكلة جواهر يكون الاتفاق في الخصال .

وقال بعضهم : من لم يواخ من الاخوان الا من لا عيب فيه قبل  
صديقه ومن لم يرض من صديقه الا بايثاره اياه على نفسه دام سخطه ومن  
عاقب على غير ذنب كثر عدوه . وكان يقال : أعجز الناس من فرط في  
طلب الاخوان . وقال الشاعر في مثله :

لَمَرُّكَ مَا مَالُ الْفَتَى بِدَخِيرَةٍ      وَلَكِنْ إِخْوَانِ النَّقَاتِ الدَّخَائِرُ

(ضده)

قال المأمون : الاخوان ثلاث طبقات : طبقة كالغذاء لا يستغني عنه  
وطبقة كالدواء يحتاج اليه أحيانا وطبقة كالداء الذي لا يحتاج اليه . وكتب  
بعض الكتاب ان فلانا أولاني جميلا من البشر . قرونا بلطيف من الخطاب في  
سط وجه واين كنف ، فلما كشفه الامتحان بسير الحاجة كان كالتابوت  
المطلبي عليه بالذهب المملوء بالعدرة أعجبتك حسنه ما دام مطبقاً فلما فتح  
آذاك نتنه فلا أبعد الله غيره ، وما قيل في ذلك :

وَاللَّهِ لَوْ كَرِهَتْ كَفِّي مُنَادِمَتِي      لَقَلْتُ لَلْكَفِّ بَيْنِي إِذْ كَرِهْتَنِي

وقال آخر :

وَلَوْ أَنِّي تَخَالَفْتَنِي سَمَائِي      لَمَّا أَتَبَعْتُهَا أَبَدًا يَمِينِي  
إِذَا لَقَطَعْتُهَا وَأَلَقْتُ بَيْنِي      كَذَلِكَ أَنْجَتَوِي مَنْ يَجْتَوِينِي

وقال آخر

مَنْ لَمْ يُرِدْكَ فَلَا تُرِدْهُ      لِيَكُنْ كَمَنْ لَمْ تَسْتَفِدْهُ  
بَاعِدْ أَخَاكَ بِبُعْدِهِ      فَإِذَا نَأَى شِبْرًا فَرِدْهُ

وقال آخر :

أودُّكَ إنَّ الرَّأْيَ مِنْكَ لِعَازِبٍ  
وَلَكِنْ أَخِي مَنْ وَدَّ نِي وَهُوَ عَائِبٌ

إِلَّا الرَّجَاءُ وَمِمَّا يُخْطِيهِ النَّظَرُ  
حَرِزًا يُبَادِرُهُ إِذْ بَلَهُ الْمَطَرُ

أَشْفَقَ مِنْ وَالِدٍ عَلَى وَادٍ  
لَيْسَتْ بِنَا وَحِشَّةٌ إِلَى أَحَدٍ  
أَوْ كَذِرَاعٍ نِيَطَتْ إِلَى عَضُدٍ  
حَظِي وَحَلَّ الزَّمَانُ مِنْ عُقْدِي  
عَيْنِي وَدَمِي بِسَاعِدِي وَبِيَدِي  
كُنْتُ كَمَا سَتَرَ قَدِيدَ الْأَسَدِ

أَقَمَهُ بِأَطْرَافِ الْبَنَانِ  
فَلَمَّا أَشْتَدَّ سَاعِدُهُ رَمَانِي  
فَلَمَّا طَسَّرَ شَارِبُهُ جَفَانِي  
فَلَمَّا صَارَ شَاعِرَهَا هَجَانِي

تَوَدُّ عَدُوِّي نَمَّ تَرَعَمُ أَنِّي  
وَأَيْسَ أَخِي مَنْ وَدَّ نِي رَأْيَ عَيْنِهِ  
وَقَالَ آخِرُ :

إِنَّ اخْتِيَارَكَ لَأَعْنِ خَيْرَةٌ سَلَفَتْ  
كَالْمُسْتَفِيثِ بِيَطْنِ السَّبِيلِ بِحَسْبِهِ  
وَقَالَ آخِرُ :

وَصَاحِبٍ كَانَ لِي وَكُنْتُ لَهُ  
وَكَانَ لِي مُؤْنِسًا وَكُنْتُ لَهُ  
كُنَّا كَسَاقٍ مَشَتْ بِهَا أَدَمٌ  
حَتَّى إِذَا أَمَّاكَ الْخُدُودِثُ مِنْ  
إِزْوَرٍ عَنِّي وَكَانَ يَنْظُرُ مِنْ  
حَتَّى إِذَا اسْتَرَفَدَتْ يَدِي يَدَهُ  
وَقَالَ آخِرُ :

فِي عَجَبًا لِمَنْ رَبَيْتُ طِفْلًا  
أَعْلَمُهُ الرَّمَايَةَ كُلَّ يَوْمٍ  
أَعْلَمُهُ الْفُتُوَّةَ كُلَّ حِينٍ  
أَعْلَمُهُ الرِّوَايَةَ كُلَّ وَقْتٍ

## ١٣ - محاسن الولايات

سئل عمار بن ياسر رضي الله عنه عن الولاية فقال : هي حلوة الرضاع مرة القطام . وذكروا أنه كان سبب عزل الحجاج بن يوسف عن المدينة ، وقد وفد من أهل المدينة منهم عيسى بن طلحة بن عبيد الله على عبد الملك ابن مروان ، فأثروا على الحجاج وعيسى ما كنت ، فلما قاموا ثبت عيسى حتى خلاله وجه عبد الملك ، فقام فجلس بين يديه فقال : يا أمير المؤمنين من أنا ؟ قال عيسى بن طلحة بن عبيد الله قال فمن أنت ؟ قال عبد الملك بن مروان قال أفجملتنا أو تغيرت بعدنا ؟ قال : وما ذاك ؟ قال وليت علينا الحجاج بن يوسف يسير بالباطل ويحملنا على أن نشني عليه بغير الحق والله لئن أعدته علينا لنعصينك وإن قاتلتنا وغلبتنا وأسأت إلينا قطعت أرحامنا ، ولئن قورينا عليك لنعصينك ملكك فقال له عبد الملك : انصرف والزم بيتك ولا تذكرن من هذا شيئاً قال : فقام إلى منزله وأصبح الحجاج غادياً إلى عيسى بن طلحة فقال : جزاك الله عن خلوتك بأمرير المؤمنين خيراً فقد أبدلني بكم خيراً وأبدلكم بي غيري وولاني العراق . وعن معمر بن وهيب قال : كان عبد الملك عندما استمعى أهل العراق من الحجاج قال لهم : اختاروا أي هذين شئتم - يعني أخاه محمد بن مروان وابنه عبد الله بن عبد الملك - مكان الحجاج ؟ فكتب إليه الحجاج : يا أمير المؤمنين إن أهل العراق استمعوا عثمان بن عفان من سعيد بن العاص فأعفاهم منه فساروا إليه من قابل وقتلوه ، فقال : صدق ورب الكعبة وكتب إلى محمد وعبد الله بالسمع والطاعة له .

( ضده )

كتب عبد الصمد بن المذل إلى صديق له ولي النفاطات ، أظهرتها :

لَعَمْرِي لَقَدْ أَظْهَرْتَ تَيْهًا كَأَنَّمَا  
 دَعَى الْكِبَرَ وَأَسْتَبِقَ التَّوَاضِعَ إِنَّهُ  
 لِحِفْظِ عُيُونِ النَّفْطِ أَحْدَثَ نَعْوَةً  
 تَوَانَيْتَ لِلْفَضْلِ بْنِ مَرْوَانَ عُكْبَرًا  
 قَبِيحٌ بُوَالِي النَّفْطِ أَنْ يَتَغَيَّرَا  
 فَكَيْفَ بِهِ كَوْنُكَ كَانَ مَسْكَوًا وَعَنْبَرًا

وقال ابن المعتز :

كَمْ تَأْتِيهِ بُولَابِيَّةٌ  
 وَسُكْرُ الْوِلَابِيَّةِ طَيْبٌ  
 وَبِعَزْلِهِ يَعْدُو الْبَرِيدُ  
 وَخَمَارُهُ صَعْبٌ شَدِيدٌ

وقال آخر :

لَا تَفْرَحَنَّ فِكْلُكَ وَالْإِيْزَلُ  
 وَكَذَا الزَّمَانُ بِمَا يَسُرُّكَ تَارَةً  
 وَكَمَا عَزَلْتَ فَعَنْ قَرِيبٍ تُقْتَلُ  
 وَبِمَا يَسُوءُكَ تَارَةً يَتَسَقَلُ

#### ١٤ - محاسن الصعبة

قيل : قال علقمة بن ليث لابنه : يا بني ان نازعتك نفسك الى الرجال يوماً لحاجتك اليهم فاصعب من ان صعبت زانك وان تحققت له مائك وان نزلت بك مؤونة مائك ، وان قلت صدق قولك وان صلت شدد حوالك اصعب من اذا مددت اليه يدك لفضل مدها ، وان رأى منك حسنة عدها ، وان بدت منك ثمة مدها واصعب من لا تأتيك منه البوائق ، ولا تختلف عليك منه الطرائق ولا يخذلك عند الحقائق . وقال آخر اصعب من حوالك نفسه ومللك خدمته وتخريك لزمانه فقد وجب عليك حقه وذيماه . وكان يقال : من قبل صلتك فقد باعك مروءته وأذل لقدرك عزه . وقال بعضهم لصاحبه : انا أطوع لك من اليد وأذل من العمل . وقال بعضهم : اذا رأيت كلباً ترك صاحبه وتيمك فارجه فانه تاركك كما ترك صاحبه .

وقال ابن أبي دواد لرجل انقطع الى محمد بن عبد الملك الزيات : ما خبرك مع صاحبك ؟ فقال لا يقصر في الاحسان الي فقال : يا هذا ان لسان حالك يكذب لسان مقالك .

### ( ضده )

قال : كان يوسف بن عمر الثقفي يتولى العرافين فشم بن عبد الملك وكان مذموماً في عمله وخبرني المدائني قال : وزن يوسف بن عمر درهما فنقص حبة فكتب الى دور الضرب بالعراق يضرب أهلها مائة . قيل وخطب في مسجد الكوفة فتكلم انسان مجنون فقال : يا أهل الكوفة ألم أنكم أن تدخلوا مساجدكم المجانين اضربوا عنقه فضربت عنقه . قال : وقال لهم ابن يحيى وكان عاملاً له : يا فاسق خربت مہرجا نقدق قال : اني لم أكن عليها انا كنت على مائة دينار وعمرت البلاد فأعاد ذلك عليه مراراً فقال همام قد أخبرتك اني كنت على مائة دينار وتقول : خربت مہرجا نقدق فلم يزل يعذبه حتى مات . قال : وقال لسكانه وقد احتبس عن ديوانه يوماً : ما حبسك ؟ قال : اشتكيت خرسني قال : نشتكيت خرسك وتعمد عن الديوان ودعا الحجام وأمره أن يقطع خرسين من أضراسه . وعن المدائني قال : حدثني رضيع كان ليوسف بن عمر من بني عيس قال : كنت لا أحجب عنه وعن خدمته فدعا ذات يوم بجوار له ثلاث ودعا بنحسي له يقال له حديج فقرب اليه واحدة فقال لها : اني أريد الشخص أو أأخلفك أو أشخصك ، عي ؟ فقالت : صحبة الامير أحب الي والكني أحب أن مقامي وتخلفي أعنى وأخف على قلبه فقال : أحببت التخلف للفقير يا حديج أضرب فضرها حتى أوجعها ثم أمره أن يأتيه بالثانية وقد رأت ما لقيت صاحبها فقال لها : اني أريد الشخص أو أأخلفك أم أخرجك ؟ فقالت : ما أعدل بصحبة الأمير شيئاً بل تخرجني قال : أحببت الجماع ما تريد أن يفوتك ليلة يا حديج أضرب فضرها حتى

أوجعها ثم أمره أن يأتيه بالثالثة وقد رأت ما لقيت المتقدمتان فقال لها :  
 اني أريد الشخص أو فأحلفك أم أخرجك : قالت ؟ الأمير أعلم أينظر أخف  
 الأمرين عليه فليفعله قال اختاري لنفسك قالت ما عندي اختيار فليختار  
 الأمر قال : قد فرغت من كل عمل فلم يبق لي الا أن اختار لك أوجعها  
 يا حديج فضربها حتى أوجعها فقال الرجل فكأنما أوجعني من شدة غيظي  
 عليه فقلت الجارية فبعتها الخادم ، فلما بعدت قالت : الحيرة والله في فراقك  
 ما تقرعين أحد بصحبتك لم يفهم يوسف كلامها فقال ؟ ما تقول يا حديج  
 قال : قالت كذا وكذا فقال يا بن الحبيثة من أمرك أن تعلمني يا غلام  
 خذ السوط من يده فأوجع رأسه فما زال يضربه حتى اشتفى فتعرف من  
 الغلام الآخر كم ضربت ؟ قال لا أدري قال : عدو الله أنخرج حاصل  
 من بيت مالي من غير حساب اقتلوه فقتلوه ( ١ )

### ١٥ - محاسن التطير

عن عكرمة قال : كنا جلوساً عند ابن العباس وابن عمر فطار غراب  
 يصيح فقال رجل من القوم : خير خير ، فقال ابن العباس : لا خير ولا  
 شر والذي حضرنا من الشعر في مثله لأبي الشيص :

ما فرَّقَ الأَحْبَابَ بَعْدَ اللَّهِ إِلَّا الإِبِلُ  
 وَالنَّاسُ يَلْحُونَ غُرَا بَ السَّبِينِ لَمَّا جَهِلُوا  
 وَمَا عَلَى ظَهْرِ غُرَا بَ السَّبِينِ تُطَوَّى الرَّحْلُ

( ١ ) - هكذا في الاصل مستندة الى يوسف بن عمر ، وامها من أخبار الحجاج كما في غير  
 هذا الكتاب .

ولا إذا صاح غُرا  
وما غُرابُ البينِ إ  
ب في الديار أرْتَحَلُوا  
لأ ناقة أو جملُ

وقال آخر :

أترحلُ عمن أنت صبُّ بمثله  
أقم فغُرابُ البينِ غيرُ مُفَرَّقِ  
وتلحى غُرابُ البينِ إنك تظلمُ  
ولا يأتني إلا على الفضلِ يحكمُ

وقال آخر :

غلطَ الدينَ رأيتهم بجهالة  
ما الذنبُ إلا للجبالِ فإنها  
إن الغُرابَ بيمنه يُدني النوى  
يلحونَ كلُّهم غراباً ينقُ  
مما يشتتُ شملهم ويفرقُ  
وتشتتُ الشملَ أجمع الأنيقُ

وقال آخر :

لا يعلمُ المرءُ ليلاً ما يُصبِّحه  
والفألُ والزجرُ والكهانُ كلُّهم  
إلا كواذبُ مما يُخبرُ الفألُ  
مُضللونَ ودونَ الغيبِ أفعالُ

(ضده)

حكى عن النعمان بن المنذر أنه خرج متصيداً ومعه عدي بن زيد  
العبادي فمر بأرام - وهي القبور - فقال عدي : أبيت اللعن أتدري ما  
تقول هذه الآرام ؟ قال : لا ، قال : إنما تقول :

أيها الركبُ المَخْفُو  
لكما كنتم فكنَّا  
ن على الأرض تمرُّونَ  
وكما كنا نكونونَ



فقال : أعد فأعادها فترك صيده ورجع كئيباً . وخرج معه مرة أخرى فوقف على آرام بظهر الحيرة فقال عدي : أبيت اللعن أتدري ما تقول هذه الآرام ؟ قال لا قال انها تقول :

رُبَّ رَكْبٍ قَدْ أَنَاخُوا عِنْدَنَا      يَشْرَبُونَ الْخَمْرَ بِالْمَاءِ الزَّلَالِ  
نَمَّ أَضْحَوْا عَصَفَ الدَّهْرِ بِهِنَّ      وَكَذَلِكَ الدَّهْرُ حَالًا بَعْدَ حَالٍ

فانصرف وتوك صيده . قال ولما خرج خالد بن الوليد الى أهل الردة انتهى الى حي من تغلب فأغار عليهم وقتلهم ، وكان رجل منهم جالساً على شراب له وهو يعني بهذا البيت :

أَلَا عَلَّلَانِي قَبْلَ جَيْشِ أَبِي بَكْرٍ      لَعَلَّ مَنَايَانَا قَرِيبٌ وَمَا نَدْرِي

فوقف عليه رجل من أصحاب خالد ف ضرب عنقه فاذا رأسه في الجفنة التي كانت يشرب منها . وهذا كفولهم :

إِنَّ الْجَبَاءَ مُوَكَّلٌ بِالْمَنْطِقِ

١٦ - محاسن الوفاء.

قيل في المثل . أوفى من فكيهة ، وهي امرأة من بني قيس بن ثعلبة كان من وفائها أن السليك بن ملكة غزا بكر بن وائل فلم يجد غفلة يلتسبها ، فخرج جماعة من بكر فوجدوا أثر قدم على الماء فقالوا : ان هذا الاثر قدم ورد الماء ، ففعدوا له فلما وافي حملوا عليه فعدا حتى ولج قبة فكيهة فاستجار بها فأدخلته تحت درعها فانترعوا خمارها فنادت إخوتها فبجاءوا عشرة فمنعوا منها قال : وكان سليك يقول : كأنني أجد خشونة شعر

استها على ظهري حين أدخلتني تحت درعها : وقال

أَعْمُرُ أَيْبِكَ وَالْأَنْبِيَاءُ تَنْمِيهِ      كَنِعَمَ الْجَارُ أَنْتُ بَنِي عُوَارَا  
 مِنَ الْخَنَرَاتِ لَمْ تَفْضَحْ أَحَاهَا      وَلَمْ تَرْفَعِ لِوَالِدِهَا سَنَارَا  
 عَنَيْتُ بِهِ فُكَيْهَةً حِينَ قَامَتْ      لِنَصْلِ السَّيْفِ فَأَنْتَ زَهْوِ الْخِيَارَا

ويقال أيضاً : هو أوفى من أم جميل ، وهي من رهط ابن أبي بردة من دوس ، وكان من وفاتها أن هشام بن الوليد بن المغيرة الخزومي قتل رجلا من الأزد فبلغ ذلك قومه بالسراة فوثبوا على ضرار بن الخطاب الفهري ليقتلوه فعدا حتى دخل بيت أم جميل وعاذ بها ، فقامت في وجوههم ودعت قومها فمنعوه لها ، فلما ولي عمر بن الخطاب ظنت أنه أخوه فأته بالمدينة فلما انتسبت له عرف القصة فقال : إني لست بأخيه إلا في الإسلام وهو غاز وقد عرفنا منتك عليه وأعطاها على أنها ابنة سبيل ويقال : أوفى من السموءل بن عاديا ، وكان من وفاته أن امرأ القيس بن حجر لما أراد الخروج إلى قيصر استودع السموءل دروعاً له فلما مات امرؤ القيس غزاه ملك من ملوك الشام فتحرز منه السموءل فأخذ الملك ابناً له خارج الحصن وصاح يا سموءل هذا ابنك في يدي وقد علمت أن امرأ القيس ابن عمي وأنا أحق بيراثه فان دفعت إلى الدروع وإلا ذبحت ابنك فقال : أجلني فأجله ، فجمع أهل بيته فشاورهم فكلمهم أشاروا بدفع الدروع وأن يستنقذ ابنه ، فلما أصبح اشرف عليه وقال : ليس لي إلى دفع الدروع سبيل فاصنع ما أنت صانع فذبح الملك ابنه وهو ينظر إليه وكان يهوديا ، وانصرف الملك ووافى السموءل بالدروع الموسم فدفعها إلى ورثة امرئ القيس : وقال في ذلك :

وَفَيْتُ بِأَدْرَعِ الْكَنْدِيِّ إِنْ      إِذَا مَا خَانَ أَقْوَامٌ وَفَيْتُ

وقالوا عنده كُنزٌ رهيبٌ  
بني لي عادياً حصناً حصيناً  
فلا وأبيك أغدر ما مشيتُ  
رِبْرأ كُلماً شئتُ أُستقيتُ

وفي ذلك يقول الاعشى :

كُنْ كَمَا سَمَوْا لِي إِذْ طَافَ الْمُهَيَّمُ بِهِ  
بِالْأَبْلِيقِ الْفَرْدِ مِنْ تَيْمَاءَ مَنْزِلُهُ  
خَيْرُهُ مَخْطَى خَسْفٍ فَقَالَ لَهُ  
فَقَالَ مُنْكَلٌ وَعَدْرٌ أَنْتَ بَيْنَهُمَا  
فَشَكَ غَيْرَ طَوِيلٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ  
فِي جَحْفَلٍ كَسْوَادِ اللَّيْلِ جَوَارٍ  
حِصْنٌ حَصِينٌ وَجَارٌ غَيْرٌ غَدَّارٍ  
مَهْمَا تَقُولَنْ فَإِنِّي سَامِعٌ حَارٍ  
فَاخْتَرِ فَمَا فِيهَا حَظٌّ لِمُخْتَارٍ  
أَقْتُلُ أُسِيرَكَ إِنِّي مَانِعٌ جَارِي

ويقال : أوفى من الحارث بن عباد ، وكان من وفائه أنه أسر عدي ابن ربيعة ولم يعرفه فقال له : دلني على عدي بن ربيعة ولك الأمان فقال : انا آمن إن دلتك عليه ، قال : نعم قال فانا عدي بن ربيعة فخلاه ، وفي ذلك يقول الشاعر :

لَهْفَ نَفْسِي عَلَى عَدِيٍّ وَقَدْ شَا  
رَفَهُ الْمَوْتُ وَأَجْتَوَنَهُ الْمَنُونُ

ويقال : هو أوفى من عوف بن محلم ، وكان من وفائه أن مروان القرظ غزا بكر بن وائل ففضوا جيشه وأسره رجل منهم وهو لا يعرفه فأتى به أمه فقالت : انك تحتال بأسيرك كأنك جئت بمروان القرظ فقال لها مروان : وما ترجين من مروان ؟ قالت : عظم فدائه قال : وكم ترجين من فدائه ؟ قالت : مائة بعير قال مروان : لك ذلك على ان توديني الى خماعة بنت عوف بن محلم قالت : ومن لي بالمائة فأخذ عوداً من الارض وقال هذا لك فمضت به الى بيت عوف ، فاستجار خماعة ابنته فبعثت به

الى عوف ثم ان عمرو بن هند بعث الى عوف ان ياتيه بمروان وكان واجداً عليه في شيء فقال عوف لرسوله : ان سخاعة ابنتي قد اجارته ، فقال : إن الملك قد آلى ان يعفو عنه او يضع كفه في كفه ، فقال عوف : يفعل ذلك على ان تكون كفي بين أيديها ، فأجابه عمرو الى ذلك فجاء عوف بمروان فأدخله عليه فوضع يده في يده ووضع يده بين أيديها فعفا عنه . ومنهم الطائي صاحب النعمان ابن المنذر ، وكان من وفائه ان النعمان ركب في يوم بؤسه وكان له يومان يوم بؤس ويوم نعيم لم يلقه أحد في يوم بؤسه إلا قتله ولا في يوم نعيمه إلا أحياء وحباه وأعطاه ، فاستقبله في يوم بؤسه اعرابي من طيء فقال : حيا الله الملك ان لي صبية صفاراً لم أوص بهم أحداً فان رأى الملك ان يأذن لي في اتيانهم وأعطيه عهد الله ان ارجع اليه اذا اوصيت بهم حتى اضع يدي في يده ، فرق له النعمان وقال له : لا إلا ان يضمنك رجل بمن معنا فان لم تأت قتلناه ، وكان مع النعمان شريك بن عمرو بن شراحيل فنظر اليه الطائي وقال :

يا شريك ابن عمرو هل من الموت محالة  
يا أخا كل مضاف يا أخا من لا أخاله  
يا أخا النعمان فك اليوم عن شيخ غلالة  
ابن شيبان قبيل أصلح الله فعالة

فقال شريك : هو علي اصلح الله الملك ، فمضى الطائي واجل له اجلا يأتي فيه فلما كان ذلك اليوم أحضر النعمان شريكاً وجعل يقول له : ان صدر هذا اليوم قد ولي وشريك يقول : ليس لك علي ميل حتى نمسي فلما امسوا أقبل شخص والنعمان ينظر إلى شريك ، فقال شريك : ليس لك علي ميل حتى يدنو الشخص فلهذا صاحبي ، فيينا هما كذلك إذا قبل

الطائي فقال النعمان : والله ما رأيت أكرم منكما وما ادري أيكما أكرم  
أهذا الذي ضمنك وهو الموت أم انت وقد رجعت الى القتل ؟ والله لا أكون  
الأم الثلاثة فأطلقه وأمر برفع يوم يؤسه ، وأنشد الطائي :

وَلَقَدْ دَعَتْنِي لِلْخِلَافِ عَشِيرَتِي فَأَبَيْتُ عِنْدَ تَجَمُّهِمُ الْأَقْوَالِ  
إِنِّي أَمْرٌ مِثِّي أَوْفَاءُ سَجِيَّةٌ وَفِعَالٌ كُلُّ مُهَذَّبٍ بَدَالِ

فقال النعمان : ما حملك على الوفاء قال : ديني قال : وما دينك ؟  
قال : النصرانية قال : اعرضها علي فعرضها عليه فنصر النعمان .

(ضده)

قيل : كتب صاحب بريد همدان الى المأمون وهو بخراسان يعلمه أن  
كان صاحب البريد المعزول أخبره ان صاحبه وصاحب الخراج كانا تواطأا  
على اخراج مائتي الف درهم من بيت المال واقسامها بينها ، فوقع المأمون :  
إننا نرى قبول السعاية شراً من السعاية لأن السعاية دلالة والقبول اجازة  
وليس من دل على شيء كمن قبله وأجازته ، فأنتف الساعي عند ذلك وقال :  
يا امير المؤمنين رضي الله عنك المذرة فان الساعي وإن كان في سعائه  
صادقاً لقد كان في صدقه لئياً ، اذ لم يحفظ الحرمة ولم يف اصاحبه . قال :  
ودخل رجل على سليمان بن عبد الملك فقال : يا امير المؤمنين عندي نصيحة  
قال : وما نصيحتك هذه ؟ قال : فلان كان عاملاً ليؤيد بن معاوية وعبد  
الملك والوليد فخانهم فيما تولاه ثم اقتطع اموالا كثيرة جليلة فمر باستخراجها  
منه ، قال : أنت شر منه وأخون حيث اطلعت على أمره وأظهرته ولولا  
أبي أنقر النصح لعاقبتك ولكن اختر مني خصلة من ثلاث ، قال : اعرضهن  
يا امير المؤمنين ، قال : ان شئت فتشنا عما ذكرت ، فان كنت صادقاً  
مقتناك ، وان كنت كاذباً عاقبتك ، وان امتقت أفلناك ، فاستقاله الرجل .

## ١٧ - محاسن السخاء

روي عن نافع قال : لقي يحيى بن زكريا عليه السلام ابلدس لعنه الله فقال : أخبرني بأحب الناس اليك وأبغضهم اليك . قال : أحبهم إلي كل مؤمن بخيل وأبغضهم إلي كل منافق سخي قال : ولم ذاك ؟ قال : لان السخاء خلق الله الاعظم فأخشى ان يطلع عليه في بعض سخائه فيغفر له . وقال النبي صلى الله عليه وسلم ( السخي قريب من الله قريب من الناس بعيد من النار والبخل بعيد من الله بعيد من الجنة قريب من النار ، والجاهل سخي احب الى الله عز وجل من عابد بخيل وأدوا الداء البخل ) وقال صلى الله عليه وسلم ( ما أشرفت شمس إلا ومعها ملكان يناديان يسمعان الخلائق غير الجن والإنس وهما الثقلان : اللهم عجل لمنفق خلفاً ولمسك تلفاً وملكاً يناديان : أيها الناس هلموا الى ربكم فان ما قل وكفى خير مما كثر وألهي ) وعن الشعبي قال : قالت ام البنين ابنة عبدالعزيز اخت هر بن عبدالعزيز وكانت تحت الوليد بن عبد الملك : لو كان البخل قيصاً ما لبسته او طريقاً ما ملكتها ، وكانت تعتق في كل يوم رقبة ، وتحمل على فرس في سبيل الله ، وكانت تقول : البخل كل البخل من بخل على نفسه بالجنة . وقيل اعتقت هند بنت عبدالمطلب في يوم واحد اربعين رقبة : وقال بعض الحكماء : ثواب الجود خلف ومحبة ومكافأة ، وثواب البخل حرمان وانلاف ومذمة . وقال النبي صلى الله عليه وسلم لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه ( يا علي كن شجاعاً فان الله يحب الشجاع ، وكن سخياً فان الله يحب السخي ، وكن غيوراً فان الله يحب الغيور يا علي وان إنسان مآلك حاجة ليس لها بأهل فكن أنت أهلاً لها ) ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم : ( السخاء شجرة في الجنة من أخذ منها بغصن مد به الى الجنة ) ، وقال عبد العزيز بن مروان : لو لم يدخل على البخلاء في لؤمهم الاسوء ظنهم بالله عز وجل لكان عظيماً ، وقال صلى الله عليه وسلم ( تجافوا عن ذنب السخي فان الله

أخذ بيده كلما عثر ) . وقال بهرام جور : من أحب أن يعرف فضل الجود على سائر الأشياء فليَظنر الى ما جاد الله به على الخلق من المواهب الجليلة والرغائب النفيسة والنسيم والريح كما وعدم الله في الجنان فإنه لولا رضاه الجود لم يصطفه لنفسه وقال الموبدان لأبرويز : أكنتم تمنون أنتم وآباؤكم بالمعروف وترصدون عليه الكفاة ؟ قال لا : ولا نستحسن ذلك لخولنا وعبيدنا وكيف ترى ذلك وفي كتاب ديننا من فعل معروفًا خفيًا وأظهره ايتطول به على المنعم عليه فقد نبذ الدين وراء ظهره واستوجب أن لا نعده من الأبرار ولا نذكره في الاتقياء والصالحين ؟ قيل : وسئل الاسكندر ما اكبر ما شيدت به ملكك ؟ قال : ابتداري الى اصطناع الرجال والاحسان اليهم . قال : وكتب ارسطاطا ليس في رسالته الى الاسكندر : واعلم ان الأيام تأتي على كل شيء فتخلقه وتخلق آثاره وتميت الافعال الا ما رسخ في قلوب الناس فاودع لهم حبة أبدية تبقى بها حسن ذكرك وكريم معالك وشرف آثارك . قال : ولما قدم بزرجمهر الى القتل قيل له : انك في آخر وقت من اوقات الدنيا وأول وقت من اوقات الآخرة فتكلم بكلام تذكر به فقال : أي شيء أقول ؟ الكلام كثير ولكن ان أمكنتك أن يكون حديثًا حسنًا فافعل . قيل : وتنازع رجلان أحدهما من أبناء العجم والآخر أعرابي في الضيافة فقال الأعرابي : نحن أقرى الضيف . قال : وكيف ذلك ؟ قال : لأن أحدنا ربما لا يملك إلا بعيراً فاذا حل به ضيف نحره له ، فقال له الأعجمي : فنحن أحسن مذهباً في القرى منكم ، قال : وما ذاك ؟ قال : نحن نسمي الضيف مهان ومعناه انه أكبر من في المنزل وأملكنا به ؟ وقال بعض الحكماء : بلغ الجود من قيام بالمجهود . وقيل : الجواد من لم يرضن بالموجود . وقال المأمون : الجود بذل الموجود والبخل سوء الظن بالمعبود . قيل : وشكا رجل الى إياس بن معاوية كثرة ما يب ويصل الناس وينفق . فقال : ان النفقة داعية الرزق وكان جالسا على

باب فقال للرجل : أغلق هذا الباب فأغلقه فقال : هل تدخل فيه الريح ؟  
قال : لا . قال : فافتحه ففتحه فجمعت الريح تحترق في البيت فقال :  
هكذا الرزق أغلقت فلم تدخل الريح فكذلك اذا أمسكت لم يأتك الرزق .  
قيل : ووصل المأمون محمد بن عباد المهلبى بمائة ألف دينار ففرقها على  
إخوانه فبلغ ذلك المأمون فقال : يا أبا عبدالله ان بيوت الأموال لا تقوم  
بهذا . فقال : يا أمير المؤمنين البخل بالموجود سوء الظن بالمعبود . وعن  
أمية ابن يزيد الأموي قال : كنا عند عبد الرحمن بن يزيد بن معاوية  
فجاءه رجل من أهل بيته فسأله المعونة على تزويج ، فقال له قولاً ضعيفاً  
فيه وعد وقلة اطماع ، فلما قام من عنده ومضى دعا صاحب خزانته فقال :  
أعطه أربعمائة دينار فاستكثرناها وقلنا : كنت رددت عليه رداً ظننا أنك  
تعطيه شيئاً قليلاً فاذا أنت أعطيتنا أكثر مما أمل ، فقال : إني أحب أن  
يكون فعلي أحسن من قولي . وبجاءم يضرب المثل في السخاء ، فحدثنا عن بعض  
حالات حاتم قيل : كان حاتم جواداً شاعراً وكان حينما نزل عرف منزله  
وكان ظفراً إذا قاتل غلب واذا غم نهب واذا سئل وهب واذا ضرب  
بالقداح سبق واذا أسر أطلق ، وكان أقسم أن لا يقتل واحداً منه ، قيل :  
ولما بلغ حاتم قول المنس الضبعي .

قَلِيلُ الْمَالِ تُصْلِحُهُ قَيْبَتُهُ      وَلَا يَبْقَى الْكَثِيرُ مَعَ الْفَسَادِ  
وَحِفْظُ الْمَالِ أَيْسَرُ مِنْ بُغَاةِ      وَضَرْبٍ فِي الْبِلَادِ بَغِيرِ زَادِ

فقال : ماله قطع الله لسانه يمرض الناس على البخل أفلا قال :

فَلَا الْجُودُ يُفْنِي الْمَالَ قَبْلَ فَنَائِهِ      وَلَا الْبُخْلُ فِي مَالِ الشَّحِيحِ يَزِيدُ  
فَلَا تَلْتَمِسْ رِزْقًا بِمَيْشٍ مُقْتَرٍ      أَكُلْ غَدًا رِزْقًا يَعُودُ جَدِيدُ  
أَلَمْ تَرَ أَنَّ الرِّزْقَ فَادٍ وَرَائِحٌ      وَأَنَّ الَّذِي أَنْعَطَاكَ سَوْفَ يُعِيدُ



قيل : ونزل على حاتم ضيف ولم يحضره القرى فنحر ناقة الضيف وعشاه  
وغداه وقال : إنك قد أفرضتني ناقتك فاحتكم علي قال : راحلتين قال : لك  
عشرون أرضيت ؟ قال : نعم وفوق الرضى . قال : لك اربعون . ثم قال  
لمن يحضرته من قومه ، من أانا بناقة فله ناقتان بعد الغارة ، فأتوه بأربعين  
فدفعها إلى الضيف . وحكوا عن حاتم انه خرج في الشهر الحرام يطلب حاجة  
فلما كان بأرض عنزة ناداه أسير فيهم . يا ابا سفانة قد أكلني الاسار والقمل  
قال : والله ما أنا في بلادى ولا معي شيء ، وقد أمأت إلى أن نوهت باسمي  
فذهب إلى العنزيين فساومهم فيه واشتراه منهم وقال : خلوا عنه وانا اقيم  
مكانه في قيده حتى أؤدي فداه ، ففعلوا فأتاهم بفداء . قيل : ولما مات حاتم  
خرج رجل من بني اسد يعرف بابي الخبيري في نفر من قومه وذلك قبل أن  
يعلم كثير من العرب بموته فأتواخوا بقبره فقال : والله لأحلفن للعرب اني  
نزلت بحاتم وسألته القرى فلم يفعل وجعل يضرب القبر برجله ويقول :

عَجَلْ أَبَا سَفَانَةَ قِرَاكَ فَسَوْفَ أَنْبِي سَائِلِي ثَنَاكَ

فقال بعضهم : مالك تنادي رمة وبناتوا مكانهم فقام صاحب القوا من  
نومه مذعوراً فقال : يا قوم عليكم مطالباكم فان حاتم أتاني فأنشدني :

أَبَا الْخَبِيرِي وَأَنْتَ أَمْرُوهُ      ظَلُومُ الْعَشِيرَةِ شَتَامُهَا  
فَمَاذَا أَرَدْتَ إِلَى رِمَةٍ      بَدْوِيَّةٌ صَخَبَتْ هَامُهَا  
تُبْنِي أَذَاهَا وَإِعْسَارَهَا      وَحَوْلَكَ طِيٌّ وَأَنْعَامُهَا  
وَإِنَّا كُنُنِعْمُ أَضْيَافُنَا      مِنْ الْكُؤْمِ بِالسُّيْفِ نَعْتَامُهَا

وقيل في المثل : هو أجود من كعب بن مامة وكان من اباد وبلغ من

جوده أنه خرج في ركب فيهم رجل من بني النمر بن قاسط في شهر ناجر  
والجأهم العطش فاضلوا فتصافقوا ماءهم فجعل النمري يشرب نصيبه فإذا اراد  
كعب ان يشرب نصيبه : قال آثر أخاك النمري فيؤثره حتى أضر به العطش  
فلما رأى ذلك استعنت ناقته وبادر حتى رفعت له اعلام الماء وقيل له : رد  
كعب فانك وراذ فبات قبل ان يرد ونجا رفيقه ، ومن قول ابي تمام :

هُوَ الْبَحْرُ مِنْ أَيِّ النَّوَاحِي أُتَيْتَهُ      فَلَجَّتْهُ الْمَعْرُوفُ وَالْجُودُ سَاحِلُهُ  
كَرِيمٌ إِذَا مَا جِئْتَ لِلْعُرْفِ طَالِبًا      حَبَاكَ بِمَا تَحْوِي عَلَيْهِ أَنَامِلُهُ  
فَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِي كَفِّهِ غَيْرُ نَفْسِهِ      لَجَادَ بِهَا فَلَيْتَقِ اللَّهَ سَائِلُهُ  
وللبحتري :

لَوْ أَنَّ كَفِّكَ لَمْ تَجِدْ لِمَوْمِلٍ      لَكَفَادُ عَاجِلٍ وَجِهَكَ الْمُتَهَلِّلُ  
وَلَوْ أَنَّ مَجْدَكَ لَمْ يَكُنْ مُتَقَادِمًا      أَنْعَاكَ آخِرُ سُودِدٍ عَنِ أَوَّلِ  
ولبكر بن النطاح في ابي دلف :

بَطَلٌ بِصَدْرِ حُسَامِهِ وَسِنَانِهِ      أَجْلَانٍ مِنْ صَدْرٍ وَمِنْ إِيرَادِ  
وَرِثَ الْمَكَارِمَ وَأُبْتَنَاهَا قَاسِمٌ      بِصَفَائِحِ وَأَسِنَّةٍ وَجِيَادِ  
يَا عِصْمَةَ الْعَرَبِ الَّتِي كَوْ لَمْ تَكُنْ      حَيًّا إِذَا كَانَتْ بِغَيْرِ عِمَادِ  
إِنَّ الْعُيُونَ إِذَا رَأَتْكَ حِدَادُهَا      رَجَعَتْ مِنَ الْإِجْلَالِ غَيْرَ حِدَادِ  
وَإِذَا رَمَيْتَ الثُّغْرَ مِنْكَ بِعَزْمَةٍ      فَتَحَّتْ مِنْهُ مَوَاضِعَ الْأَسْدَادِ  
وَكَأَنَّ رُمْحَكَ مُنْقَعٌ فِي عُصْفُرٍ      وَكَأَنَّ سَيْفَكَ سُلٌّ مِنْ فِرْصَادِ

لَوْ صَالَ مِنْ غَضَبٍ أَبُو دَلْفٍ عَلَيَّ      بِيضِ السُّيُوفِ لَدُؤُنِي فِي الْأَغْمَادِ  
أَوْرِي وَنُورًا لِلْعِدَاوَةِ وَالْيَهُوَى      نَارَيْنِ نَارَ دَمٍ وَنَارَ زِنَادِ

قال أبو هفان : أنشدت هذه الايات عبدالعزیز بن ابي دلف بسر من رأى فقال : هل سمعت بمثل هذه الايات ؟ قلت : لا ، قال : ولغيره في ابي دلف :

وَأَوْ يَجُوزُ لَقَالَ النَّاسُ كُلُّهُمْ      لَوْ لَا أَبُو دَلْفٍ مَا أَوْرَقَ الشَّجَرُ

قال ابن يحيى الديم : دعاني المتوكل ذات يوم وهو مخمور فقال : أنشدني قول عمارة في أهل بغداد فأنشدته :

مَنْ يَشْتَرِي مِنِّي مُلُوكَ مَخْرَمٍ      أبيع حَسَنًا وَأَبْنِي هِشَامٍ بِدِرْهَمٍ  
وَأَعْطِي رَجَاءً بَعْدَ ذَلِكَ زِيَادَةً      وَأُمنَحُ دِينَارًا بغيرِ تَنْدَمٍ  
فَإِنْ طَلَبُوا مِنِّي الزِّيَادَةَ زِدْتُهُمْ      أبا دَلْفٍ وَالْمُسْتَطِيلَ بِنِ أَكْثَمِ

فقال المتوكل : ويلى علي ابن الجوال على عقيبه يهجو شقيق دولة العباس قال فهل عندك من المدح في ابي دلف القاسم بن عيسى شيء ؟ قلت يا أمير المؤمنين قول الاعرابي الذي يقول فيه :

أبا دَلْفٍ إِنْ السَّمَاحَةَ لَمْ تَرَلْ      مُغَلَّمَةً تَشْكُو إِلَى اللَّهِ غُلْهَا  
فَبَشَّرَهَا رَبِّي بِمِلَادِ قَاسِمٍ      فَأَرْسَلَ جَبْرِيلاً إِلَيْهَا فَحَلَّهَا

وقال غيره :

حُرٌّ إِذَا جُنَّتْهُ يَوْمًا لَتَسْأَلَهُ      أُعْطَاكَ مَا مَلَكَتْ كَفَاؤُهُ وَأَعْتَدْرَا  
يُخْفِي صِنَائِعَهُ وَاللَّهُ يُظْهِرُهَا      إِنْ الْجَمِيلَ إِذَا أَخْفَيْتَهُ ظَهَرَا

وقال آخر :

فتى ما هدد الرحمن في بَدَلِ ماله فليس تراه الدهر إلا على العهد  
فتى قصرت آماله عن فعاله

وليس على الحرِّ الكريمِ سوى الجهدِ

وقال آخر :

إذا ما أتاه السائلون توَّقدتْ  
له في ذرى المعروفِ نَمَى كأنها  
عليه مصايحُ الطلاقةِ والبشرِ  
مَرِاقِعُ ماءِ المِزْنِ في البَدْرِ القَمَرِ

وقال آخر :

عاد الشرورُ اليك في الأعيادِ  
رفقاً بعبدٍ جَلَّ ما أوليتهُ  
وسعدت من دنياك بالإسعادِ  
ملاً النفوسَ مهابةً ومحبةً  
رفقاً فقد أثقلتَهُ بأيادي  
بذرُ بدأ متغمرًا بسوادِ  
ما إن أرى لك مُشبهًا فيمن أرى  
إن الكرامِ قليلةُ الأندادِ

وقال في ابن أبي دواد :

بدأ حين أترى بإخوانه  
وحذرهُ الحزمُ صرفَ الزمانِ  
فقلل عنهم شبةَ المدمِ  
فبادرَ قبل انتقالِ النعمِ  
نَ يقرعُ سنًا له من ندمِ  
لا ينزعُ سؤاله عن نعمِ  
ولا ينكُتُ الأرضَ عندَ السؤالِ

ويروى في الحديث : أنه لا يجتمع الشح والايان في قلب عبد صالح أبداً . ويقولون : الشحيح أغدر من الظالم أقسم الله بعزته لا يساكنه بخيل في جنته . وقال النبي ﷺ ( من فتح له باب من الخير فلينتهزه فإنه لا يدري متى يغلط عنه ) . وقال الشاعر في ذلك :

ليسَ في كُلِّ سَاعَةٍ وَأَوَانٍ تَهَيَّأُ صَنَائِعُ الْإِحْسَانِ  
فَإِذَا أَمَكَّنْتَ تَقَدَّمْتُ فِيهَا حَذَرًا مِنْ تَعَذُّرِ الْإِمْكَانِ

وذكر عبد الله بن جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه : أن أمير المؤمنين علياً صلوات الله عليه بعثه إلى حكيم بن حزام بن خويلد يسأله مالا فانطلق به إلى منزله فوجد في الطريق صوفاً فأخذه ومر بقطعة كساء فأخذها فلما صار إلى المنزل أعطاه طرف الصوف فجعل يفتله حتى صيره خيطاً ، ثم دعا بفرارة مخرقة فرقعها بالكساء وخبطها بالخيط وصر فيها ثلاثين ألف درهم فحملت معه . قال : وأتى قوم قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري رحمه الله يسألونه في حمالة فصادفوه في حائط له يتبع ما يسقط من الثمر فيعزل بيده وردئه على حمالة فهبوا بأن يرجعوا عنه وقالوا : ما نظن عنده خيراً ثم كلوه فأعطاهم فقال رجل من القوم . لقد رأيناك تصنع شيئاً لا يشبه فعالك فقال وما ذاك ؟ فأخبروه فقال : إن الذي رأيتم يشول إلى اجتماع ما ينفع وينور . ومنها قيل : الذود إلى الذود إبل وأنشدوا :

رُبُّ كَبِيرٍ هَاجَهُ صَغِيرٌ      وَفِي الْبُحُورِ تُفَرِّقُ الْبُحُورُ

وقال آخر :

قَدْ يَلْحَقُ الصَّغِيرُ بِالْجَلِيلِ      وَإِنَّمَا الْقَرْمُ مِنَ الْأَفِيلِ

وَسَحَقُ النَّخْلِ مِنَ النَّسِيلِ

قال : وأتى رجل طلحة بن عبيد الله فسأله حالة فرآه يمشى بعيراً له فقال :  
يا غلام أخرج إليه بكرة فقبضها وقال : أردت أن أنصرف حين رأيتك  
تمناً البعير فقال : أنا لا نضيع الصغير ولا يتعاضدنا الكبير .

### ١٨ — مساوي البخل

المثل الثائر في البخل : هو أبخل من مادر ، وهو رجل من بني هلال  
ابن عامر بلغ من بخله أنه كان يسقي إبله في أسفل الحوض ماء قليل  
فسلح فيه ومدر الحوض به فسمى مادراً . وذكروا أن بني هلال وبني  
فزارة تنافروا إلى أنس بن مدرك وتراضوا به ، فقالت بنو هلال : يا  
بني فزارة أكلتم أير الحمار ، فقالت بنو فزارة : لم نعرفه ، وكان سبب  
ذلك أن ثلاثة اصطحبوا : فزاري ، وثعلبي ، وكلابي ، فصادفوا حمار  
وحش ومضى الفزاري في بعض حوائجه فطبخها وأكلا وخبأ للفزاري أير  
الحمار فلما رجع قال : قد خبأنا لك حنك فكل ، فأقبل يأكل ولا يسيغه ،  
فجعلوا يضحكان : فظن وأخذ السيف وقام اليها وقال : لتأكلان منه أو  
لأقتلنكما فامتنعا فضرب أحدهما فقتله وتناول الآخر فأكل منه ، فقال  
فيهم الشاعر :

نَشَدْتُكَ يَا فَزَارَ وَأَنْتَ شَيْخٌ      إِذَا خَيْرَتْ تُخْطِي فِي الْخِيَارِ  
أَصِيحَانِيَّةٌ أَدِمْتَ بَسَنٍ      أَحَبُّ إِلَيْكَ أَمْ أَيْرُ الْحِمَارِ  
بَلَى أَيْرُ الْحِمَارِ وَخُصِيئَتَاهُ      أَحَبُّ إِلَى فَزَارَةَ مِنْ فَزَارِي

فقال بنو فزارة : منكم يا بني هلال من سقى إبله فلما رويت سلح في  
الحوض ومدره بخلًا فنفرهم أنس بن مدرك على الهلالين فأخذ الفزاريون  
منهم مائة بعير ، وكانوا تراءونوا عليها ، وفي بني هلال يقول الشاعر :

وَلَكِنْ مَرَى مُشْرِقًا وَجِبُهُ      لِيُرْغَمَ فِي مَالِهِ مِنْ رَغْمٍ

لَقَدْ جَدَّاتُ خَزِيًّا هَلَالُ بْنُ عَامِرٍ      بَنِي عَامِرٍ طُرًّا بِسَلْحَةٍ مَادِرٍ  
فَأَفَّ لَكُمْ لَا تَذْكُرُوا الْفَخْرَ بَعْدَهَا

بَنِي عَامِرٍ أَتَمُّ شِرَارُ الْعَشَائِرِ

وفي المثل . هو أنجل من أبي حياحب ، وهو رجل في الجاهلية بلغ من بخله أنه كان يسرج السراج فإذا أراد أحد أن يأخذ منه أطأه ، فضرب به المثل . ومنهم صاحب نجيح بن سلعة اليربوعي فإنه ذكر : أن نجيحاً اليربوعي خرج يوماً يتسبد فعرض له حمار وحش فاتبه حتى دفع إلى أكمة فإذا هو برجل أعمى أسود قاعد في أطمار بين يديه ذهب وفضة ودر وياقوت فدنا منه فتناول بعضها ولم يستطع أن يحرك يده حتى القاه ، فقال : يا هذا ما هذا الذي بين يديك وكيف استطاع أخذه وهل هو لك أم لغيرك فإني أعجب بما أرى أجواد أنت فتجود لنا أم نجيل فأعذرك ؟ فقال الأعمى : اطلب رجلاً لقد منذ سنين وهو سعد بن حشره بن شماس فإتني به نعطك ما تشاء . فانطلق ، نجيح مسرعاً قد استطير فؤاده حتى وصل إلى قومه ودخل خبائه ووضع رأسه فنام لما به من التعب لا يدري من سعد ابن خشرم فأتاه آت في مائة فقال له : يا نجيح ان سعد بن خشرم في حي بني محلم من ولد ذهل بن شيبان ، فسأل عن بني محلم ثم سأله عن خشرم بن شماس فإذا هو بشيخ قاعد على باب خبائه فحياه نجيح فرد عليه السلام ، فقال له نجيح : من أنت ؟ قال : أنا خشرم بن شماس ، قال له : فأين ولدك سعد ؟ قال خرج في طلب نجيح اليربوعي وذلك أن آتياً أتاه في مائة فحدثه أن مالا له في نواحي بني يربوع لا يعلم به إلا نجيح اليربوعي ، فضرب نجيح فرسه ومضى وهو يقول :

أَيْطَلِبُنِي مَنْ قَدْ عَمَّانِي طَلَابُهُ      فَيَا لَيْتَنِي أَتَاكَ سَعْدُ بْنُ خَشْرَمٍ

أُتَيْتَ بِنِي يَرْبُوعَ تَبَغَيْتَ لِقَاءَنَا وَجِئْتُ لَكِي أَلْفَاكَ حَيٌّ مُحَلِّمٌ

فلما دنا من محلته استقبله سعد ، فقال له نجيج : أيها الراكب هل أتيت سعدا في بني يربوع ؟ قال : أنا سعد فهل تدل علي نجيج ؟ قال : أنا نجيج وحدثه بالحديث ، فقال : الدال على الخير كفاعله - وهو أول من قالها - فانطلقا حتى أتيا ذلك المكان فتوارى الرجل الامى عنها وترك المال فأخذه سعد كله ، فقال نجيج : يا سعد قاسمني ، فقال له اطوعني وعن مالي كشعرا ، وأبى ان يعطيه شيئا فانقضى نجيج سيفه فجعل يضربه حتى برد ، فلما وقع قتيلاً تحول الرجل الحافظ للمال سعادة ، فأسرع في أكل سعد وعاد المال الى مكانه ، فلما رأى نجيج ذلك ولى هارباً الى قومه . قيل : وكان أبو عيس بنجيلا وكان اذا وقع الدرهم في يده نقره باصبعه ثم يقول كم من مدينة قد دخلتها ويد قد وقعت فيها الآن استقر بك القرار واطمأنت بك الدار ، ثم يرمي به في صندوقه ، فيكون آخر العهد به قيل : ونظر سليمان بن مزاحم الى درهم فقال في شق : لا اله الا الله ، وفي شق : محمد رسول الله ما ينبغي ان تكون الا معاذة وقذفة في صندوقه . وذكروا انه كان بالري عامل على الخراج يقال له المسيب ، فأتاه شاعر يمتدحه فلم يعطه شيئا ، ثم سعل سعدة فصرط ، فقال الشاعر :

أُتَيْتُ الْمَسِيْبَ فِي حَاجَةٍ      فَمَا زَالَ يَسْئَلُ حَتَّى ضَرَطَ  
فَقَالَ غَلِطْنَا حِسَابَ الْخَرَاجِ      فَقُلْتُ مِنَ الضَّرَطِ جَاءَ الْغَلَطُ

فما زالوا يقولون ذلك حتى هرب منها من غير عزل . قال : وكتب أرسطاطاليس الى رجل بشيء فلم يفعل فكتب اليه : ان كنت أردت فلم تقدر فمعدور ، وان كنت قدرت ولم ترد فسيأتيك يوم تريد فيه فلا تقدر . قال : وسمع أبو الأسود الدؤلي رجلاً يقول : من يعشي الجائع ؟



فعاشه ثم قام الرجل ليخرج فقال : هيهات تخرج فتؤذي الناس كما آذيتني ،  
 ووضع رجله في الادمم حتى أصبح . قال : وكان رجل يأتي ابن المقفع  
 فيلج عليه وسأله أن يتغذى عنده ويقول : لعلك تظن أني أنكلف لك  
 شيئاً والله لا أقدم لك الا ما عندي ، فلما أتاه لم يجد في بيته الا كسراً  
 يابسة وملح جريش . وجاء سائل الى الباب فقال له : وسع الله عليك ،  
 فلم يذهب فقال : والله لئن خرجت اليك لأدقن رأسك ، فقال ابن المقفع  
 للسائل : ويحك لو عرفت من صدق وعيده ما أعرف من صدق وعيده  
 لم تزد كلمة ولم تقم طرفة عين ! قال : وكتب ابراهيم بن سبابة الى  
 صديق له كثير المال يستسلفه ، فكتب اليه : العيال كثير والدخل قليل  
 والمال مكذوب عليه فكتب اليه : ان كنت كاذباً فجعلك الله صادقاً ،  
 وان كنت صادقاً فجعلك الله معذوراً . وكتب آخر الى آخر يصف  
 رجلاً : أما بعد فانك كتبت تسأل عن فلان كأنك هممت به أو حدثتك  
 نفسك بالقدوم اليه فلا تفعل ، فان حسن الظن به لا يقع في الوم الا  
 بخذلان الله ، والطمع فيما عنده لا يخطر على القلب الا بسوء التوكل على  
 الله ، والرجاء فيما في يده لا ينبغي الا بعد اليأس من رحمة الله انه يرى  
 الايثار الذي يرضى به التبذير الذي يعاقب عليه والاقتصاد الذي أمر به  
 الاسراف الذي يعاقب عليه ، وان بني اسرائيل لم يستبدلوا العدى والبصل  
 بالبن والسلوى الا لفضل أخلاقهم وقديم علمهم ، وان الصنعة مرفوعة ،  
 والهلة موضوعة ، والهبة مكروهة ، والصدقة منعوسة ، والتوسع ضلالة ،  
 والجلود فسوق ، والسقاء من همزات الشياطين ، وان مواسة الرجال من  
 الذنوب الموبقة والافضال عليهم من احدى الكبائر ؛ وأيم الله انه يقول  
 إن الله لا يغفر أن يؤثر المرء في خصاصة على نفسه ويغفر ما دون ذلك  
 لمن يشاء ، ومن آثر على نفسه فقد ضل ضلالاً بعيداً كأنه لم يسمع  
 أبالمعروف الا في الجاهلية الذين قطع الله أدبارهم ونهى المسلمين عن اتباع  
 ثارهم وأن الرجفة لم تأخذ أهل مدين الاسقاء كان فيهم ولا أهلكت

الريح عاداً الا اتوسع كان منهم ، فهو يخشى العقاب على الانفاق ويرجو الثواب على الاقتار ويعد نفسه خاسر او بعدها الفتر ويأمرها بالبخل خيفة أن تمر به قوارع الدهر وأن يصيبه ما أصاب القرون الاولى فأقم رحمة الله مكانك واصطبر على عسر ك عسى الله أن يبدلنا واياك خيرا منه زكاة وأقرب رحما . ولبعض الكتاب أما بعد فان كثير المواعيد من غير نبح عار على المطلوب اليه وذلها مع نبح الحاجة مكرمة من صاحبها ، وقد رددتنا في حاجتنا هذه في كثرة مواعيدك من غير نبح لها حتى كأننا قد رضينا بالتعلل لها دون النجاح كقول القائل :

لَا تَجْعَلْنَا كَكُمُونَ بِمَزْرَعَةٍ      إِنَّ فَاتَهُ الْمَاءُ أُرْوَتْهُ الْمَوَاعِيدُ

وكتب آخر : ما رأيت مثل طيب قولك أمره سوء فعلك ، ولا مثل بسط وجهك خالفه طول تنكيدك ، ولا مثل قرب عدوك باعدها افراط مطلق ، ولا مثل أنس مذاهبك أوحش منه ، اختبار عواقبك حتى كأن الدهر أودعك لطيف الحيلة بالمر أهل الحلة وكأنه زينك نبيه بالخديعة لتدرك منهم فرصة الهلكة . وقد قيل : وعد الكريم نقد وتعجيل ، ووعد اللئيم مطل وتأجيل . وقل بعضهم : وعدتنا مواعيد عرقوب ، ومطلتنا مطل نعاس الكلب ، وغرقتنا غرور السراب ، ومنذنا أماني الكمون . ولبعضهم : أما بعد فلا تدعي ممانا بوعدك فالعذر الجليل أحسن من المطل الطويل ، فان كنت تريد الانعام فأنجح وان تعذرت الحاجة فأوضح وأعلمني ذلك لأصرف وجهه الطلب الى غيرك . وذكروا أن فتي من مراد كان يخلف الى عمرو بن العاص فقال له ذات يوم : ألك امرأة ؟ قال : لا قال : فتزوج وعلي المهر ، فرجع الى أمه فأخبرها الخبر فقالت :

إِذَا حَدَّثْتَكَ النَّفْسُ أَنْكَ قَادِرٌ      عَلَى مَا حَوَتْ أَيْدِي الرِّجَالِ فَكُذِّبُ

فتزوج وأنى عمرو بن العاص فاعتل عليه ولم ينجز وعده فشكا ذلك

إلى أمه فقالت :

لَا تَغْضَبَنَّ عَلَيَّ أَمْرِي فِي مَالِهِ وَعَلَى كِرَائِمِ حُرِّ مَالِكَ فَأَغْضَبَ

ووصف أعرابي رجلاً فقال له : بشر مطمع ومطل مؤيس وكنت منه أبداً بين الطمع واليأس لا بذل سريع ولا مطل مريع ، وقال أعرابي : أنا من فلان في أماني تهبط العصم وحلف يذكر العدم ، ولست بالحريص الذي إذا وعده الكذوب علق نفسه لديه وأتعب راحلته إليه ، وذكر أعرابي رجلاً فقال له : مواعيد عواقبها المثل وثأرها الخلف ومحصولها اليأس ويقال سرعة اليأس أحد النجحين ، وقال بعضهم : مواعيد فلان مواعيد عرقوب ، ولع الآل وبرق الخلب ، وأماني الكون ونار الجباب ، واصلت تحت الراعدة ، وبما قيل في ذلك :

أرُوحُ وأغدو نَحْوَكُمُ فِي حَوَائِجِي

فَأُصْبِحُ فِيهَا غَدْوَةً كَالَّذِي أُمِّي

وَقَدْ كُنْتُ أَرْجُو لِلصَّدِيقِ شَفَاعَتِي

فَقَدْ صِرْتُ أَرْضِي أَنْ أَشْفَعَ فِي نَفْسِي

ولأبي نواس :

وَعَدْتَنِي وَعَدَدَكَ حَتَّى إِذَا

أَطْمَعْتَنِي فِي كَنْزِ قَارُونَ

جِئْتَ مِنَ اللَّيْلِ بِغَسَّالَةٍ

تَفْسِلُ مَا قَلتَ بِصَابُونِ

ولأبي تمام :

يَحْتَاجُ مَنْ يَدْعُو نَوَالِكُمْ إِلَى ثَلَاثِ مَنْ غَيْرِ تَكْذِيبِ

كُنُوزِ قَارُونَ أَنْ تَكُونَ لَهُ      وَعُنْرِ نُوْحٍ وَصَبْرِ أَيُّوبِ  
وقال آخر :

إِنِّي رَأَيْتُ مِنْ الْمَكَارِمِ حَسْبُكُمْ      أَنْ تَلْبَسُوا خَزَا الثِّيَابِ وَتَشَبَعُوا  
وقال حسان بن ثابت :

إِنِّي لَأَعْجَبُ مِنْ قَوْلِ غُرَيْرٍ بِهِ      حُلُوٍ بِمَدِّهِ إِلَيْهِ السَّمْعُ وَالْبَصَرُ  
لو تَسْمَعُ الْعُضْمُ مِنْ صَمِّ الْجِبَالِ بِهِ

ظَلَّتْ مِنْ الرَّاسِيَاتِ الْعُضْمُ تَنْحَدِرُ  
كالخمر والشهد يجري فوق ظاهره

وما لباطنه طعم ولا خبر  
وكالسراب شبيهاً بالقدير وإن تبغ السراب فلا عين ولا أثر  
لا ينبت العشب عن برق وراعدة  
غراء كئيس لها سيل ولا مطر

وقال آخر :

رَأَيْتُ أَبَا عُثْمَانَ يَبْدُلُ عِرْضَهُ  
وخبز أبي عثمان في أحرز الحرز  
يحين إلى جارائه بعد شبيهه  
وجارائه غرثي تحين إلى الخبز

وقال آخر :

مَا كُنْتُ أَنْحَسُ أَنْ الْخُبْزَ فَكَيْهَةٌ  
حتى نزلت على أوفى بن منصور

الْحَابِسِ الرَّوْثِ فِي أَعْفَاجِ بَعْلَتِهِ

وقال آخر :

نَوَالِكَ دُونَهُ خَرَطُ الْقِيَادِ

تَرَى الْإِصْلَاحَ صَوْمَكَ لَا لِنَفْسِكَ

أَرَى عُمَرَ الرَّغِيفِ يَطُولُ جَدًّا

وقال آخر :

الْشُّومُ مِنْكَ عَلَى الطَّعَامِ طِبَاعُ

وَإِذَا يَمُرُّ بِبَابِ دَارِكَ سَائِلٌ

وَعَلَى رَغِيفِكَ حَيَّةٌ مَسْمُومَةٌ

وقال آخر :

يَا تَارِكَ الْبَيْتِ عَلَى الضَّيْفِ

ضَيْفُكَ قَدْ جَاءَ بِجُبْرِ لَهُ

إِذَا أَشْتَهَى الضَّيْفُ طَبِيخَ الشُّتَا

وَإِنْ دَنَا الْمِسْكِينَ مِنْ بَابِهِ

وقال آخر :

رَأَى ضَيْفُكَ بِالْأَدَارِ

عَلَى خَبْزِكَ مَكْتُوبًا

خَوْفًا عَلَى الْحَبِّ مِنْ لِقْطِ الْعَصَافِيرِ

وُخْبِزُكَ كَالثُّرَيَّا فِي الْبِعَادِ

وَكَسَرَ الْخَبْرَ مِنْ عَمَلِ النَّفْسَادِ

لَدَيْكَ كَأَنَّهُ مِنْ قَوْمِ هَادِ

فَعِيَالُ بَيْتِكَ مَا حَيَّيْتَ جِيَاعُ

حَمَلَتْ عَلَيْهِ نَوَابِحُ وَسِبَاعُ

وَعَلَى خَوَانِكَ عَقْرَبٌ وَشُجَاعُ

وَهَارِبًا عَنْهُ مِنَ الْخَوْفِ

فَارْجِعْ وَكُنْ ضَيْفًا عَلَى الضَّيْفِ

نَاهُ بِالشُّهُورَةِ فِي الضَّيْفِ

شَدَّ عَلَى الْمِسْكِينَ بِالسَّيْفِ

وَكَرَبُ الْجُوعِ يَفْشَاهُ

سَيَكْفِيكَمُ اللَّهُ

وقال آخر :

لأبي نوحٍ رَغِيفٌ أبدأ في حَجْرٍ دَايَةٍ  
أبدأ يَمْسُحُهُ الدَّهْرُ بِكُمْ ووقايه  
وله كَاتِبٌ سِرٌّ خَطٌّ فِيهِ بَعْنَايَه  
فَسَيَكْفِيكُمْ اللهُ إِلَى آخِرِ الْآيَه

وقال آخر :

الْحَبْزُ يُبْطِي حِينَ يَدْعُو بِهِ  
وَيَمْدَحُ الْمِلْحَ لِأَصْحَابِهِ  
سِيَّانٍ أَكَلُ الْخَبْزِ فِي دَارِهِ  
كَأَنَّهُ يَقْدُمُ مِنْ قَافٍ  
يَقُولُ هَذَا مِلْحُ سِرَافٍ  
وَقَلْعُ عَيْنِيهِ بِخَطِّافٍ

وقال آخر :

فَتَى لَا يَغَارُ عَلَى عَرْسِهِ  
فَمِنْهُ يَدُ الْجُودِ مَقْبُوضَةٌ  
وَلَكِنْ يَغَارُ عَلَى مُخْبِزِهِ  
وَكَفَّ السَّاحَةَ فِي عَجْزِهِ

وقال آخر :

يَصُونُونَ أَثْوَابَهُمْ فِي التَّشْحُوتِ  
يُنْحُونَ مَنْ رَامَ رُغْفَانَهُمْ  
وَأَزْوَاجَهُمْ بَذْلَةً فِي السُّكِّ  
وَيُدْنُونَ مَنْ رَامَ حَلَّ التُّكِّ

وقال آخر :

أَمَّا الرَّغِيفُ عَلَى الْخُؤَا  
نِ فَمِنْ حَمَامَاتِ الْحَرَمِ

مَا إِنْ يُجَسُّ وَلَا يُجَسُّ وَلَا بُدَاقٍ وَلَا يَشْمُ  
فَتَرَاهُ أَخْضَرَ يَابِسًا بَالِي النُّقُوشِ مِنَ الْهَرَمِ  
وقال آخر :

أَتَيْنَا أَبَا طَاهِرٍ مَفْطِرِينَ  
وَجَاءَ بِخُبْزٍ لَهُ حَامِضٌ  
إِلَى دَارِهِ فَرَجَعْنَا صِيَامًا  
فَقُلْتُ دُعُوهُ وَمُوتُوا كِرَامًا  
وقال آخر :

يَبْخَلُ بِالْمَاءِ وَلَوْ أَنَّهُ  
سُحًّا فَلَا تَطْمَعُ فِي خُبْزِهِ  
مَنْعَسٌ فِي وَسْطِ النَّيْلِ  
وَلَوْ تَشَفَّتَ بِجَبْرِيلِ

وعن حذيفة بن محمد الطائي قال : قال الرشيد ما لأحد من المولدين  
ما لأبي نوار في الهجاء :

وَمَا رَوَّحْتَنَا لِتَدْبٍ عَنَّا  
شَرَابُكَ كَأَسْرَابٍ إِذَا التَّقِينَا  
وَالَكِنْ خَفَتْ مَرَزِيَّةَ الذُّبَابِ  
وُخْبَرُكَ عِنْدَ مُنْقَطِعِ التُّرَابِ  
وقال آخر :

خَانَ عَهْدِي عَمْرُوهُ وَمَا خُتَّ عَهْدُهُ  
أَيْسَ لِي مَا حَيَّيْتُ ذَنْبَهُ إِلَيْهِ  
وَجَفَانِي وَمَا تَغَيَّرْتُ بَعْدَهُ  
غَيْرَ أَنِّي يَوْمًا تَقَدَّيْتُ عِنْدَهُ  
وقال الخليل بن أحمد العروضي الأزدي :

فَكَفَّاهُ لَمْ تُخْلَقَا لِلنَّدَى  
فَكَفُّ عَلَى الْخُبْزِ مَقْبُوضَةٌ  
وَلَمْ يَكُ بِخُلْمَا بَدْعَهُ  
كَأَنَّ قَصَّتْ مَائَةٌ تَدْعَهُ

وَكَفُّ ثَلَاثَةَ آلاِفِهَا      وَتِسْعُ مِثْيَاهَا لَهَا شِرْعَهُ (١)

وقال ابن ابي البغل :

وَكَلُّ مَنْ أُجْتَدِيهِ فِي بَلَدٍ      أرومٌ مِمَّا لَدَيْهِ فِي صَفَدٍ  
يَعْفِدُ لِي بِالْيَسَارِ أَرْبَعَةً      مَنقُوصَةً تِسْعَةً إِلَى الْعَدَدِ

وقال آخر :

أَتَيْتُ أَبَا عَمْرٍو أَرْجِي نَوَالَهُ      فزادَ أبو عمرو على حزني حُزْنَا  
فَكُنْتُ كِبَاغِي الْفَرْنَ أَسَامَ أُذُنَهُ      فآبَ بِلَا أُذُنٍ وَلَمْ يَسْتَفِدْ قَرْنَا

### ١٩ - محاسن الشجاعة

قيل : كان باليمامة رجل من بني حنيفة يقال له جعد بن مالك ، وكان لسنا فائقا شجاعا شاعرا ، وكانت قد أبر على أهل هجر وناحياتها فبلغ ذلك الحجاج بن يوسف فكذب الى عامل اليمامة يوجه بتلاعب جعدر به ويأمره بالتجرد في طلبه حتى يظفر به ، فبعث العامل الى فتية من بني يربوع بن حنظلة ، فبعثهم لهم جعلاً عظيماً ان هم قتلوا جعدراً أو أتوه به أسيراً ، ووعدهم ان يوفدهم الى الحجاج ويسني فرائضهم ، فخرج الفتية في طلبه حتى اذا كانوا قريباً منه بعثوا اليه رجلاً منهم يريه انهم يريدون الانقطاع اليه والتعزم به فوثق بهم واطمان اليهم ، فبينما هم على ذلك اذ شدوه وثاقاً وقدموا به

(١) قلت في هامش الاصل ما نصه وذكر جعفر بن محمد التميمي في كتابه «الجامع في اللغة» الشريعة المثل يقال : هذا شرعة ذاك اي مثله وعلى هذا تأولوا قول الخليل رحمه الله فكف وذكر الابيات الثلاثة ثم قال يريد مثلها اي مثل الاولى وأنا ارى ان تكون شرعة هاهنا ديننا وسنة قال هذا لها ديننا .



الى العامل فبعث به معهم الى الحجاج ، وكتب يشي على الفتية . فلما قدموا على الحجاج قال له : أنت جعدر ؟ قال : نعم قال : ما حملك على ما بلغتني عنك فقال : جراءة الجنان ، وجفوة السلطان ، وكلب الزمان ، قال : وما الذي بلغ من أمرك فيجتريء جنارك ويصلك سلطانك ولا يكاب زمانك ؟ قال : لو بلائي الأمير لوجدني من صاحبي الأعوان وبهم الفرسان وبين أوفى على أهل الزمان . قال الحجاج : إنا قاذفوك في قبة فيها أسد فان قتلك كفتنا مشونتك ، وان قتلته خلبناك ووجعلناك قال : قد أعطيت أصلحك الله الأمانة وأعظمت المنة ، وقربت المحنة ، فأمر به فاستوثق منه بالحديد وألقي في السجن ، وكتب الى عامر بككر بأمره أن يصيد له أسدا خاريا فلم يلبث العامل ان بعث اليه بأسد خاريات قد أبرت على أهل تلك الناحية ، ومنعت عامة مراعيهم ومسارح دوابهم ، فجعل منها واحدا في تابوت يجر على عجلة ، فلما قدموا به على الحجاج أمر فألقي في حيز وأجيع ثلاثة ، ثم بعث الى جعدر فأخرج وأعطي سيفا ودلى عليه فمشى الى الأسد ، وأشأ يقول :

أَيْتُ وَآلَيْتُ فِي مَكَانِ ضَنْكَهِ      كِلَاهِمَا ذُو أَنْفٍ وَمَخْكَهِ  
وَصَوْلَةٌ فِي بَطْشَةٍ وَفَتْكَهِ      إِنْ يَكْشِفُ اللهُ قِنَاعَ الشُّكِّ  
وَوَظْفَرًا بِجُؤْجُؤٍ وَبَرِّكَهِ      فَبَرِّ أَحْسَنُ مَنْزِلٍ بِتَرِّكَهِ  
الذُّبُّ يَغْوِي وَالغَرَابُ يَبْكِي

حتى اذا كان منه على قدر رمح تغطى الأسد وزأر وحمى عليه ، فلتفاه جعدر بالسيف فضرب هامته ففلقها وسقط الأسد كأنه خيمة قوضتها الريح فانثنى جعدر وقد تأنطخ بدمه لشدة حمة الأسد عليه وكبر الناس ، فقال

الحجاج : يا جحدر ان احببت ان الحقك ببلادك واحسن صحبتك وجائزتك  
فعلت بك وان احببت ان تقيم عندنا اقيمت فامنيننا فريضتك . قال :  
اختر صحبة الامير ، ففرض له ولجماعة اهل بيته وانشا جحدر يقول :

يا جُمْلُ إِنَّكَ لَوْ رَأَيْتِ بَسَاتِي      فِي يَوْمِ هَمِيحٍ مُرْدِفٍ وَعَجَاجِ  
وَتَقَدَّمِي لِلَيْثِ أَرْسَفُ نَحْوَهُ      حَتَّى أُكَابِدَهُ عَلَى الْإِحْرَاجِ  
جَهْمٌ كَانَ جَبِينَهُ لَمَّا بَدَا      طَبَقَ الرَّحَى مُتَفَجِّرُ الْأَثْبَاجِ  
يَرْنُو بِنَاطِرَتَيْنِ نَحْسِبُ فِيهِمَا      مَنْ ظَنَّ خَالَهَا شِعَاعُ سِرَاجِ  
كَشَنُ بَرَّاسِنُهُ كَانَ نِيوَبَهُ      زُرْقُ الْمَاعُولِ أَوْ شِدَاةُ زِجَاجِ  
وَكَأَنَّمَا خِيطٌ عَلَيْهِ عِبَاءَةٌ      بَرَقَاءُ أَوْ خَلَقٌ مِنَ الدِّيبَاجِ  
قِرْنَانِ مُحْتَضِرَانِ قَدْ رَبَّتُهُمَا      أُمُّ الْمَنِيَّةِ غَيْرُ ذَاتِ نِتَاجِ  
وَعَلِمْتُ أَنِّي إِنْ أَيْدَتْ زِيَالَهُ      أَنِّي مِنَ الْحَجَّاجِ كَسْتُ بِنَاجِ  
فَمَشَيْتُ أَرْسَفُ فِي الْحَدِيدِ مُكَبَّلًا

بِالْمَوْتِ نَفْسِي عِنْدَ ذَلِكَ أَنَا جِي  
وَالنَّاسُ مِنْهُمْ شَامِتٌ وَعِصَابَةٌ  
عَبَّرَاتُهُمْ لِي بِالْحُلُوقِ شَوَاجِي  
فَفَلَقْتُ هَامَتَهُ فِخْرًا كَأَنَّهُ  
أَطْمُ تَقَوُّضَ مَائِلُ الْأَبْرَاجِ  
ثُمَّ انْتَنَيْتُ فِي قَمِيصِي شَاهِدُ  
مِمَّا جَرَى مِنْ شَاخِبِ الْأَوْدَاجِ  
أَيَقَنْتُ أَنِّي ذُو حِفَاطٍ مَا جِدُ  
مِنْ نَسْلِ أَمْلَاكٍ ذَوِي أَتَوَاجِ  
فَلَيْنَ مُزِفْتُ إِلَى الْمَنِيَّةِ عَامِدًا  
إِنِّي لِحَيْرِكَ بَعْدَ ذَلِكَ رَاجِي

## عَلِمَ النِّسَاءَ بِأَنِّي لَا أُتَنِّي (١) إِذْ لَا يَتَّقَنَ بَغِيرَةَ الْأَزْوَاجِ

وحكي عن الطفيل بن عامر العمري قال : خرجت ذات يوم أريد الغارة وكنت رجلاً أحب الوحدة ، فبينما أنا أسير إذ ضللت الطريق الذي أردته فسرت أياها لا أدري أين أتوجه حتى نفذ زادي ، فجعلت آكل الحشيش وورق الشجر حتى أشرفت على الهلاك ويشتت من الحياة ، فبينما أنا أسير إذ أبصرت فطيع غنم في ناحية من الطريق ، فمات إليها وإذا شاب حسن الوجه فصيح اللسان فقال لي : يا بن العم أنت تريد ؟ قلت : أردت حاجة لي في بعض المدن وما أظني إلا قد ضللت الطريق فقال : أجل ! ان بينك وبين الطريق مسيرة أيام فانزل حتى تستريح وتطمئن وتريح فرسك ، فنزلت فرسي لفرسي حشيشاً وجاء إلي بتريد كثير ولبن ثم قام إلى كبش فذبحه وأجج ناراً وجعل يكبب لي ويطعمني حتى اكتفيت ، فلما جئنا الليل قام وفرش لي وقال : قم فارم بنفسك فان النوم أذهب إلتعبك ، وأرجع لنفسك ، فقمتم ووضع رأسي فبينما أنا نائم إذ أقبلت جارية لم تر عيناها مثلها قط حسناً وجمالاً ، فتعدت إلى الفتى وجعل كل واحد منها يشكو إلى صاحبه ما يلتمى من الوجد به ، فامتنع على النوم لحسن حديثها ، فلما كان في وقت السحر قامت إلى منزلها ، فلما أصبحنا دنوت منه فقلت له : بمن الرجل ؟ قال : أنا فلان بن فلان ، فانتسب لي فعرفته فقلت له : ويحك ! ان أباك سيد قومه فما حملك وضعك نفسك في هذا المكان ؟ فقال : أنا والله أخبرك كنت عاتقاً لابنة عمي هذه التي رأيتها ، وكانت هي أيضاً لي وامقة ، فشاع خبرنا في الناس ، فأثبت عمي فسألته أن يزوجنيها فقال : يا بني والله ما سألت شططا وما هي بآثر عندي منك ، ولكن الناس قد تحدثوا بشي ، وعمك يكره المقالة القبيحة ، ولكن انظر غيرها في قومك حتى يقوم عمك بالواجب لك ، فقلت : لا حاجة لي فيها

(١) - المشهور في رواية البيت ( ممن يغار على النساء حفيظة ) البيت الغ .

ذَكَرْتُ وَتَحَمَلْتُ عَلَيْهِ بِجَمَاعَةٍ مِنْ قَوْمِي فَرَدَّهُمْ ، وَزَوْجَهَا رَجُلًا مِنْ ثَقِيفٍ لَهُ رِيَاةٌ وَقَدْرٌ فَعَمَلَهَا إِلَى هُنَا - وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى خِيَمٍ كَثِيرٍ بِالْقُرْبِ مِنَّا - . فَضَاقَتْ عَلَيَّ الدُّنْيَا بِرُحْبِهَا ، وَخَرَجْتُ فِي أَثَرِهَا ، فَلَمَّا رَأَيْتَنِي فَرِحَتْ فَرِحًا شَدِيدًا فَقَالَتْ لَهَا : لَا تَخْزِينِي أَحَدًا أَنِّي مِنْكَ بِسَبِيلٍ ، ثُمَّ أَنْبَتَ زَوْجَهَا وَقَالَ : أَنَا رَجُلٌ مِنَ الْأَزْدِ أَصَبْتُ دَمًا وَأَنَا خَائِفٌ ، وَقَدْ قَصَدْتُكَ لِمَا أَعْرِفُ مِنْ رَغْبَتِكَ فِي اصْطِنَاعِ الْمَعْرُوفِ ، وَلِي بَصَرٌ بِالغَنَمِ إِنْ رَأَيْتَ أَنَّ نَعُطِينِي مِنْ غَنَمِكَ شَيْئًا فَأَكُونُ فِي جِوَارِكَ وَكَنْفِكَ فَافْعَلْ . قَالَ : نَعَمْ وَكِرَامَةٌ : فَأَعْطَانِي مِائَةَ شَاةٍ وَقَالَ لِي : لَا تَبْعُدْ بِهَا مِنَ الْحَيِّ ، وَكَانَتْ ابْنَةَ عَمِّي تَخْرُجُ إِلَى كُلِّ لَيْلَةٍ فِي الْوَقْتِ الَّذِي رَأَيْتَ وَتَنْصَرِفُ ، فَلَمَّا رَأَى حَسَنَ حَالِ الْغَنَمِ اعْطَانِي هَذِهِ فَرَضِيَتْ مِنَ الدُّنْيَا بِمَا تَرَى قَالَ : فَأَقَمْتُ عِنْدَهُ أَيَّامًا ، فَبَيْنَمَا أَنَا نَائِمٌ إِذْ نَهَيْتَنِي وَقَالَ : يَا أَخَا بَنِي عَامِرٍ قُلْتَ لِي : مَا شَأْنُكَ ؟ قَالَ : إِنَّ ابْنَةَ عَمِّي قَدْ أَبْطَأَتْ وَلَمْ تَكُنْ هَذِهِ عَادَتَهَا وَوَاللَّهِ مَا أَظُنُّ ذَلِكَ إِلَّا الْأَمْرَ حَادِثًا ، فَحَدَّثْتَنِي فَجَعَلْتَ أَحَدَهُ ، فَأَنْشَأُ يَقُولُ :

مَا بِالْ مَيَّةِ لَا تَأْتِي كَعَادَتِهَا	هَلْ هَاجَبَهَا طَرْبٌ أَوْ صَدَّهَا شُغْلٌ
لَكِنَّ قَلْبِي لَا يَعْنيهِ غَيْرُكُمْ	حَتَّى الْمَهَاتِ وَلَا لِي غَيْرُكُمْ أَمَلٌ
لَوْ تَعَلَّمِينَ الَّذِي بِي مِنْ فِرَاقِكُمْ	لَمَّا اعْتَذَرْتِ وَلَا طَابَتْ لَكَ الْعِلَلُ
نَفْسِي فِدَاؤُكَ قَدْ أَحْدَلَتْ بِي حُرْفًا	تَكَادُ مِنْ حَرِّهَا الْأَنْحِشَاءُ تَنْفَصِلُ
لَوْ كَانَ عَادِيَهُ مِنْهُ عَلَى جَبَلٍ	لَزَلُ وَأُنْهَدُ مِنْ أَرْكَانِهِ الْجَبَلُ

فَوَاللَّهِ مَا أَكْتَجِلُ بَغِيضٍ حَتَّى أَنْفَجِرَ عَمُودَ الصَّبْحِ ، وَقَامَ وَمَرَّ نَحْوَ الْحَيِّ فَأَبْطَأَ عَنِّي سَاعَةً ثُمَّ أَقْبَلَ وَمَعَهُ شَيْءٌ وَجَمَلٌ يَبْكِي عَلَيْهِ ، فَقُلْتُ لَهُ : مَا هَذَا ؟ قَالَ : هَذِهِ ابْنَةُ عَمِّي افْتَرَسَهَا السَّبْعُ فَأَكَلَ بَعْضَهَا وَوَضَعَهَا بِالْقُرْبِ مِنِّي فَأَرْجِعُ

والله قلبي ، ثم تناول سيفه ومر نحو الحي فأبطأ هنيهة ثم أقبل الي وعلى عاتقه ليش كأنه حمار فقلت له : ما هذا ؟ قال : صاحبي قلت : وكيف علمته ؟ قال اني قصدت الموضع الذي أصابها فيه وعلمت أنه سيهود الي ما فضل منها ، فجاء قاصداً الي ذلك الموضع فعلمت أنه هو فحملت عليه فقتلته ، ثم قام فحفر في الأرض فأمن وأخرج ثوباً جديداً وقال : يا أخا بني عامر اذا أنامت فأدرجني معها في هذا الثوب ، ثم ضعنا في هذه الحفرة وهل التراب واكتب هذين البيتين على قبرنا وعليك السلام :

كُنَّا عَلَى ظَهْرهَا وَالْمَيْشُ فِي مَهْلٍ      وَالذَّهْرُ يَجْمَعُنَا وَالِدَارُ وَالْوَطَنُ  
فَخَانَنَا الذَّهْرُ فِي تَفْرِيقِ الْفِتْنَا      وَالْيَوْمَ يَجْمَعُنَا فِي بَطْنِهَا الْكَفَنُ

ثم التفت الي الأسد وقال :

أَلَا أَتَيْهَا اللَّيْثُ الْمُدِلُّ بِنَفْسِهِ      هُبَيْتَ أَمَدُ جَرَّتْ يَدَاكَ لَنَا حُرْنَا  
وَعَادَرْتَنِي فَرْدًا وَقَدْ كُنْتُ آفَا      وَصَيَّرْتَ آفَاكَ لِلْبِلَادِ لَنَا سَجْنَا  
أَصْحَبُ دَهْرًا خَانَنِي بِفِرَاقِهَا      مُعَاذَ إِلَهِي أَنْ أَكُونَ لَهُ خِدْنَا

ثم قال : يا أخا بني عامر اذا فرغت من شأننا فصع في أدبار هذه الغنم فردها الي صاحبها ، ثم قام الي شجرة فاختنق حتى مات ، فقامت فأدرجتها في ذلك الثوب ووضعتها في تلك الحفرة ، وكتبت البيتين على قبرهما ، ورددت الغنم الي صاحبها وسألني القوم فأخبرتهم الخبر فخرج جماعة منهم فقالوا : والله لننحرن عليه تعظيماً له ، فخرجوا وأخرجوا مائة ناقة وتسامع الناس فاجتمعوا اليها فنحرت ثلاثمائة ناقة ثم انصرفنا . وقيل لما كان من أمر عبد الرحمن بن الأشعث الكندي ما كان قال الحجاج اطلبوا لي

شهاب بن حرقة السعدي في الاسرى او القتلى فطلوه فوجدوه في الاسرى  
 فلما ادخل على الحجاج قال له : من أنت ؟ قال أنا شهاب بن حرقة قال :  
 والله لأقتلنك قال : لم يكن الامر بالذي يقتلني قال ولم ؟ قال : لان  
 في خصا لا يرغب نيهن الامير قال وما هن ؟ قال : ضروب بالصفحة  
 هزوم للكثيرة من الكتبية احمي الجار وأذب عن الذمار وأجود على العسر  
 واليسر غير بطيء عن النصر قال الحجاج : ما أحسن هذه الخصال فأخبرني  
 بأشد شيء مر عليك قال : نعم أصلح الله الامير

بيننا أنا أسير \* ومركبي وثير \* في عصابة من قومي  
 في ليلتي ويومي \* يمضون كالأجادل \* في الحرب كالبواسل  
 أنا المطاع فيهم \* في كل ما يليهم \* فسرت خمساً عوما  
 وبعد خمس يوما \* حتى وردت أرضا \* ما انت ترام عرضا  
 من باد البحرين \* عند طلوع العين \* فهجتهم نهارا  
 ألتس الغارا \* حتى اذا كان السحر \* من بعد ما غاب القمر  
 اذا أنا بعير \* يقودها خفير \* موقرة متاعا  
 مقبلة صراعا \* فصلت بالسنان \* مع سادة قتيان  
 فسقتها جميعا \* أحشها صريعا \* أريد رمل عالج  
 أمعج بالمناجج \* أسير في الليالي \* خرقا بعيداً خالي  
 وقد لقينا تعباً \* وبعد ذلك نصبا \* حتى اذا هبطنا  
 من بعد ما صعدنا \* عنتنا لنا بيدانه \* قد كان فيها عانه  
 رهيتها بقوسي \* في مهمة كالترس \* حتى اذا ما أمنت  
 بالفقر ثم درمت \* وردت قعراً منهلاً \* في جوفه طام حلا  
 وعندده خبيبه \* في جوفها نعيمه \* عزيزة كالشمس  
 فاقت جميع الانس \* فهبت مهري عندها \* حتى وقفت معها  
 حيث تم ردت \* في لطف وحيث \* فقلت يا لعوب

والطفلة العروب \* هل عندكم قراء \* إذ نحن بالعراب  
 قالت نعم برحب \* في لطف وقرب \* أربيع هنا عتيدا  
 ولا تكن بييدا \* حتى يحبك عار \* ش الهلال زاهر  
 فعبت عن قريب \* في باطن الكتيب \* حتى رأيت عامرا  
 يحمل ليثا خادر \* على عتيق سابع \* كمثل طود اللامح

قال : وكان الحجاج متكئاً فاستوى جالساً ثم قال : ويحك دعنا من  
 السبع والرجز وخذ في الحديث قال : نعم أيها الأمير ثم نزل فربط فرسه  
 وجمع حجارة وأوقد عليها ناراً وشق عن بطن الأسد وأقى مرافقه في النار  
 فجعلت أصاح الله الأمير اسمع للحم الاسد نسيثاً فقالت له نعيمة قد جاءنا  
 ضيف وانت في الصيد قال : فما فعل ؟ قالت ، ها هو ذاك بظهر الكتيب  
 والحيمة ، وأومات الي ، فأنتيتها فاذا انا بسلام أمرد كأن وجهه دائرة القمر  
 فربط فرسي الى جنب فرسه ودعاني الى طعامه فلم أستنع من أكل لحم الاسد  
 لشدة الجوع ، فأكلت انا ونعيمة منه بعضه وأتى الغلام على آخره ، ثم مال  
 الى زق فيه خمر فشرب ، ثم سقاني فشربت ، ثم شرب الغلام حتى أتى  
 على آخره فبينما نحن كذلك اذ سمعت وقع حوافر خيل اصحابي فقلت  
 وركبت فرسي وتناوات رحى وصرت معهم ثم قلت : يا غلام خل عن  
 الجارية ولك ما سواها فقال ويلك احفظ المباحة ، قلت لا بد من الجارية  
 وفارس فالتفت اليها وقال لها : قفي ، ثم قال : يا قتيان هل لكم في العافية ؟  
 وإلا فارس وفارس فبرز اليه رجل من اصحابي فقال له الغلام : من انت ؟  
 فقلت أقاتل من لا أعرفه ولا اقاتل الا كذواً أعرفه . فقال : انا عاصم  
 ابن كلبة السعدي فشد عليه وانشد يقول :

إِنَّكَ يَا عَاصِمُ بِي لَجَاهِلٌ      إِذْ رُمْتَ أُمْرًا أَنْتَ عَنْهُ تُنَاكِلُ  
 إِنِّي كَمِي فِي الْخُرُوبِ بَاسِلٌ      كَيْتٌ إِذَا أَصْطَكَ اللَّيْثُ بَازِلُ

## ضَرَابُ هَامَاتِ الْعِدَا مُتَازِلٌ      قَتَالُ أَقْرَانِ الْوَعَى مُقَاتِلٌ

ثم طعنه فقتله وقال : يا فتيان هل لكم في العافية ؟ وإلا فارس وفارس  
فتقدم إليه آخر من اصحابي فقال له الغلام : من انت ؟ فقال : انا صابر  
ابن حرقة . فشد عليه وانشأ يقول :

إِنَّكَ وَالْإِلَهَ لَسْتَ صَابِرًا      عَلَى سِنَانٍ يَجْلِبُ الْمَقَادِرَا  
وَمُنْصَلٍ مِثْلِ الشُّهَابِ بَاتِرَا      فِي كَفِّ فِرْمٍ يَمْنَعُ الْحَرَاثِرَا  
إِنِّي إِذَا رُمْتُ أَمْرًا فَأَسِيرَا      يَكُونُ فِرْمِي فِي الْحُرُوبِ بَاتِرَا

ثم طعنه فقتله ثم قال : يا فتيان هل لكم في العافية ؟ وإلا فارس  
لفارس فلما رأيت ذلك هالني امره وأشفقت على اصحابي فقلت : احموا  
عليه حملة رجل واحد فلما رأى ذلك أنشأ يقول :

الآنَ طَابَ الْمَوْتُ ثُمَّ طَابَا      إِذْ تَطْلُبُونَ رِخْصَةَ كَعَابَا  
وَلَا تُرِيدُ بَعْدَهَا عِتَابَا

فركبت نعيمة فرسها وأخذت رحلها فبها زال يجالدا ونعيمة حتى قتل  
منا عشرين رجلا فأشفقت على اصحابي فقلت : يا غلام قد قبلنا العافية والسلامة  
فقال : ما كان أحسن هذا لو كان أولا ونزلنا وسألنا . ثم قلت يا عامر بحق  
المخالفة من انت ؟ قال : انا عامر بن حرقة الطائي وهذه ابنة عمي ونحن  
في هذه البرية منذ زمان ودهر ما مر بنا إنسي غيركم ، فقلت : من أين  
طعامكم ؟ قال حشرات الطير والوحش والسباع : فمن أين شرابكم ؟ قال :  
الحمر أجلبها من بلاد البحرين كل عام مرة أو مرتين قلت : ان معي مائة  
من الابل موقرة متاعا فيخذ منها حاجتك فقال : لا أرب لي فيها ولو



أردت ذلك لكنت أقدر عليه فارتحلنا عنه منصرفين فقال الحجاج : الآت يا عدو الله طاب قتلك لغدرك بالفتى قال : كان خروجي على الامير أصلحه الله أعظم من ذلك فان عفا عني الامير رجوت أن لا يؤاخذني بغيره فأطلقه ووصله وورده الى بلده .

### (ضده)

قال : دخل أبو زيد الطائي على عثمان بن عفان في خلافته وكان نصرانياً فقال له : بلغني أنك تجيد وصف الاسد . فقال له : لقد رأيت منه منظراً وشهدت منه مخبراً لا يزال ذكره يتجدد على قلبي قال : هات ما مر على رأسك منه قال : خرجت يا أمير المؤمنين في صياحة من أقناء قبائل العرب ذوي سارة حسنة ترمي بنا المهاري بأكسائها القزوانيات ومعنا البغال عليها العبيد يقودون عناق الخيل نريد الحارث بن أبي شمر الغساني ملك الشام ، فأخروط بنا السير في حمارة القيظ حتى اذا عصبت الأفواه وذبلت الشفاه وشالت المياه وأذكت الجوزاء المعزاء وذاب الصيخد وصر الجندب وضائق العصفور الضب في وجاره قال قائلنا : أيها الركب غوروا بنا في دوح هذا الوادي فاذا واد كثير الدغل دائم الغلل شجراؤه مغمنة وأطيابه مرنة ، فحططنا رحالنا بأصول دوحات كنهلات فأصبنا من فصلات المزاهد واتبعناها بالماء البارد ، فانا لنصف حر يومنا وبمطلته ومطاولته اذ صر أقصى الخيل أذنيه ونفص الأرض بيده ، ثم ما لبث أن جال فجمعهم وبال فهمهم ثم فعل فعله الذي يليه واحد بعد واحد فتضعفت الخيل وتكفكت الابل وتقهقرت البغال فمن نافر بشكاله وناهض بعقاله فعلنا أن قد أتينا وأنه السبع لا شك فيه ففرع كل امرئ منا الى سيفه وامته من جربانه ، ثم وقفنا له رزقنا فأقبل يتطالع في مشيته كأنه مجنوب أو في

هجار اصدرة نحيط ولبلاعيمه غطيظ ولطرفه ومبيض ولارساغه تقيض كأنما  
يخبط هشيا أو يظاً صريما ، واذا هامة كالجن وخذ كالسن وعينان سجرا  
وان كأنها سراجان يقدان وقصرة ربة ولذمة رهة وكتد مغيظ وزور  
مفرط وساعد مجدول وعضد مفتول وكف شثة البراسن الى مخالف  
كاللحاجن ، ثم ضرب بذنبه فأرهج وكشر فأفرج عن أنياب كالمعاول . حقولة  
غير مفلولة وفم أشدق كالغار الاخرق ثم تظلى أسرع بيديه وحفز وركيه  
برمليه حتى صار ظله مثليه ، ثم ألقى فاقشعر ، ثم مثل فاكفهر ، ثم  
تجهم فازبار فلا والذي بيته في السماء ما اتقيناه بأول من أخ لنا من بني  
فزارة كان ضخيم الجزارة فوهسه ثم أقعصه فقضض منته وبقر بطنه . جعل  
يلغ في دمه فذمرت أصعابي فبعد لأي ما استقدموا فكر . قشعر الزبرة كأن  
به شهباً حوليا ، فاخلمج من دولي رجلا أعجر ذا حوايا فنفذه نفضة  
فتزابلت أوحاله وانقطعت أوداجه ، ثم نهم فقرقر ، ثم زفر فزبر ، ثم  
زار فجزجر ، ثم لحظ ، فوالله . لحت البرق يتطـاير من تحت جفونه عن  
شاه ويمينه ، فارتعشت الأيدي واصطكت الأرجل وأطت الاضلاع ،  
وارتجت الاسماع ، وحلمجت العيون ، وانخزلت المتون ، ولحت الظهر  
البطن ، ثم ساءت الظنون وانشأ :

عَبُوسٌ شَمُوسٌ مُصَاخِدٌ خُنَابِسٌ

جَرِيٌّ عَلَى الْأَرْوَاحِ لِلْقِرْنِ قَاهِرٌ

مَنْبِعٌ وَيَجْمِي كُلَّ وادٍ يرومه  
شَدِيدٌ أَصُولِ الْمَاضِيْنَ مُكَابِرٌ  
مَوَائِنُهُ شَثْنٌ وَعَيْنَاهُ فِي الدُّجَى  
كَجَمْرِ الْغَضَافِي وَجِهَةِ الشَّرِّ ظَاهِرٌ  
يُدِلُّ بِأَنْبَابِ حِدَادٍ كَأَنَّهَا  
إِذَا قَاصَّ الْأَشْدَاقَ عَنْهَا خَنَاجِرٌ

فقال عثمان : اكفف لا أم لك ، فلقد أزعجت قلوب المسلمين ، واقد وصفته حتى كأنني انظر اليه يريد يوانبني . وقيل في أصل : وهو أجبن من هجرس - وهو الفرد - وذلك انه لا ينام الا وفي يده حجر مخاضة ان يأكله الذئب . وحدثنا رجل بمكة قال : اذا كان الليل رأيت القروود تجتمع في موضع واحد ، ثم نبيت مستطيلة واحداً في أثر واحد في يد كل واحد منهم حجر لئلا ترقد ، فيأتيها الذئب فيأكلها ، وان نام واحداً وسقط الحجر من يده فزع فتجرك الآخر فصار قدماه ملا تزال كذلك طول الليل فتصبح وقد صارت من الموضع الذي باتت فيه على ثلاثة أميال أو اكثر جننا ، وقيل : هو أجبن من صافر ، وهو طائر يتعلق برجليه وينكس أسفه ثم يصفر ليلته كلها خوفاً من ان ينام فيؤخذ ، وقيل ايضاً : هو أجبن من المزوف ضرطاً وكان من حديثه ان نسوة من العرب لم يكن لهن رجل فتزوجت واحدة منهن برجل كان ينام الى الضحى فاذا اتته ضربته وقلن له : قم فاصطحب ويقول : لو اعادته نيهتني - اي خيل عادياً عليه عليكن مفيرة فادعها عنكن - قلنا رأيت ذلك فرحن وقلن : ان صاحبنا لشجاع ثم اقبلن وقبن : تعالين نجربه فاتته كما كر يأتينه فأيقظته فقال : لو اعادته نيهتني ، فقلن له : نواصي الخيل معك ، انجول بقول : الخيل الخيل ويضرب حتى مات وضرب به المثل . وقيل لجان : ابزمت فغضب الامير عليك ، قال : يغضب الامير وأنا حي أحب الي من ان يرضى وان ميت . وقيل لعن المجن : ما لك لا تغزو ؟ قال : والله اني لا بغض الموت عنى وراشي فكيف أمر اليه ركناً ؟ قال : وقال الحجاج لحيد الارقط وقد أنشده قصيدة يصف فيها الحرب : يا حميد هل فانات قط ؟ قال : لا أيها الامير إلا في انرم قال : وكيف كانت وقعتك ؟ قال : اتتهت وأنا منهزم ، وما قيل في ذلك من الشعر :

ظَلَبْتُ تُشَجُّعُنِي هِنْدُ بِتَضْلِيلِ      وَلِلشَّجَاعَةِ خَطْبٌ غَيْرُ مَجْهُولِ

هَاتِي شُجَاعًا لِغَيْرِ الْقَتْلِ مَضْرَعُهُ      أَوْجِدُكَ أَفَّ جَبَانٍ غَيْرِ مَقْتُولِ  
 الْحَرْبِ تُوسِعُ مَنْ يَصِلِي بِهَا حَرْبًا      يَتَمُّ الْعِيَالِ وَإِنْكَالِ الْمَأْكُولِ  
 اسْمُ الْوَعَى اشْتَقُّ مِنْ غَوْنَاءَ يُحْرِبُهَا

يَفْدُونَ لِلْمَوْتِ كَالطَّيْرِ الْأَبَابِيلِ  
 وَاللَّهِ لَوْ أَنَّ جَبْرِيلاً تَكْفَلَ لِي

بِالنَّصْرِ مَا خَاطَرَتْ نَفْسِي لِجَبْرِيَلِ  
 هَلْ غَيْرَ أَنْ يَمْدِرُونِي أَنِّي فَشِلُّ      فَكُلُّ هَذَا نَعْمَ فَأَعْرُوا بِتَعْزِيلِي  
 إِنْ أَعْتَذِرُ مِنْ فِرَارِي فِي الْوَعَى أَبَدًا

كَانَ أَعْتِدَارِي رَدِيدًا غَيْرَ مَقْبُولِ  
 اسْمَعُ أَخْبَرَكَ عَنْ بَأْسِي بِدِي سَلَبِ

خِلَافَ بَأْسِ الْمَسَاعِيرِ الْجَبَاهِيلِ  
 لَمَّا بَدَتْ مِنْهُمْ نَحْوِي عَشُورَانَهُ

شَاءَ تَشْرَعُ فِي عَرْضِي فِي طَوْلِي  
 فَقُلْتُ وَيَجْكُمُ لَا تَرْهَبُوا جَلْدِي

رُفِعِي كَسِيرٌ وَسَيْفِي غَيْرٌ مَقْتُولِ  
 لَمَّا انْقَبَيْتُهُمْ طَوْعًا بِذَاتِ يَدِي

وَأَنْصَعْتُ أَطْوِي الْأَمْلَاءَ إِلَى مِيلِ  
 اللَّهُ خَلَصَنِي مِنْهُمْ وَفَلَسَفَتِي حَتَّى تَخَلَّصْتُ مَخْضُوبِ السَّرَاوِيلِ

وقال آخر :

أَضَحَّتْ تُشَجِّبِي هَذَا فُقَّتْ لَهَا    إِنَّ الشَّجَاعَةَ مَقْرُونٌ بِهَا الْعَطَبُ  
لا والذي حَبَّتْ الْأَنْصَارُ كَمَبَّتَهُ

مَا يَشْتَهِي الْمَوْتَ عِنْدِي مَنْ لَهُ أَرْبُ

لِلْعَرَبِ قَوْمٌ أَضَلَّ اللَّهُ سَبِيلَهُمْ    إِذَا دَعَّيْتَهُمْ إِلَى حَوْمَاتِهَا وَثَبُّوا  
وَأَنْتُ مِنْهُمْ وَلَا أَهْوَى فِعَالَهُمْ    لَا الْقَتْلُ يُعْجِبُنِي مِنْهُمْ وَلَا السَّلْبُ

وقال آخر :

يَقُولُ لِي الْأَمِيرُ بِغَيْرِ جُرْمٍ    تَقَدَّمَ حِينَ حَلَّ بِنَا الْمِرَاسُ  
فَمَا لِي إِنْ أَطَعْتُكَ فِي حَيَاةٍ    وَلَا لِي غَيْرَ هَذَا الرَّأْسِ رَاسُ

## ٢٠ - محاسن حب الوطن

قال عمر بن الخطاب : لولا حب الوطن لخرب بلد السوء وكان يقال :  
بحب الاوطان عمرت البلدان ، وقال جالينوس : يتروح العليل بنسيم  
أرضه كما يتروح الأرض الجذبة بيل المطر . وقال بقراط : يداوى كل  
عليل بعقاقير أرضه فان الطبيعة تنزع الى غذائها ، وهذا يؤكد ذلك قول  
أعرابي وقد مرض بالحضر فقيل له : ما تشتهي فقال : مخبضا روبا وضبا  
مشويا ، وقد قيل : أحق البلدان بزائك إليها بلد أمصك حلب رضاه ،  
وقيل : احفظ أرضاً أرسخك رضاعها ، وأصلحك غذاؤها وارع حتى  
اكتنفت فئاؤه . وقيل : لا تشك بلدا فيه قبائلك . وقيل من علامة  
الرشد أن تكون النفس الى أوطانها مشتافة والى مولدها تواقفة . وحدثنا  
بعض بني هاشم قال : قلت لأعرابي من أين أقبلت ؟ قال : من هذه

البادية ، قلت : وأين تسكن منها ؟ قال : مساطط الحمى حتى ضربة ما  
ان لعمري الله أريد بها بدلا ولا أبتغي عنها حولا حفتها الفلوات فلا يملوح  
ماؤها ولا تحمي تربتها ليس فيها أذى ولا قذى ولا وعك ولا موم ونحن  
بأرفه عيش وأوسع عيشة وأسبغ نعمة قلت : بما طعامكم ؟ قال ؟ بخ بخ  
الهيبد والضباب واليرابيع مع القنأذ والحيات وربنا والله أكلنا القد  
واشوتينا الجرد ولا نعلم أحداً أخصب منا عيشاً ، فالحمد لله على ما رزق من  
العمة وبسط من حسن الدعوة . وقيل لأعرابي كيف تصنع بالبادية اذا  
اتصف النهار واتعمل كل شيء ظاهراً ؟ فقال : وهل العيش إلا ذلك ؟ يمشي  
أحدنا ميلاً فيرفض عرفاً كأنه الجمان ثم ينصب عصاه ويلقي عليها كساءه  
وتقبل الرياح من كل جانب فكانه في ايوان كسرى . وقال بعض الحكماء :  
عسرك في بلدك خير من يسرك في غربتك . وقيل لأعرابي ما الغبطة قال  
الكفاية ولزوم الاوطان والجلوس مع الاخوان ، وقيل : فما الذل ؟ قال :  
التنقص في البلدان والتنهي عن الاوطان ، وقال بعض الأدباء : الغربة ذلة  
والذلة قلة ، وقال الآخر : لا تمهض عن وطنك ووكرك فتمتصك الغربة  
وتصمتك الوحدة . وشبهت الحكماء الغريب باليتيم اللطيم الذي تكل أبويه  
فلا أم توأمه ولا أب يجذب عليه . وكان يقال : الغريب عن وطنه  
ومحل رضاعه كالغرس الذي زايل أرضه وفقد شربه فهو ذاو لا يثمر وذابل  
لا ينضج ، وكان يقال : الجالي عن مسقط رأسه كالعير الناضر عن موضعه  
الذي هو لكل رام رمية ، وأحسن من ذلك وأصدق قول الله عز وجل  
« ولولا أن كتب الله عليهم الجلاء » وقال تعالى « ولو أننا  
كتبنا عليهم أن يقتلوا أنفسهم أو أخرجوا من دياركم  
ما فعلوه إلا قليل منهم » فقرن جل ذكره الجلاء عن الوطن بالقتل ،  
وقال تقدست اسمائه « وما لنا إلا أن نقاتل في سبيل الله وقد  
أخرجنا من ديارنا وأبنائنا » فجعل القتال بأزاء الجلاء ، قال صلى الله عليه  
( الخروج عن الوطن عقوبة ) وما قيل في ذلك من الشعر :

إِذَا مَا ذَكَرْتُ التَّنْعُرَ فَاصْتِ مَدَامِعِي

وَأُضْحَى فُوَادِي نَهْبَةً لِلِهَامِهِم-

حَنِينًا إِلَى أَرْضِهَا الْخَضْرَاءِ شَارِبِي  
وَأَلْطَفُ قَوْمٍ بِالْفَتَى أَهْلُ أَرْضِهِ

وقال آخر :

أَحِنُّ إِلَى أَرْضِ الْحِجَازِ وَحَاجَتِي  
وَمَا نَظَرِي مِنْ نَحْوِ نَجْدٍ بِنَافِعِي  
فَقِي كُلِّ يَوْمٍ نَظْرَةً ثُمَّ عِبْرَةً  
مَتَى يَسْتَرِحُ قَلْبٌ فَإِنَّمَا مُجَادِرُهُ

وقال آخر :

نَقْلُ فُوَادِكَ حَيْثُ شِئْتَ مِنَ الْهَوَى

مَا الْحُبُّ إِلَّا لِلْحَبِيبِ الْأَوَّلِ

كَمْ مَنْزِلٍ فِي الْأَرْضِ يَا أَلْفَهُ الْفَتَى  
وَحَنِينُهُ أَبَدًا لِأَوَّلِ مَنْزِلِ

وقال ابن أبي السرح قرأت على حائط بيتي شعروها :

إِنَّ الْغَرِيبَ وَكَوَيْبُكُونُ بِبَلَدَةٍ  
يَجْبِي إِلَيْهِ خِرَاجُهَا لَغَرِيبُ

وَأَقْلُ مَا يَلْقَى الْغَرِيبُ مِنَ الْأَذَى

أَنْ يُسْتَدَلَّ وَأَنْ يُقَالَ كَذُوبُ

وقال : وقرأت على حائط بمسكر مكرم :

إِنَّ الْغَرِيبَ إِذَا يُنَادِي مَوْجِعًا      عِنْدَ الشَّدَائِدِ كَانَ غَيْرَ مُجَابٍ  
فَإِذَا نَظَرْتَ إِلَى الْغَرِيبِ فَكُنْ لَهُ      مُتَرَحِّمًا لِتَبَاعُدِ الْأَحْبَابِ

وقال : وقرأت على حائط ببغداد :

غَرِيبُ الدَّارِ لَيْسَ لَهُ صَدِيقٌ      جَمِيعُ سُؤَالِهِ أَزِنَ الطَّرِيقُ  
تَعَلَّقَ بِالسُّؤَالِ لِكُلِّ شَيْءٍ      كَمَا يَتَعَلَّقُ الرَّجُلُ الْغَرِيبُ  
فَلَا تَجْزَعُ فَكُلُّهُ فَتَى سِيَاتِي      عَلَى حَالِهِ سَعَةٌ وَضِيقُ

قال : ووجدت على حائط باب مكتوبا :

عَلَيْكَ سَلَامُ اللَّهِ يَا خَيْرَ مَنْزِلٍ      رَحَلْنَا وَخَلَفْنَاكَ غَيْرَ ذَمِيمٍ  
فَإِنْ تَكُنِ الْأَيَّامُ فَرَقْنَ بَيْنَنَا      فَمَا أَحَدٌ مِنْ رَبِّهَا بِسَلِيمٍ

وقال آخر :

وَإِنْ اغْتَرَابَ الْمَرْءُ مِنْ غَيْرِ حَاجَةٍ      وَلَا فَاقَةَ يَسْمُو لَهَا كَعَجِيبُ  
فَحَسْبُ أَمْرِيءُ ذُلًّا وَكَوَأَدْرَكَ الْغِنَى

ونال ثراءً أَنْ يُقَالَ غَرِيبُ

وقال آخر :

إِنَّ الْغَرِيبَ وَإِنْ يَكُنْ فِي غِبْطَةٍ      لِمُعَذِّبٍ وَفُؤَادُهُ مُحْزُونُ  
وَمَتَى يَكُونُ مَعَ التَّغْرِبِ عَاشِقًا      وَمُفَارِقَا رَبِّ كَيْفَ يَكُونُ



وقال آخر

لَوْ أَنَّهُ مَلِكٌ كُلُّ الْوَرَى مَلَكًا  
حَنُّ الْغَرِيبِ إِلَى أَوْطَانِهِ فَبِكِي

إِنَّ الْغَرِيبَ ذَلِيلٌ أَيْنَمَا سَلَكَ  
إِذَا تَعَنَّى سَحَامُ الْأَيْكِ فِي عُصْنِ

وقال آخر :

فَكَمْ قَدَرْدٌ مِثْلَكَ مِنْ غَرِيبٍ  
وَلَا تَبَاسٌ مِنْ الْفَرَجِ الْقَرِيبِ

سَلِّ اللَّهُ الْإِيَابَ مِنَ الْمَغِيبِ  
وَسَلِّ الْحُزْنَ مِنْكَ بِحُسْنِ ظَنِّ

وقال آخر :

أَعْلَى إِيَابِ الظَّاعِنِ قَرِيبٌ  
أَلَّا لَا تُصَبِّرْتَنِي فَلَسْتُ أُجِيبُ

تَصَبَّرْ وَلَا تَعْجَلْ وَوَقِيتَ مِنَ الرَّدَى  
فَقُلْتُ وَفِي قَلْبِي جَوَى لِفِرَاقِهَا

وقال آخر :

وَكُلُّ غَرِيبٍ لِلْغَرِيبِ حَبِيبٌ  
لَطِيبُهُمْ إِنِّي إِذَا لَكْتُ ذُوبٌ  
فَقَاضَتْ لَهَا مِنْ مُقْلَتِي غُرُوبٌ

أَعَادِلَ حُبِّي لِلْغَرِيبِ سَجِيئَةٌ  
لَكُنْ قُلْتُ لَمْ أَجْزَعْ مِنَ الْبَيْنِ أَنْ مَضَوْا  
بَلَى مُغْبَرَاتِ الشُّوقِ أَخْرَمَتْ الْحَشَا

وقال آخر :

مُجَلَّةٌ يُشِيبُ لَهَا الْوَلِيدُ

إِذَا اغْتَرَبَ الْكَرِيمُ رَأَى أُمُورًا

وقال آخر :

نَ كَذَا تَفَرَّقْنَا سَرِيعًا

مَا كُنْتُ أَحْسِبُ أَنْ يَكُونُ

نَجَلَ الزَّمَانُ عَلَيَّ أَنْ      تَبَقَى كَمَا كُنَّا جَمِيعًا  
فَأَحْلَنِي فِي بَلَدَةٍ      وَأَحْلَكَ الْبَيْتَ الشَّيْمَا  
قَدْ كُنْتُ أَنْتَظِرُ الْوَصَا      لَ فَصِرْتُ أَنْتَظِرُ الرَّجُوعَا

وقال آخر :

نَسِيمُ الْخَزَامِي وَالرِّيَّاحُ الَّتِي جَرَتْ      بَنَجِدِ عَلَى نَجْدِ تَدُ كَرُونِي نَجْدَا  
أَتَانِي نَسِيمُ السَّدْرِ طَيِّبًا إِلَى الْحَمَى      فَذُ كَرُونِي نَجْدَا فَهَطَّعَنِي وَجَدَا

وفي معناه [ ادعاء للمسافر ] بأعين طالع وأسر طائر ولا كبابك  
مركب ، ولا اشت بك مذهب ، ولا تعذر عليك مطلب . سهل الله لك السير  
وإنا لك القصد وطوي لك البعد بمسرة الظفر وكرامة المدخر . على الطائر  
الميسون والكوكب السعدالي حيث تتناصر أيدي الحوادث عنك وتتقاعس  
نواب الأيام دونك بسهولة المطلب ونجاح المنقلب . كان الله لك في سفرك  
خفياً وفي حضرك ظهراً بسعي نجيح وأوب سريح . بصرك الله محلك وهداك  
رحلك وسر بأوبتك اهلك ولا زلت آمناً متعباً وظاعناً بأسعد جد وأنجح  
مطلب وأسر منقلب وأكرم بداية وأحمد عاقبة . اشخص مصحوباً بالسلامة  
والكلاءة آتياً بالنجح وانعطية محوطاً فيما تطالعه بالعناية والشفقة في ودائع  
الله وكنفه وجواره وستره وامانه وحفظه وذمامه . وقال رجل للنبي صلى  
الله عليه وسلم : اني اريد سفراً ، فقال : في كنف الله وستره زودك الله  
التقوى ووجهك الى الخير حيثما كنت استخلف الله فيك واستخلفه  
منك ) ، وقال الشاعر

فِي كَنْفِ اللَّهِ وَفِي سِتْرِهِ      مَنْ لَيْسَ يَخْلُدُ الْقَلْبُ مِنْ ذِكْرِهِ

وقال آخر :

إِرْحَلْ أَبَا بَشْرٍ بِأَيْمَنِ طَائِرٍ وَعَلَى السَّمَادَةِ وَالسَّلَامَةِ فَانزِلِ

(ضده)

قال بعض حكماء الفلاسفة : أطلبوا الرزق في البعد فانكم ان لم تكسبوا  
مالا غنتم عقلا كثيراً . وقال آخر : لا يألف الوطن الا ضيق العطن .  
وقيل لا توحشك الغربة اذا آنتك النعمة . وقيل : الفقير في الاهل  
مصروم والغني في الغربة موصول . وقال : لا تستوحش من الغربة اذا  
أنت مصروما . وقيل : أوحش قومك ما كان في إيجاشهم أنسك ،  
واهجر وطنك ما نبت عنه نفسك ، وأنشد :

لَا يَمْنَعُنْكَ خَفْضُ الْعَيْشِ فِي دَعَاةٍ      نَزُوعُ نَفْسٍ إِلَى أَهْلِ وَأَوْطَانِ  
تَلْقَى بِكُلِّ بِلَادٍ إِنْ حَلَّتْ بِهَا      أَهْلًا بِأَهْلِ وَجِيرَانًا بِجِيرَانِ

وقال آخر :

نَبَتَ بِكَ الدَّارُ فِيسِرَ آمِنًا      فَلِئَلْفَتِي حَيْثُ انْتَهَى دَارُ

وفي معناه ( الدعاء على المسافر ) بالبارح الاثام ، والسائح الاعضب ،  
والصرد الاكسد ، والسفر الابد . لا استمرت به مطيته ولا استتبت به  
أمنيته ، ولا تراخت منيته . بنحس مستمر وعيش مر . لا قري اذا  
استضاف ولا أمن اذا خاف . ويقال ان عليا عليه السلام لما اتصل به  
مسير معاوية قال : لا أرشد الله قائده ولا أسعد رائده ولا أصاب غيثاً  
ولا سار الا ريثا ولا رافق الا ليشاً أبعد الله وأسحقه وأوقد على أثره  
وأحرقه لا حظ الله رحله ولا كشف محله ولا بشر به أهله لا زكي له  
مطلب ولا رحب له مذهب ولا يسر له مراما لا فرج الله له غمه ولا

سوي همه لا سقاه الله ماء ولا حل عقده ولا أوردى زنده جعله الله سفر  
الفراق وعصى الشقاق ، وأنشد :

بأنكدر طائرٍ وبشرٍ قال  
بجد السد حيث يكون مني  
غريباً تمتطي قدميك دهرًا  
ولأنكدر غاية وأخس حال  
كما بين الجنوب إلى الشمال  
على خوف تحين إلى العيال  
وقال آخر :

إذا استقلت بك الركاب  
وحيث لا تبتغي فلاحاً  
وحيث ما دوت فيه يوماً  
وقال آخر :

فسر بالشحوس إلى بلدة  
ولا تزرع الأرض من زهرة  
تفيض البحار بها مرة  
وقال آخر :

أدنى خطاك الهند والصين  
بحيث لا يانس مستوحش  
تهوي بك الأرض إلى بلدة  
وكل نحس بك مقرون  
وحيث لا يفرح محزون  
ليس بها ماء ولا طين

## ٢١ - محاسن الدهاء والحيل

المهشم بن الحسن بن ممار قال : قدم شيخ من خزاعة أيام المختار فنزل على عبد الرحمن بن ابان الخزاعي ، فلما رأى ماتصنع سوقة المختار من الاعظام جعل يقول : يا عباد الله أبا المختار يصنع هذا والله لقد رأيت به يتتبع الاماء بالحجاز فبلغ ذلك المختار فدعا به وقال : ما هذا الذي بلغني عنك . قال : الباطل فأمر بضرب عنقه ، فقال : لا والله لا تقدر على ذلك قال : ولم ؟ قال : اما دون ان انظر اليك وقد هدمت مدينة دمشق حجراً حجراً وقتلت القائدة وسبيت الذرية ثم تصليني على شجرة على نهر والله اني لأعرف الشجرة الساعة واعرف شاطئ ذلك النهر ، فالتفت المختار الى اصحابه فقال لهم : ان الرجل قد عرف الشجرة فحبس حتى إذا كان الليل بعث اليه فقال : يا اخا خزاعة أو مزاح عند القتل ؟ قال : انشدك الله ان اقل ضياعاً قال : وما تطلب ههنا ؟ قال : اربعة آلاف درهم اقتضي بها ديني قال : ادفعوها اليه وإياك ان تصبح بالكوفة فقبضها وخرج عنه . وعنه قال كان سراقه البارقي من ظرفاء اهل الكوفة فأسره رجل من اصحاب المختار فأتى به المختار فقال له : أسرك هذا ؟ قال سراقه : كذب والله ما أسرنى إلا رجل عليه ثياب بيض على فرس ابلق . فقال المختار : إلا ان الرجل قد عين الملائكة خلوا سبيله . فلما افلت منه انشأ يقول :

أَلَا أَبْلَغُ أَبَا إِسْحَاقَ أَنِّي      رَأَيْتُ الْبُلُقَ دُهُمًا مُصَمَّتًا  
أُرِي عَيْنِي مَا لَمْ تَرَاهُ      كِلَانًا عَالِمًا بِالرُّهَاتِ  
كَفَرْتُ بِوَحْيِكُمْ وَجَعَلْتُ نَذْرًا      عَلَيَّ قِتَالِكُمْ حَتَّى الْكَمَاتِ

وعنه قال : كان الاحوص بن جعفر الخزومي يتغدى في دير اللج في يوم شديد البرد ومعه حمزة بن بيض وسراقه البارقي فلما كان على ظهر الكوفة وعليه

الوبر والحز وعليهما الأطهار قال حمزة لسراقة : اين يذهب بنا في البرد ونحن في اطهار؟ قال : سأ كفيكه فيبينها هو يسير اذ دنا منهم راكب مقبل فحرك سرافة دابته نحوه وواقفه ساعة ولحق بالاحوص فقال له : ما خبرك الراكب؟ قال : زعم ان خوارج خرجت بالقطنطانة . قال : بعيد قال : ان الخوارج تسير في لية ثلاثين فرسخاً واكثر . وكان الاحوص احد الجبناء فثنى رأس دابته وقال : ردوا طعامنا نتغدى في المنزل ، فلما حاذى منزله قال لأصحابه : ادخلوا ومضى الى خالد بن عبد الله القسري فقال : خرجت خارجة بالقطنطانة . فنادى خالد في العسكر فجمعهم ووجه خيلا تركض نحو اللج لتعرف الخبر فأعلموه انه لا اصل للخبر . فقال للاحوص : من اعلمك بهذا؟ قال : سراقة قال : واين هو؟ قال : في منزلي ، فارسل اليه من اتاه به قال : انت اخبرته عن الخارجة قال : ما فعلت اعلم الله الامير ، قال له الاحوص : انكذبني بين يدي الامير . قال خالد ويحك اصدقني قال : نعم اخرجنا في هذا البرد وقد ظاهر الحز والوبر ونحن في اطهارنا هذه فأحببت ان اردته ، فقال له خالد : ويحك وهذا مما يتلاعب به ، وسراقة هذا هو القائل :

قالوا سُراقَةُ عَيْنٌ فقلتُ لهمُ      اللهُ يَعْلَمُ أَنِّي غَيْرُ عَيْنٍ  
فانَ ظَنَنْتُمْ بِي الشَّيْءَ الَّذِي زَعَمْتُمْ      فقرَّبوني مِن بنتِ ابنِ ياسينِ

وذكروا : ان شيب بن يزيد الخارجي مر بسلام مستنقع في الفرات فقال له : يا غلام اخرج اني اسألك ، فعرفه الغلام فقال له : اني اخاف اقامن انا اذا خرجت حتي البس ثيابي ، قال : نعم ، فخرج وقال : والله لا البسها اليوم ، فضحك شيب وقال : خدعتني ورب الكعبة ووكل به رجلا من اصحابه يحفظه الا يصيبه احد بمكروه قال : وكان رجل من الخوارج يقول :

فمنا يزيدُ والبطينُ وقعبُ      ومنا اميرُ المؤمنينِ شبيبُ

فسار البيت حتى سمعه عبد الملك بن مروان فأمر بطلب قائله فأتي به ،  
فلما وقف بين يديه قال : انت القائل \* ومنا امير المؤمنين شيب  
قال لم أقل هكذا يا امير المؤمنين انما قلت \* ومنا امير المؤمنين شيب \*  
فضحك عبد الملك وامر بتخلية سيده فتخلص بدهاءه ، وفطنته لازالة الاعراب  
من الرفع الى النصب . وزعموا ان عمرو بن معدي كرب هجم في بعض  
غاراته على سابة جميلة منفردة وأخذها ، فلما امعن بها بكث فقال : ما يبكيك  
قالت : ابكي لافراقى بنات عمي هن مثلي في الجمال وأفضل مني خرجت  
معهن فاقطعنا عن الحبي قال : وأنت هن ؟ قالت خلف ذلك الجبل ووددت  
اذ أخذتني انك أخذتني معي فامض الى الموضع الذي وصفته ، فمضى الى  
هناك فسأ شعر بشيء حتى هجم على فارس شك في السلاح فعرض عليه  
المصارعة فصارعه المارس ثم عرض عليه ضروبا من المناوشة فغلبه الفارس في  
كلها . فسأله عمرو عن اسمه فاذا هو ربيعة بن مكدم الكناني فاستمقد الجارية .  
وعن عدلاء ان بخارق بن عقان ومعين بن زائدة تلقيا رجلا ببلاد الشرك ومعه  
جارية لم يريا احسن منها شباها وجمالا فصاحا به خن عنها ومعه قوس فرمى  
بها وهابا الاقدام عليه ، ثم عاد ليومي فانقطعت وتره وسلم الجارية وأسند  
في جبل كان قريبا منه فابتدراه وأخذوا الجارية وكان في اذنها قرط فيه درة  
فانتزعاه من اذنها ، فقالت : وما قدر هذه لو رأينا درتين معه في قلنسوته  
وفي القلنسوة وترقد أعده ونسبه من الدهش . فلما سمع قول المرأة ذكر الوتر  
فأخذه وعقده في قوسه فوليا ليست لها همة الا التجاء وخطيا عن الجارية ،  
وعن الهيثم قال : وكان الحجاج حوداً لا يتم له صنعة حتى يفسدها فوجه  
عمارة بن نعيم اللخمي الى عبدالرحمن بن محمد بن الأشعث فظفر به وصنع ما  
صنع ، ورجع الى الحجاج بالفتح ولم ير منه ما أحب وكره منافوته وكان  
عاقلاً رقيقاً فجعل يرفق به ويقول : ايها الامير اشرف العرب انت من شرفته  
شرف ، ومن وضعته اتضع ، وما ينكر ذلك لك مع رفيك ويمتك مشورتك  
ورأيك ، وما كان هذا كله الا بصنع الله وتديورك ، وليس احد اشكر

لبلائك مني ومن ابن اثنت ، وما خطرته حتى عزم الحجاج على المسير الى  
عبد الملك فاخرج عمارة معه وعمارة يومئذ على أهل فلسطين أمير ، فلم يزل  
يلطف بالحجاج في مسيره ويعظه حتى قدموا على عبد الملك ، فلما قامت الخطباء  
بين يديه وأثنت على الحجاج قام عمارة فقال : يا أمير المؤمنين سل الحجاج  
عن طاعتي ومناصحتي وبلائي ، قال الحجاج : يا المؤمنين صنع وصنع ومن  
بأسه ونجدته وعفاه كذا وكذا وهو أمين الناس تقيبة واعلمهم بتدبير وسياسة  
ولم يبق في الثناء عليه غاية ، فقال عمارة : قد رضيت يا أمير المؤمنين ،  
قال نعم فرضي الله عنك حتى قالها ثلاثا في كلها يقول قد رضيت ، قال  
عمارة : فلا رضي الله عن الحجاج يا أمير المؤمنين ولا حفظه ولا عافاه فهو  
والله السيء التدبير الذي قد افسد عليك أهل العراق وألب الناس عليك  
وما اقيت الا من قبله ومن قلة عقله وضعف رأيه وقلة بصره بالسياسة فلك  
والله امثالها ان لم تعزله ، فقال الحجاج : مه يا عمارة ، فقال : لا مه ولا  
كرامة كل امرأة له طالق وكل مملوك له حر ان سار تحت راية الحجاج  
أبدأ ، قال : اني اعلم انه ما خرج هذا منك الا عن معتبة ولك عندي  
العبي وأرسل اليه ، فقال : ما كنت اظن ان عقلك على هذا ارجع اليه  
بعد الذي كان من طعني عليه وقولي عند أمير المؤمنين ما قلت فيه : لا  
ولا كرامة .

(ضده)

قيل في المثل : هو أحمق من عجل ، وهو عجل بن لجيم ، وذلك انه  
قيل له : ما سميت فرسك ؟ فقأ عينه وقال : سميت الأعمور ، فقال  
الشاعر فيه :

رَمَتْنِي بِنَوْ عَجَلٍ بَدَأَ أَيْبَهُمْ      وَأَيُّ أَمْرِي فِي النَّاسِ أَحْمَقُ مِنْ عَجَلٍ  
أَلَيْسَ أَبُوهُمْ عَارَ عَيْنِ جَوَادِهِ      فَصَارَتْ بِهِنَّ الْأَمْثَالُ تُضْرَبُ فِي الْجَهْلِ



وقيل : هو أحق من هبنقة ، وبلغ من حمقه أنه ضل له بعير فجعل ينادي : من وجد بعيري فهو له ، فقيل له : ولم تنشده ؟ قال وأين حلاوة الظفر والوجدان ؟ واختصمت إليه الطفاوة وبنو راسب في رجل ادعى هؤلاء وهؤلاء فيه فقالوا : قد رضينا بحكم أول طالع يطلع علينا فطلع عليهم هبنقة فلما رأوه قالوا : انظروا بالله من طلع علينا ؟ فلما دنا قصوا عليه القصة فقال هبنقة : الحكم في هذا بين ، اذهبوا به الى نهر البصرة فألقوه فيه ، فان كان راسيا رصب ، وان كان طفاوياً طفا . فقال الرجل : لا أريد أن أكون من أحد هذين الحيين ولا حاجة لي في الديوان ، وقيل : هو أحق من دعة وهي مارية بنت مفتح تزوجت في بني العنبر وهي صغيرة ، فلما ضربها المخاض ظنت أنها تريد الخلاء فعرجت تبرز ، فصاح الولد ، فجاءت منصرفة ، فصاحت : يا أماء هل يفتح الجعراف ؟ قالت : نعم ، ويدعو أباه ، فسبت بنو العنبر بذلك ، فقيل : بنو الجعراء ، وقيل : هو أحق من باقل ، وكان اشترى عنزا بأحد عشر درهماً فسئل بكم اشتريت العنز ؟ ففتح كفيه وفرق أصابعه وأخرج لسانه ، يريد أحد عشر درهماً فعبروه بذلك ، قال الشاعر :

يلومونَ في حُمقِهِ بِأَقْلَا      كَأَنَّ الحِمَاقَةَ لَمْ تُخْلَقْ  
فلا تُكثِرُوا العَمْدَ في عِيهِ      فَللصَّمْتِ أَجْمَلُ بِالأموقِ  
خُرُوجُ اللِّسانِ وَفَتْحُ البَنانِ      أَحَبُّ اليَنا مِنَ المَنطِقِ  
وما قيل فيه أيضاً من الشعر :

ياثابتَ العَقلِ كمَ عاينَتَ ذا حُمقِ      الرِّزقُ أغرَى بِهٍ مِن لَازِمِ الجِربِ  
فإنني واجدٌ في النَّاسِ واحِدَةً      الرِّزقُ أروغُ نبيٍّ عَن ذَوِي الأَدبِ  
وَخَصْلَةٌ لَيْسَ فيها مَنٌ مُجَالِفي      الرِّزقُ والنُّوكُ مَقْرُونانِ في سَببِ

وقال آخر :

أرى زماناً نوَّكادُ أسعدُ خلقه  
علا فؤقه رجلاه والرأس تحتَه  
على أنه يشقى به كلُّ عاقل  
فكَبَّ الأعالى بارِ تفاعِ الأسافل

وقال آخر :

كم من قوي قوي في قلبه  
ومن ضعيف ضعيف العقل مختلط  
مُهذَّب اللَّبِّ عنه الرُّزقُ مُنحرف  
كأنه من خليج البحر يفترف

## ٢٢ - محاسن المفاخرة

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ( أنا سيد ولد آدم ولا فخر ) ،  
وسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلاً ينشد بيتاً من شعر :

إني امرؤٌ حميريُّ حينَ تَنسِبُني  
لا من ربيعةِ آبائي ولا مُضَرَ

فقال له : ذلك الأم لك وأبعد عن الله ورسوله ، وقال بعضهم :

إذا مُضَرَ الحُمراهُ كانتُ أرومتي  
عطتُ بأنفٍ شامخٍ وقناوكتُ  
وقام بنصري خازمٌ وابنُ خازمِ  
يدايَ الشُّرَيَّا قاعدًا غيرَ قائمِ

شعيب بن إبراهيم عن علي بن زيد عن عبد الله بن الحارث عن عبد المطلب  
ابن ربيعة قال : مر العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه بنفر من قريش  
وهم يقولون انها محمد في اهلك مثل نخلة نبتت في كناسة ، فبلغ ذلك رسول  
الله صلى الله عليه وسلم فوجد منه ، فخرج حتى قام فيهم خطيباً ثم قال :  
( ايها الناس من انا ؟ قالوا : انت رسول الله قال : افانا محمد بن عبد الله بن  
عبد المطلب بن هاشم ان الله عز وجل خلق خلقه فجعلني من خير خلقه ،

ثم جعل الخلق الذي انا منهم فريقين فجعلني من خير الفريقين من خلقه ،  
ثم جعل الخلق الذي انا منهم شعوباً فجعلني في خيرهم شعباً ، ثم جعلهم  
بيوتاً فجعلني من خيرهم بيتاً ، فانا خيركم بيتاً وخيركم والداً ، واني  
مباه لكم قم يا عباس فقام عن يمينه ، ثم قال : قم يا سعد فقام عن يساره  
فقال : يقرب امرؤ منكم مما مثل هذا وخالا مثل هذا ( وحدثنا سنان  
ابن الحسن التستري عن اسماعيل بن مهران العسكري عن ابان بن عثمان  
عن عكرمة عن ابن عباس رحمهما الله تعالى عن عبي بن ابي طالب كرم  
الله وجهه قال : لما امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يعرض نفسه  
على القبائل خرج وانا معه وابو بكر وكان عالماً بأنساب العرب ووقفنا على  
مجلس من مجالس العرب عليهم الوقار والسكينة ، فتقدم ابو بكر فلم  
عليهم فردوا عليه السلام فقال : من القوم ؟ فقالوا من ربيعة قال : من هاتما  
ام لهازهما ؟ قالوا : بل من هاتما العظمى قال : واي هاتما ؟ قالوا : ذهل  
قال : ذهل الاكبر ام ذهل الاصغر ؟ قالوا : بل الاكبر قال فمنكم عرف  
الذي كان يقال لاجر ببادي عوف قالوا : لا قال : افمنكم بسطام بن  
قيس صاحب اللواء ومنتهى الاحياء ؟ قالوا : لا قال : افمنكم جساس بن  
مرة حامي الدمار ومانع الحار ؟ قالوا : لا قال : افمنكم الزدلف صاحب  
العمامة ؟ قالوا لا ، قال : انانتم اخوال الملوك من كندة ؟ قالوا : لا ، قال :  
انانتم اصهار الملوك من نخم ؟ قالوا : لا ، قال : فنستم من ذهل الاكبر  
اذا انتم من ذهل الاصغر فقام اليه اعرابي غلام حسن بقل وجهه فأخذ  
بزام ناقة ورسول الله صلى الله عليه وسلم واقف على ناقة يسمع مخاطبته ،  
فقال :

لنا على سائلنا أنت نساله والعبء لا تعرفه أو تحميه

يا هذا انك قد سألنا أي مسألة شئت فلم نكنمك شيئاً فأخبرنا بمن  
انت ؟ فقال ابو بكر : من قريش . فقال : بنح بنح أهل الشرف والرياسة

فأخبرني من أي قريش أنت؟ قال من بني تميم بن مرة، قال: أمنكم قصي ابن كلاب الذي جمع القبائل من فهر فكان يقال له مجمع؟ قال أبو بكر: لا، قال: أمنكم هاشم الذي يقول فيه الشاعر:

عَمَرُو الْعَلِيَّ هَاشِمَ الثَّرِيدَ لِقَوْمِهِ      وَرِجَالُ مَكَّةَ مُسْتَنْبِتُونَ عِجَابُ

قال أبو بكر: لا، قال: أمنكم شيبة الحمد الذي كان وجهه يضيء في الليلة الداجية مطعم الطير؟ قال: لا، قال: أمن المضيفين بالناس أنت؟ قال: لا، قال: أمن أهل الرقادة أنت؟ قال: لا، قال: أمن أهل السقاية أنت؟ قال: لا، قال: أمن أهل الحجابة أنت؟ قال: لا، قال: أما والله لو شئت لأخبرتك لست من أشرف قريش فاجتذب أبو بكر زمام ناقته منه كهيئة المفضب، فقال الاعرابي:

صَادَفَ دَرَّ السَّيْلِ دَرًّا يَدْفَعُهُ      فِي هَضْبَةٍ تَرَفُّهُ وَتَضَعُهُ

فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال علي كرم الله وجهه، فقلت: يا أبا بكر لقد وقعت من هذا الاعرابي على باقة، قال: أجل! يا أبا حسن ما من طامة الا وفوقها طامة وان البلاء موكل بالمنطق. قال: وأني الحسن ابن علي رضي الله عنها معاوية بن أبي سفيان وقد سبقه ابن عباس رحمه الله فأمر معاوية بانزاله، فبينما معاوية مع عمرو بن العاص ومروان بن الحكم وزباد المدعي الى أبي سفيان يتعاورون في قديمهم ومجدهم إذ قال معاوية: قد أكثرتم الفخر ولو حضركم الحسن بن علي وعبدالله بن عباس انصروا من أعتكم، فقال زياد: وكيف ذاك يا أمير المؤمنين وما يقومان لمروان ابن الحكم في غرب منطقته ولا لنا في بواذخنا فابعت اليها حتى نسمع كلامها، فقال معاوية لعمرو: ما تقول في هذا الليل فابعت اليها في غد، فبعت معاوية بابنه يزيد اليها فأتيا فدخلوا عليه وبدأ معاوية فقال: اني أهلكما وأرفع قدركما عن المسامر بالليل ولا سيما أنت يا أبا محمد

فأنك ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم وسيد شباب أهل الجنة فشكر له  
فلما استويا في مجلسها علم عمرو أن الحدة ستقع به فقال : والله لا بد أن  
أتكلم فان قهرت فسبيل ذلك وان قهرت أكون قد ابتدأت فقال :  
يا حسن انا قد تفاوضنا فقلنا ان رجال بني أمية أصبر على القضاء وأمضى  
في الوغاء وأوفى عهداً وأكرم خيلاً وأمنع لماً وراء ظهورهم من بني عبد  
المطلب ، ثم تكلم مروان ابن الحكم فقال : كيف لا يكون ذلك وقد  
قارعناهم فغلبناهم وحاربناهم فملكناهم فان شئنا عفونا وان شئنا بطشنا ،  
ثم تكلم زياد فقال : ما ينبغي لهم أن ينكروا الفضل لأهله ويجهدوا  
الخير في مظانه نحن الحملة في الحروب ولنا الفضل على سائر الناس قديماً  
وحديثاً ، فتكلم الحسن بن علي رضي الله عنه فقال : ليس من الخزم أن  
يصت الرجل عند إيراد الحجة ولكن من الألفك أن ينطق الرجل بانحناء  
ويصور الكذب في صورة الحق يا عمرو افتخاراً بالكذب وجراءة على الألفك  
ما زلت أعرف مثالك الخبيثة أبدياً مرة بعد مرة أتذكر مصابيح الدجى ،  
وأعلام الهدى ، وفرسان الطراد ، وحشوف الاقران ، وابناء الطعان ،  
وربيع الضيفان ، ومعدن العلم ، ومهبط النبوة ؟ وزعمتم انكم احسن لما  
وراء ظهوركم ، وقد تبين ذلك يوم بدر حين نكمت الأبطال ،  
ونساورت الاقران ، واقتحمت الليوث ، واعتركت النية وقامت رحاها  
على قطبها ، وفرت عن ناهها ، وطار شرار الحرب ، فقتلنا رجالكم ومن  
النبي صلى الله عليه وسلم على ذرايبكم ، وكنتم اعمرى في هذا اليوم غير  
مانعين لما وراء ظهوركم من بني عبد المطلب ، ثم قال : وأما أنت  
يا مروان فما أنت والاكتار في قريش وأنت ابن طليق وأبوك طريد  
تتقلب في خزاية الى سوسة ، وقد أتى بك الى أمير المؤمنين يوم الجمل ،  
فلما رأيت الضرغام قد دميت برأته ، واحتبكت أنيابه كنت كما قال  
الاول .

بَصْبَعْنِ ثُمَّ رَمَيْنِ بِالْأَنْبَارِ

فلما من عليك بالعفو وأرخص خناقك بعد ما ضاق عليك وغصت  
 بريقك لا تقعد منا مقعد أهل الشكر ولكن تساوينا وتجارينا ، ونحن من  
 لا يدركنا عار ولا يلحقتنا خزابة ، ثم التفت الى زياد وقال : وما أنت  
 يا زياد وقريش ما أعرف لك فيها أديماً صحيحاً . ولا فرعاً ثابتاً ولا قديماً  
 ثابتاً ولا منبتاً كريماً ، كانت أمك بغياً يتداولها رجالات قريش وفجار  
 العرب ، فلما ولدت لم تعرف لك العرب والدأ فادعاك هذا - يعني معاوية -  
 فما لك والافتخار !! تكفيك سمية ويكفينا رسول الله ﷺ وأبي سيد المؤمنين  
 الذي لم يرتد على عقبيه وعماي حمزة سيد الشهداء ، وجعفر الطيار في الجنة  
 وأنا وأخي سيدا شباب أهل الجنة ، ثم التفت الى ابن عباس فقال : إنما  
 هي بغات الطير انقض عليها البازي ، فأراد ابن عباس أن يتكلم فأقسم عليه  
 معاوية أن يكف فكف ، ثم خرجا ، فقال معاوية : أجاد عمرو الكلام  
 اولاً لولا ان حجته دحضت ، وقد تكلم مروان لولا أنه نكص ، ثم التفت  
 الى زياد فقال : ما دعاك الى محاورته ما كنت إلا كالحجل في كف العقاب  
 فقال عمرو : أفلا رميت من ورائنا ؟ قال معاوية : إذا كنت شريككم في  
 الجهل أفأفاخر رجلاً رسول الله ﷺ جده وهو سيد من مضى ومن بقي  
 وامة فاطمة سيدة نساء العالمين ثم قال لهم : والله لئن سمع أهل الشام ذلك  
 أنه للسوءة السوءة فقال عمرو : لقد أبقى عليك ولكنه طعن مروان وزياداً  
 طعن الرحي بثفالها ووطئها وطىء البازل القراد بمنسبه ، فقال زياد : والله  
 لقد فعل ولكذك يا معاوية تريد الاغراء بيننا وبينهم لا جرم والله لا شهدت  
 مجلساً يكونان فيه إلا كنت معها على من فاخرهما ، فخلا ابن عباس بالحسن  
 رضي الله عنه فقبل بين عينيه وقال : أفديك يا بن عمي والله ما زال بحرك  
 يزخر وأنت تصول حتى شفيتني من اولاد البغايا . ثم ان الحسن رضي الله  
 عنه غاب إماماً ثم رجع حتى دخل على معاوية وعنده عبد الله بن الزبير ،  
 فقال معاوية : يا أبا محمد إني اظنك تبعاً نصباً فأت المنزل فأرح نفسك ،  
 فقام الحسن رضي الله عنه ، فخرج ، فقال معاوية لعبد الله بن الزبير : لو

افتخرت على الحسن فأنت ابن حوارى رسول الله ﷺ وابن عمته ولأبيك في الاسلام نصيب وافر ، فقال ابن الزبير : أنا له ثم جعل ايلته يطلب الحجج فلما اصبح دخل على معاوية وجاء الحسن رضي الله عنه فحياه معاوية وسأله عن بيته فقال : خير بيت وأكرم مستغاض فلما استوى في مجلسه قال له ابن الزبير : لولا انك خوار في الحروب غير مقدم ما سلمت لمعاوية الامر وكنت لا تحتاج الى اختراق السهول وقطع المراحل والمفاوز تطلب معروفه وتقوم ببابه ، وكنت حربياً أن لا تمنع ذلك وأنت ابن علي في بأسه ونجدته ، فما أدري ما الذي حملك على ذلك ؟ أضعف حال أم وهي نحيزة ؟ ما اظن لك مخرجاً من هذين الحالين اما والله لو استجمع لي ما استجمع لك لعلمت اني ابن الزبير واني لا انكص عن الابطال وكيف لا أكون كذلك وجدتي صفية بنت عبدالمطلب وأبي الزبير حوارى رسول الله ﷺ وأشد الناس بأساً ، وأكرمهم حساباً في الجاهلية ، واطوعهم لرسول الله ﷺ ؟ فالتفت الحسن اليه وقال : أما والله لولا ان بني أمية تنسبني الى العجز عن المقال لكففت عنك نهاوناً بك ولكن سأبين ذلك لتعلم أني لست بالكليل أباي تعير وعلي تفتخر ولم تك لجدك في الجاهلية مكرمة ان لا تزوجه عمي صفية بنت عبدالمطلب فبذخ بها على جميع العرب وشرف بمكانها ، فكيف تفاخر من في القلادة واسطتها وفي الاشراف سادتها ؟ نحن اكرم أهل الأرض زندا لنا الشرف الثاقب والكرم الغالب ثم تزعم أني سلمت الامر لمعاوية ، فكيف يكون ؟ وبجك كذلك ! وأنا ابن اشجع العرب ولداتي فاطمة بيده النساء وخيرة الامهات لم أفعل وبجك ذلك جبناً ولا فرقاً ولكنه بايعني مثلك وهو يطلب برة ويداجيني المودة فلم أثق بنصرتي لانكم بيت غدر وأهل باعن ووتر فكيف لا تكون كما أقول ؟ وقد بايع أمير المؤمنين أبوك ثم نكث بيعته ونكص على عقيبه واختدع حشية من حشاي رسول الله ﷺ ليضل بها الناس ، فلما داف نحو الائمة ورأى بريق الاسنة قتل بمضيعة لا ناصر له وأني بك أسيراً ، وقد وطئتلك الحكمة بأظلافها والحيل بسنابكها ،

واعتلاك الأثر ففصت بريقك وأقعبت على عقيبك كالكلب إذا احتوشته  
الليوث ، فنحن وبجك نور البلاد وأملاكها وبنا تفتخر الأمة وإلينا  
تلقى مقاليد الأزمنة ، نصول وأنت تختدع النساء ثم تفتخر على بني  
الأنبياء لم تول الأقباب منا مقبولة وعليك وعلى أهلك مردودة دخل  
الناس في دين جدي طائعين وكارهين ، ثم بايعوا أمير المؤمنين صلوات الله  
عليه فار إلى أهلك وطلحة حين نكثنا البيعة وخذتنا عرس رسول الله صلى  
الله عليه وسلم فقتلا عند نكثها بيعته وأني بك أميراً تبصص بذنبك  
فناشدته الرحم أن لا يقتلك فعفا عنك ، فأنت عتافة أبي وأنا سيدك  
وأبي سيد أهلك فذق وبال امرك ، فقال ابن الزبير : اعذرنا يا أبا محمد  
فإننا حملنا على معاورتك هذا واشتبهى الأغرأه بيننا فهلا إذ جهلت امسكت  
عني فانكم اهل بيت سببتمكم الحلم ، قال الحسن : يا معاوية انظر أأكع  
عن معاوية احد وبجك ؟ اندري من أي شجرة أنا والى من اتسي ؟ انه  
قبل ان اسمك بسمة يتحدث بها الركبان في آفاق البلدان ، قال ابن الزبير :  
هو لذلك اهل ، فقال : معاوية اما انه قد شفا بلابل صدري منك ورمى  
مقتلك فبقيت في يده كالحجل في كف البازي يتلاعب بك كيف شاء ،  
فلا اراك تفتخر على احد بعد هذا . وذكروا ان الحسن بن علي صلوات  
الله عليها دخل على معاوية فقال في كلام جرى من معاوية في ذلك :

فيم الكلامُ وقد سبقتُ مُبرِّزاً      سبقَ الجوادِ من المدي والمقوسِ

فقال معاوية : إياي تعني ؟ والله لأتيناك بما يعرفه قلبك ولا ينكره  
جلساؤك انا ابن بطحاء مكة انا ابن اجودها جودا واكرمها ابوة وجدود  
وأوفائها عهدا انا ابن من ساد قريشا ناشئا فقال الحسن : أجل ! إياك ،  
اعني افعلني تفتخر يا معاوية وانا ابن ماء السماء وعروق الثرى وابن من  
ساد اهل الدنيا بالحسب الثاقب والشرف الفائق والقديم السابق وابن من  
رضاه رضى الرحمن وسخطه سخط الرحمن فهل لك اب كأبي او قديم



كقديسي ، فان تقى : لا تغلب ، وان تقل : نعم تكذب ، فقال : أقول :  
لا تصديقاً لتواك ، فقال الحسن رضي الله عنه :

أَلْحَقْ أَبْدِجَ لَا تَرِيغُ سَبِيلُهُ وَالْحَقُّ يَعْرِفُهُ ذَوُو الْأَلْبَابِ

قال : وقال معاوية ذات يوم وعنده اشراف الناس من قريش وغيرهم  
اخبروني بأكرم الناس اباً واما وعماً وعمّة وخالا وخالة وجداً وجدّة ،  
فقام مالك بن عجلان وأوماً الى الحسن بن علي صلوات الله عليه فقال : هو  
ذا ابوه علي بن ابي طالب ، وامه فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه  
وسلم ، وعمه جعفر الطيار ، وعمته ام هانئ بنت ابي طالب ، وخاله القاسم  
ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وخالته زينب بنت رسول الله صلى  
الله عليه وسلم ، وجدّه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وجدته خديجة بنت  
خويلد فسكت القوم ونهض الحسن ، فأقبل عمرو بن العاص على مالك فقال :  
احب بني هاشم حملك على ان تكلمت بالباطل ، فقال ابن عجلان ما قلت  
إلا حقا وما احد من الناس يطلب مرضاة مخلوق بمعصية الخالق الا لم  
يعط امنيته في دنياه وختم له بالشقاء في آخرته ، بنو هاشم انضركم عوداً  
واوراكم زندا أكذلك هو معاوية ؟ قال : اللهم نعم . قال : واستأذن الحسن  
ابن علي رضي الله عنه على معاوية وعنده عبد الله بن جعفر وعمرو بن العاص  
فأذن له ، فلما اقبل قال عمرو : قد جاءكم الفه العبي الذي كان بين  
لحيه عقله ، فقال عبد الله بن جعفر : مه والله لقد رمت صخرة ملهمة تنحط  
عنها السيول وتقص دونها الوعول لا تبلغها السهام فايك والحسن اياك ، فانك  
لا تزال راتماً في لحم رجل من قريش ولقد رميت فما برح سهبك  
وقدحت فما اوردى زندك ، فسمع الحسن الكلام ، فلما اخذ مجلسه قال :  
يا معاوية لا يزال عندك عبد يرتع في لحوم الناس اما والله لئن شئت  
ليكونن بيننا ما تتفاقم فيه الامور وتخرج منه الصدور ، ثم انشأ يقول :

أَتَأْمُرُ يَا مُعَاوِيَةَ عَبْدَ سَهْمٍ      بِشْتَمِي وَالْمَلَأَ مِنَّا سُوءُودُ  
 إِذَا أَخَذْتَ مَجَالِسَهَا قُرَيْشٌ      فَقَدْ عَلِمْتَ قُرَيْشٌ مَا تُرِيدُ  
 أَنْتَ تَظَلُّ تَشْتُمُنِي سِفَاهًا      لِضَعْفِ مَا يَزُولُ وَلَا يَبِيدُ  
 فَهَلْ لَكَ مِنْ أَبِي كَابِي تُسَامِي      بِهِ مَنْ قَدْ تُسَامِي أَوْ تَكِيدُ  
 وَلَا جَدُّ كَجَدِّي بَابَ حَرْبٍ      رَسُولِ اللَّهِ إِنْ ذَكَرَ الْجُدُودُ  
 وَلَا أُمَّ كَأُمِّي مِنْ قُرَيْشٍ      إِذَا مَا حُصِّلَ الْحَسَبُ التَّلِيدُ  
 فَمَا مِثْلِي تُهَكِّمُ يَابْنَ حَرْبٍ      وَلَا مِثْلِي يُنْهِنُهُ الْوَعِيدُ  
 فَمَهْلًا لَا تَهْجُ مِنَّا أُمُورًا      يَشِيبُ لَهَوَاهَا الطِّفْلُ الْوَلِيدُ

وذكروا أن عمرو بن العاص قال لمعاوية : ابعت الى الحسن بن علي فأمره أن يخطب على المنبر فلعله يحصر فيكون في ذلك مانعيره به ، فبعث اليه معاوية فأمره أن يخطب ، فصعد المنبر وقد اجتمع الناس ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني فأنا الحسن بن علي بن أبي طالب ابن عم النبي أنا ابن البشير النذير السراج المنير أنا ابن من بعثه الله رحمة للعالمين أنا ابن من بعث الى الجن والانس أنا ابن مستجاب الدعوة أنا ابن الشفيق المطاع أنا ابن أول من ينفذ رأسه من التراب أنا ابن أول من يقرع باب الجنة أنا ابن من قاتلت معه الملائكة ونصر بالرعب من مسيرة شهر ، وأمعن في هذا الباب ولم يزل حتى أظلمت الارض على معاوية ، فقال : يا حسن قد كنت ترجو أن تكون خليفة ولست هناك ، قال الحسن : أنا الخليفة من سار بسيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمل بطاعته ، وليس الخليفة من دان بالجور وعطل السن واتخذ الدنيا أباً وأماً ، ولكن ذلك ملك أصاب ملكا يمتع به قليلا

وبعذب بعده طويلاً ، وكان قد انقطع عنه واستعجل لذته وبقيت عليه التبعة ؟ فكان كما قال الله تعالى « وإن أدري لعله فتنة لكم ومتاع إلى حين » ثم انصرف ، فقال معاوية لعمر بن الخطاب : ما أردت إلا هتكى ما كان أهل الشام يرون أحداً مثلي حتى سمعوا من الحسن ما سمعوا . قال : وقدم الحسن بن علي رضي الله عنه على معاوية ، فلما دخل عليه وجد عنده عمرو بن العاص ومروان بن الحكم والمغيرة بن شعبة وصناديد قومه ووجوه أهل بيته ووجوه أهل اليمن وأهل الشام . فلما نظر إليه معاوية أقعده على سريرته وأقبل عليه بوجهه يريه السرور به ويقدمه ، فحسده مروان وقد كان معاوية قال لهم : لا تحاوروا هذين الرجلين : فقد قلداكم العار عند أهل الشام - يعني الحسن بن علي رضي الله عنه وعبد الله بن عباس - فقال مروان : يا حسن لولا حلم أمير المؤمنين وما قد بناه له آباؤه الكرام من المجد والعلو ما أقعدك هذا المقعد ولقتلك وانت لهذا مستحق بقودك الجماهير الينا ، فلما قاومتنا وعلمت ألا طاقة لك بفرسان أهل الشام وصناديد بني أمية اذعنت بالطاعة ، واحتجرت بالبيعة ، وبمئت تطلب الأمان أما والله لولا ذلك لأراق دمك ، ولعلمت أنا نعطي السيف حقها عند الوغى ، فاحمد الله إذ ابتلاك بمعاوية وعفا عنك بجله ثم صنع بك ما ترى ، فنظر إليه الحسن وقال : ويلك يا مروان لقد تقلدت مقاليد العار في الحروب عند مشاهدتها والمخاضة عند مخالطتها هبنتك أمك لنا الحجج البوالغ ، ولنا عليكم إن شكرتم النعم السوابغ ندعوكم إلى النجاة وتدعوننا إلى النار ، فشتان ما بين المنزاتين : تفتخر ببني أمية وتزعم أنهم صبر في الحرب أسد عند اللقاء تكلمت الشواكل أولئك البهاليل السادة ، والحماة الذادة ، والكروام القادة بنو عبد المطلب أما والله لقد رأيتهم أنت وجميع من في المجلس ما هالتهم الأهوال ، ولا حادوا عن الأبطال كالليوث الضارية الباسلة الحنقة ، فعندها وليت هارباً وأخذت أسيراً ، فقلدت قومك العار ، لأنك في الحروب خوار أتهرق دمي ؟ فهلا أهرقت دم من وثب على عثمان في الدار فذبحه كما يذبح الحمل

وأنت تشغو ثغاء النعجة وتنادي بالويل والشبور كالمرأة الوكعاء ، ما دافعت عنه بسهم ، ولا منعت دونه بحرب ، قد ارتعدت فرائصك ، وغشي بصرك ، واستغثت كما يستغيت العبد بربه ، فانجيتك من القتل ، ثم جعلت تبعث عن دمي وتخص علي قتلي ؛ ولو رام ذلك معاوية معك لذبح كما ذبح ، ابن عفان ، وأنت معه أقصر يداً ، وأضيق باعاً ، وأجبن قلباً من أن تجسر على ذلك ، ثم تزعم أني ابتليت بحلم معاوية ، أما والله لو أعرف بشأته وأشكر لنا إذ وليناها هذا الأمر ، فمتى بدا له فلا يفضين جفنه على الذئب معك ، فوالله لأعنفن أهل الشام بجيش يضيق فضاؤه ويستأصل فرسانه ، ثم لا ينفمك عند ذلك الروغان والهرب ، ولا تنتفع بتدريجك الكلام ، فنحن من لا يجهل آباؤنا الكرام القدماء الأكبر ، وفروعنا السادة الأخيار الأفاضل ، انطق ان كنت صادقاً ، فقال عمرو : ينطق بالحق وتنطق بالصدق ، ثم أنشأ يقول :

قَدْ يَضْرُطُّ الْعَيْرُ وَالْمَكْرَاةُ تَأْخُذُهُ  
لَا يَضْرُطُّ الْعَيْرُ وَالْمَكْرَاةُ فِي النَّارِ

ذق وبال أمرك يا مروان ، فأقبل عليه معاوية فقال : قد نهيتك عن هذا الرجل وأنت تأبى إلا انهاكاً فيما لا يعينك ، أربع على نفسك فليس أبوه كأبيك ، ولا هو مثلك أنت ابن الطريد الشريد وهو ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم الكريم ، ولكن رب باحث عن حنقه بظلفه ، فقال مروان : ارم دون بيضتك ، وقم بحجة عثيرتك ، ثم قال لعمرو : لقد طعنك أبوه فوقيت نفسك بخصيتيك ومنها ثنيت أعنتك ، وقام مغضباً ، فقال معاوية : لا تجار البحار فتغمرك ، ولا الجبال فتقهرك ، واسترح من الاعتذار . قال : ولقي عمرو بن العاص الحسن بن علي عليها السلام في الطواف ، فقال : يا حسن أزعمت أن الدين لا يقوم إلا بك وبأبيك ؟ فقد رأيت الله أقامه بمعاوية فجعله ثابتاً بعد مياله وبيناً بعد خفائه أفيرضي الله قتل عثمان أم من الحق أن تدور بالبيت كما يدور الجمل بالطحين ؟ عليك

ثياب كعرقبيء البيض وأنت قاتل عثمان ، والله انه لألم للشعث وأسهل  
للوعث أن يوردك معاوية حياض أبيك ، فقال الحسن صلوات الله عليه :  
إن لأهل النار علامات يعرفون بها : وهي الألحاد في دين الله والموالاتة  
لأعداء الله ، والانحراف عن دين الله ، والله إياك لتعلم أن علياً لم يتربث في  
الأمر ولم يشك في الله طرفة عين ، وأيم الله لتمتحن يا ابن العاص أو لأفرعن  
فصنك - يعني جبينه - بقراع وكلام ، وإياك والجرأة علي فإني من  
عرفت لست بضعيف المعزز ولا بهش المشاشة - يعني العظام - ولا بمرىء  
المأكلة وإني لمن قريش كأوسط القلادة معرق حسي لا أدعى لغير أبي ،  
وقد تياممت فيك رجال من قريش فغضب عليك الأمها حسباً ،  
وأعظمها لعنة ، فأياك عني ! فائتبا أنت نجس ونحن أهل بيت الطهارة  
أذهب الله عنا الرجس وطهرنا تطهيراً . قال : واجتمع الحسن بن علي  
صلوات الله عليهما وعمرو بن العاص ، فقال الحسن : قد علمت قريش  
بأسرها أبي منها في عز أروها لم أطبع علي ضعف ولم أعكس  
علي خسف أعرف نسي وأدعى لأبي ، فقال عمرو : وقد علمت  
قريش أنك ابن أفلها عقلاً ، وأكثرها جهلاً ، وإن فيك خصالاً لو  
لم يكن فيك إلا واحدة منها لشملك خزياً كما شمل البياض الحالك ،  
وأيم الله لأن لم تنته عما أراك تصنع لا كبسن لك حافة كجلد العائط  
إذا اعتاطت رحمتها فما تحمل أربك من خالها بأحر من وقع الأثافي أعرك  
منها أديك عرك السلعة ، فإني طالما ركبت المجدد ، وتزأت في أعراض  
الوعر التماساً للفرقة وإحصاداً للقتنة ، وإن يزيدك الله فيها إلا فظاعة . فقال  
الحسن : أما والله لو كنت تسمو بحسبك ، وتعمل برأيك ما سلكت فجع  
قصد ولا حالت راية مجد ، أما والله لو أطاقتنا معاوية لجعلك بمنزلة العدو  
الكاشع ، وإنه طال ما أخرج شأوك واستمر داؤك ، وطمع بك الرجا  
إلى الغاية القصوى التي لا يورق بها غصنك ، ولا يجضر منها رعيك ، أما  
والله لتوشكن يا ابن العاص أن تقع بين حبي خرغام ، ولا ينهيك منه

الروغان اذا التقت حلقتا البطان . ابن المنذر عن ابيه الشعبي عن ابن عباس انه دخل المسجد وقد سار الحسين بن علي رضي الله عنه الى العراق ، فاذا هو بابن الزبير في جماعة من قريش قد استعملهم بالكلام ، فجاء ابن عباس فضرب بيده على عضد ابن الزبير وقال ؟ أصبحت والله كما قال الشاعر :

يا لك من قنبرة بممر خالك الجوه فيضي واصفري  
ونقرّي ما شئت أن أنقرّي قد ذهب الصياد عنك فأبشري  
لا بدّ من أخذك يوماً فاصبري

خلت الحجاز من الحسين بن علي وأقبلت تهر في جوانبها ، فغضب ابن الزبير وقال : والله انك لترى أنك أحق بهذا من غيرك ، فقال ابن عباس : انما يرى ذلك من كان في حال شك وأنا من ذلك على يقين ، قال : وبأي شيء استحق عندك أنك بهذا الامر أحق مني ؟ فقال ابن عباس : لانا أحق بمن يدل بحقه ، وبأي شيء استحق عندك أنك أحق بها من سائر العرب إلا بنا ؟ فقال ابن الزبير : استحق عندي اني أحق بها منكم لشرفي عليكم قديماً وحديثاً ، فقال : أنت أشرف أم من شرفت به ؟ فقال : ان من شرفت به زادني شرفاً الى شرفي ، قال فحني الزيادة أم منك ؟ فتبسم ابن عباس ، فقال ابن الزبير : يا ابن عباس دعني من لسانك هذا الذي تقلبه كيف شئت ، والله يا بني هاشم لا نحبوننا أبداً ، قال ابن عباس : صدقت نحن أهل بيت مع الله لا نحب من أبغضه الله ، قال : يا ابن عباس أما ينبغي لك أن تصفح عن كلمة واحدة ؟ قال : انما يصفح عن أقر وأما من هر فلا والفضل لأهل الفضل ، قال ابن الزبير : فأين الفضل ؟ قال : عند أهل البيت لا تصرفه عن أهله فتظلم ولا تضعه في غير أهله فتندم ، قال ابن الزبير أفلست من أهله ؟ قال : بلى ان نبذت الحسد وازمت الجدد وانقضت حديثها . وروي عن ابن عباس أنه قال : قدمت على معاوية وقد قعد على سريره وجمع

من بني أمية ووفود العرب عنده فدخلت وسلمت وقعدت ، قال : يا ابن عباس من الناس ؟ فقلت : نحن ، قال : فاذا غبتم ، قلت : فلا أحد ، قال : فانك ترى أنني قعدت هذا المقعد بكم ، قلت : نعم فبمن قعدت ؟ قال : بمن كان مثل حرب ابن أمية ، قلت : من كفا عليه اناءه وأجاره بردائه ، قال : اغضب وقال : أرحني من شخصك شهراً فقد أرت لك بصلتك وأضعفتها لك ، فلما خرج ابن عباس قال لخاضته : ألا تسألونني ما الذي اغضب معاوية ؟ قالوا : بلى فقل بفضلك ، قال : إن أبه حرباً لم يلق أحداً من رؤساء قريش في عقبه ولا مضيق إلا تقدمه حتى يجوزه ، فلقبه يوماً رجل من تميم في عقبه فتقدمه التميمي ، فقال حرب : أنا حرب بن أمية فلم يلتفت إليه وجأزه ، فقال : موعذك مكة ، فخافه التميمي ثم أراد دخول مكة ، فقال : من يجيرني من حرب بن أمية ، فقيل له : عبدالمطلب ، فقال : عبدالمطلب أجل قدراً من أنت يجير على حرب ، فأتى أيلاً إلى دار الزبير بن عبد المطلب فدق بابه فقال الزبير لعبده : قد جاءنا رجل إما طالب قري وإما مستجير وقد أجنبناه إلى ما يريد ، ثم خرج الزبير إليه ، فقال التميمي :

لَا قَيْتُ حَرْبًا فِي التَّنِيَّةِ مُقْبِلًا  
فَدَعَا بِصَوْتٍ وَاكْتَتَى لِيْرُوعِي  
فَتَرَكَتُهُ كَالْكَلْبِ يَنْبِجُ ظِلَّهُ  
لَيْتَا هَزَبْرًا يُسْتَجَارُ بَعِزَّهُ  
وَلَقَدْ حَلَفْتُ بِمَكَّةِ وَبِزَمْرَمِ  
إِنَّ الزُّبَيْرَ لَمَّا نَعِي مِنْ خَوْفِهِ  
وَالصُّبْحُ أَبْجَحَ ضَوْهَهُ لِلسَّارِي  
وَسَمَا عَلِيٌّ سُمُوًّا لَيْثٍ ضَارِي  
وَأْتَيْتُ قَرَمَ مَعَالِمٍ وَفَخَارِ  
رَحْبَ الْمِبَاءَةِ مُكْرِمًا لِلجَارِ  
وَالْبَيْتِ ذِي الْأَحْجَارِ وَالْأَسْتَارِ  
مَا كَبَّرَ الْحُجَّاجُ فِي الْأَمْصَارِ

فتقدمه الزبير وأجاره ودخل به المسجد ، فرآه حرب فقام إليه فلطمه ،

فحمل عليه الزبير بالسيف فولى هاربا يعدو حتى دخل دار عبد المطلب فقال :  
أجرني من الزبير ، فأكفأ عليه جفنة كان هاشم يطعم فيها الداس ، فبقي  
تحتها ساعة ثم قال له : أخرج قال : وكيف أخرج وعلى الباب تسعة من  
بنيك قد احتبوا بسيوفهم ؟ فالقى عليه رداء كان كساء إياه سيف بن ذي  
يزن له طرتان خضروان ، فخرج عليهم فعملوا أنه قد أجاره عبد المطلب  
فتفرقوا عنه . قال : وحضر مجلس معاوية عبد الله بن جعفر ، فقال عمرو  
ابن العاص قد جاءكم رجل كثير الخلوات بالتمني والطربات بالتغني محب  
للقيان كثير مزاحه شديد طمأحه صدود عن الشبان ظاهر الطيش رخي  
العيش أخذ بالسلف منفاق بالسرف ، فقال ابن عباس : كذبت والله  
أنت وليس كما ذكرت ، ولكنه لله ذكور ، وانعمائه مشكور ، وعن  
الخنزجور ، جواد كريم ، سيد حلیم اذا رمى أصاب واذا سئل أجاب  
غير حصر ولا هيب ولا عيابة مغتاب ؛ حل من قریش في كريم النصاب  
كالزبير الضرعام الجريء المقدام في الحسب القمقام ، ليس بدعي ولا دنيء  
لاكن اختصم فيه من قریش شرارها فغلب عليه جزارها فأصبح الامها  
حسبا وأدناها منصبا ينوء منها بالذليل ويأوي منها الى القليل مذئذب بين  
الحين كالساقط بين المهدين لا المضطر فيهم عرفوه ولا الظاعن عنهم فقهوه ،  
فليت شعري بأي قدر تتعرض للرجال ، وبأي حسب تعتد به عند النضال  
أبنفسك وأنت الوغد اللئيم والنكد الذميم والوضيع الزنيم ؟ أم بمن تنمي  
اليهم وهم أهل السفه والطيش والدناءة في قریش ؟ لا بشرف في الجاهلية  
شهروا ولا بقديم في الاسلام ذكروا ، جعلت تتكلم بغير لسانك وتنطق  
بالزور في غير أقرانك ، والله لكان أبين للفضل وأبعد للعدوان أن ينزلك  
معاوية منزلة البعيد السحيق ، فانه طالما سلس داؤك ، وطمخ بك رجاؤك  
الى الغاية القصوى التي لم يخضر فيها رعيك ولم يورق فيها غصنك ، فقال  
عبد الله بن جعفر : أقسمت عليك لما أمسكت فأنك عني ناخلت ولي  
فاوضت ، فقال ابن عباس : دعني والعبد فانه قد كان يهدر خاليا ولا يجد



ملاحيا وقد أتبع له ضيفهم شرس الأفران . فترس وللأرواح مجلس : فقال  
ابن العاص : دعني يا أمير المزمين أنتصف منه فوالله ما ترك شيئا قال  
بن عباس : دعه فلا يبقى الميقي الأعلى نفسه . فوالله إن قلبي لشديد ،  
وان جوالي لعنيد ، واني لكما قال نابتة بني ذبيان :

وَقَدِمَا قَدْ قَرَعْتُ وَقَارَعُونِي      فَمَا نَزَرَ الْكَلَامُ وَلَا شَجَانِي  
يَصُدُّ الشَّاعِرُ الْعَرَّافُ عَنِي      صُدُّودَ الْبِكْرِ عَنْ قَرْمِ هِجَانِي

قال : وبلغ عاتمة بنت عاثم ( ١ ) ثلب معاوية وعمرو بن العاص ابني  
هاشم فقالت لأهل مكة : أيها الناس ان بني هاشم سادت فجادات ،  
وملكت وملكت وفضلت وفضلت ، واصطفت واصطفيت ، ليس  
فيها كدر عيب ولا اذك ريب ولا خسروا طاعين ولا خازين ولا ناديين ،  
ولا هم من المغضوب عليهم ولا الضالين ان بني هاشم أطول الناس باعا ،  
وأجد الناس أصلا ، وأعظم الناس حلا ، وأكثر الناس علما وعطاء منا  
عبد مناف المؤثر ، وفيه يقول الشاعر :

كَانَتْ قُرَيْشٌ بَيْضَةً فَتَفَلَّقَتْ      فَأَلْمَحُ خَالِصَهَا لَعْبِدِ مَنْأَفِ

وولده هاشم الذي هشم الثريد لقومه ، وفيه يقول الشاعر :

عَمَرُوا الْعِلْمَ هَشْمَ الثَّرِيدِ لِقَوْمِهِ      وَرَجَالُ مَكَّةَ مُسْتَنْتُونَ عِجَافُ

ومنا عبد المطلب الذي سقينا به الغيث ، وفيه يقول أبو طالب :

وَنَحْنُ سُنيُّ الْمَحَلِّ قَامَ شَفِيعُنَا      بِمَكَّةَ يَدْعُو وَالْمِيَاهُ تُنُورُ

( ١ ) - هكذا في الاصل وفي نسخة عاتمة بنت عاثم وفي المسامرات غاتمة بنت غاثم

وابنه أبو طالب عظيم قریش ، وفيه يقول الشاعر :

أَيْدِيَهُ مَلِكًا فَقَامَ بِحَاجَتِي وَتَرَى الْعُدَيْجَ خَائِبًا مَذْمُومًا

ومنا العباس بن عبد المطلب أردفه رسول الله صلى الله عليه وسلم  
وأعطاه ماله ، وفيه يقول الشاعر :

رَدِيفُ رَسُولِ اللَّهِ لَمْ تَرَ مِثْلَهُ وَلَا مِثْلُهُ حَتَّى الْقِيَامَةِ يُؤَلِّدُ

ومنا حمزة سيد الشهداء ، وفيه يقول الشاعر :

أَبَا يَعْلَى بِكَ الْأَرْكَانُ هُدَّتْ وَأَنْتَ الْمَاجِدُ الْبَرُّ الْوَصُولُ

ومنا جعفر ذو الجناحين أحسن الناس حالا وأكملهم كمالا ليس بقدار  
ولا جبان أبداله الله بكاتا يديه جناحين يطير بهما في الجنة ، وفيه يقول  
الشاعر :

هَاتُوا كَجَهَنَّمَ نَا وَمِثْلَ عَائِنَا كَانَا أَعَزَّ النَّاسِ عِنْدَ الْخَالِقِ

ومنا أبو الحسن علي بن أبي طالب صلوات الله عليه أفرس بني هاشم ،  
وأكرم من احتبى وانتعل ، وفيه يقول الشاعر :

عَلِيٌّ أَلْفَ الْفُرْقَانِ صُحْفًا وَوَالِي الْمُسْطَفَى طِفْلًا صَبِيًّا

ومنا الحسن بن علي عليه السلام سبط رسول الله ﷺ وسيد شباب  
أهل الجنة ، وفيه يقول الشاعر :

يَا أَجَلَ الْأَنَامِ يَا بِنَ الْوَصِيِّ أَنْتَ سَبِطُ النَّبِيِّ وَابْنُ عَلِيٍّ

ومنا الحسين بن علي حمله جبريل عليه السلام على عاتقه وكفاه بذلك  
فخرًا ، وفيه يقول الشاعر :

## حُبُّ الْحُسَيْنِ ذَخِيرَةٌ لِمُحِبِّهِ يَا رَبِّ فَأَحْشُرْنِي غَدًا فِي حِزْبِهِ

يا معشر قريش والله ما معاوية كأمير المؤمنين علي ولا هو كما يزعم هو والله شاني، رسول الله ﷺ واني آتية معاوية وقائلة له ما يعرق منه جبينه ويكثر منه عويله وأنينه ، فكتب عامل معاوية اليه بذلك ، فلما بلغه أنها قربت منه أمر بدار ضيافة فتظفت وألقى فيها فرش ، فلما قربت من المدينة استقباهم يزيد في حشمه وباليك ، فلما دخلت المدينة أتت دار أخيها عمرو بن عاثم فقال لها يزيد : ان أبا عبد الرحمن يأمرك أن تنتقلي الى دار ضيافته وكانت لا تعرفه فقالت : من أنت كلاك الله ؟ قال : أبا يزيد بن معاوية ، قالت : فلا رعاك الله يا ناقص لست بزائد ، فتغير لون يزيد وأتى أباه فأخبره فقال : هي أسن قريش وأعظمهم حلما قال يزيد : كم تعد لها ؟ قال : كانت تعد على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعمائة عام وهي من بقية الكرام ، فلما كان من الغد أتتها معاوية فسلم عليها فقالت : على المؤمنين السلام ، وعلى الكافرين الجوان والملام ، ثم قالت : أيكم عمرو بن العاص ! قال عمرو : هاأنذا ، قالت : أنت تسب قريشاً وبني هاشم وأنت أهل السب وفيك السب واليك يعود السب يا عمرو اني والله عارفة بك وبعيوبك وعيوب أمك واني أذكر ذلك : ولدت من أمة سوداء مجنونة حمقاء تبول من قياها وتعلوها اللثام واذا لامسها الفحل فكان نطقها أنفد من نطقه ركبتها في يوم واحد اربعون رجلا ، وأما أنت فقد رأيتك غاوباً غير مرشد ومفسداً غير مصلح ، والله لقد رأيت فحل زوجتك على فراشك فما غرت ولا أنكرت ، وأما أنت يا معاوية فما كنت في خير ولا ربيت في نعمة فما لك ولبي هاشم نساؤك كنسائهم أم أعطى أمية في الجاهلية والاسلام ما أعطى هاشم ؟ وكفى فخراً برسول الله ﷺ ، فقال معاوية : أيتها الكبيرة أنا كلف عن بني هاشم ، قالت : فاني اكتب عليك كتاباً فقد كان رسول الله ﷺ دعا ربه ان يستجيب لي خمس دعوات أفأجعل

تلك الدعوات كلها فيك؟ فخاف معاوية فحلف لا يسب بني هاشم أبداً،  
فهذا ما كان بين معاوية وبين بني هاشم من المفاخرة . قال : وكان علي  
ابن عبد الله بن عباس عند عبد الملك بن مروان فأخذ عبد الملك يذكر أيام  
بني أمية ، فبينما هو على ذلك نادى المنادي بالأذان فقال : أشهد أن لا اله  
الا الله وأشهد أن محمداً رسول الله فقال علي :

هَذِي الْمَكَارِمُ لَا قَعْبَانَ مِنْ أَبِي شَيْبَا بِمَاءِ فَمَادَا بَمَدُّ أُنْوَالَا

فقال عبد الملك : الحق في هذا أبين من أن يكابر . علي بن محمد النديم  
قال : دخلت على المتوكل وعنده الرضي فقال : يا علي من أشعر الناس في  
زماننا ؟ قلت : البحتري ، قال : وبعده ، قلت : مروان بن أبي حفصة  
عبدك ، فالتفت الى الرضي فقال : يا ابن عم من أشعر الناس . قال : علي  
ابن محمد العطري ، قال وما تحفظ من شعره ؟ قال قوله :

تَقْدُّ فَاخِرَتْنَا مِنْ فُرَيْشٍ عَصَابَةٌ بِمَطِّ خُدُودٍ وَامْتِدَادِ أَصَابِعِ  
فَلَمَّا تَنَازَعْنَا الْقَضَاءَ قَضَى لَنَا عَلَيْهِمْ بِمَا نَهَوَى نِدَاءَ الصَّوَامِعِ

فقال المتوكل : ما معنى قوله ؟ - نداء الصوامع - قال : الشهادة قال :  
وأبيك انه اشعر الناس . وما قيل في هذا المعنى من الشعر قوله أيضاً :

بَلَّغْنَا السَّمَاءَ بِأَنْسَابِنَا وَلَوْلَا السَّمَاءُ لَجَزْنَا السَّمَاءَ  
فَحَسْبُكَ مِنْ سُودِدِ أَنَا بِحُسْنِ الْبَلَاءِ كَشَفْنَا الْبَلَاءَ  
إِذَا ذُكِرَ النَّاسُ كُنَّا مُلُوكًا وَكَانُوا عَمِيدًا وَكَانُوا إِمَامًا  
يَطِيبُ الثَّنَاءُ لَابَائِنَا وَذِكْرُ عَلِيٍّ يُطِيبُ الثَّنَاءَ  
هَجَانِي رِجَالٌ وَلَمْ أَنهَجِهِمْ أَبِي اللَّهِ لِي أَنْ أَقُولَ الْهَجَاءَ

وقال آخر :

وَإِنِّي مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ عَرَفْتَهُمْ      إِذَا مَاتَ مِنْهُمْ سَيِّدٌ قَامَ صَاحِبُهُ  
أَضَاءَتْ لَهُمْ أَحْسَابُهُمْ وَوُجُوهُهُمْ      كُدِجِي اللَّيْلِ حَتَّى نَنظَّمَ الْجَزْعَ تَأْقِبُهُ  
نُجُومُ السَّمَاءِ كُلَّمَا انْقَضَ كَوْكَبٌ      بَدَأَ كَوْكَبٌ تَأْوِي إِلَيْهِ كَوَاكِبُهُ

وقال آخر :

خُطَبَاءُ حِينَ يَقُولُ قَائِلُهُمْ      بِيضُ الْوُجُوهِ مَقَاوِلُ لِسْنِ  
لَا يَنْظُنُونَ لَعِيبَ جَارِهِمْ      وَهُمْ لِحَفْظِ جَوَارِهِمْ مُفْطِنُ

(ضده)

عن ابن عباس رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ( لا تفتخروا بأبائكم في الجاهلية فوالذي نفسي بيده لما يدحرج الجوملُ برجله خير من آبائكم الذين ماتوا في الجاهلية ) . قال وكان الحسن البصري يقول : يا ابن آدم لم تفتخر وإنما خرجت من سبيل بواين نطفة مشجت باقدار . وقال بعضهم لرجل : اتفتخر ؟ ويحك وأولك نطفة مذرة وآخرك جيفة قدرة وأنت فيما بينها وعاء عذرة فما هذا الافتخار ؟ وروى عن ابن عباس أنه قال : الناس يتفاضلون في الدنيا بالشرف والبيوتات والامارات والغنى والجمال والهيئة والمنطق ويتفاضلون في الآخرة بالتقوى واليقين وأتقاهم أحسنهم يقيناً وأزكاهم عملاً وأرفعهم درجة . وقيل في ذلك :

يُزِينُ الْفَتَى فِي النَّاسِ صِحَّةُ عَقْلِهِ      وَإِنْ كَانَ مَحْظُوراً عَلَيْهِ مَكَايِبُهُ  
وَسَمِينُ الْفَتَى فِي النَّاسِ قَلَّةُ عَقْلِهِ      وَإِنْ كَرُمَتْ آبَاؤُهُ وَمَنَاسِبُهُ

وقيل لعامر بن قيس : ما تقول في الانسان ، قال : وما أقول فيمن

إن جاع خرع وان شبع بغي وطفى . وقال بعض الحكماء : لا يكون الشرف بالنسب الا ترى أن أخوين لأب وأم يكون أحدهما أشرف من الآخر ولو كان ذلك من قبل النسب لما كانت لأحد منهم على الآخر فضل . لان نسبها واحد ، ولكن ذلك من قبل الاعمال ، لان الشرف انما هو بالفضل لا بالنسب قال الشاعر :

أبوكَ أبي والجدُّ لا شكَّ واحدٌ      ولكننا عودانِ آسٍ وخروعٌ

وبلغنا عن المدائني قال : ليس السؤدد بالشرف ، وقد ساد الاحنف ابن قيس بجمه وحصين بن المنذر برأيه ومالك بن مسمع بمحبته في العامة وسويد بن منجوف بعطفه على أراميل قومه ، وساد المهلب بن أبي صفرة بجميع هذه الحُعمال . وأما الشرف بالدين فالحديث المعروف عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه أتاه أعرابي فقال بأبي أنت وأمي يا رسول الله من أكرم الناس حسناً ؟ قال : أحسنهم خلقاً وأفضلهم تقوى ، فانصرف الاعرابي ، فقال : ردوه ثم قال يا أعرابي ، لعلك أردت اكرم الناس نسباً ؛ قال : نعم يا رسول الله ، قال يوسف الصديق صديق الله بن يعقوب اسرائيل الله بن اسحاق ذبيح الله بن ابراهيم خليل الله فإني مثل هؤلاء الآباء في جميع الدنيا ما كان مثلهم ولا يكون مثلهم أحد ابداً ، وقال الشاعر في ذلك :

ولم أرَ كالأسباطِ أبناءَ والدٍ      ولا كأبيهمِ والدا حين يُنسبُ

قال : ودخل عيينة بن حصن الفزاري على رسول الله صلى الله عليه وسلم فانتسب له فقال : انا ابن الأشياخ الأكارم فقال صلى الله عليه وسلم ( أنت إذا يوسف صديق الرحمن عليه السلام ابن يعقوب اسرائيل الله أو اسحق ذبيح الله ابن ابراهيم خليل الله ) وقال صلى الله عليه وسلم ( خير البشر آدم وخير العرب محمد وخير الفرس سلمان الفارسي وخير الروم صهيب وخير الحبشة بلال ) قال : وسمع عمر بن الخطاب وهو خليفة صوتاً

ولفظاً بالباب فقال لبعض من دنده : اخرج فانظر من كان من المهاجرين  
الأولين فأدخله ، فخرج الرسول فوجد بلالا وصهيباً وسلمان فأدخلهم وكان ابوسفيان  
ابن حرب وسهيل بن عمرو في عصابة من قريش جلوساً على الباب فقال :  
يا معشر قريش ، انتم صناديد العرب واشرافها وفرسانها بالباب ويدخل حبشي  
وفارسي ورومي ، فقال سهيل : يا ابا سفيان انفسكم فلو موا ولا تدموا امير  
المؤمنين دعى القوم فأجابوا ودعيتهم فأبيتهم وهم يوم القيامة اعظم درجات  
واكثر تفضيلاً ، فقال أبو سفيان : لا خير في مكان يكون فيه بلال شريفاً  
( فأما صناعات الأشراف ) فانه روى ان ابا طالب كان يعالج العطر والبهز  
واما ابو بكر وعمر وطلحة وعبد الرحمن بن عوف فكانوا بزازين ، وكان  
سعد بن أبي وقاص يعدق النخل ، وكان أخوه عتبة نجاراً ، وكان العاص بن  
هشام أخو أبي جهل بن هشام جزاراً ، وكان الوليد بن المغيرة حدادا ،  
وكان عتبة بن أبي معيط خماراً ، وكان عثمان بن طلحة صاحب مفتاح البيت  
خياطاً ، وكان أبو سفيان بن حرب يبيع الزيت والادم ، وكان امية بن  
خلف يبيع البرم ، وكان عبد الله بن جدعان نخاماً ، وكان العاص بن وائل  
يعالج الخيل والابل ، وكان جرير بن عمرو وقيس ابو الضحاك بن قيس  
ومعمر بن عثمان وسيرين بن محمد بن سيرين كانوا كلهم حدادين ، وكان  
المسيب أبو سعيد زياتاً ، وكان ميمون بن مهران بزازاً ، وكان مالك بن  
دينار وراقاً ، وكان أبو حنيفة صاحب الرأي خزازاً ، وكان مجمع الزاهد  
حائكاً ، قيل : اتخذ يزيد بن المهلب بستاناً في داره بخراسان ، فلما ولي قتيبة  
ابن مسلم جعله لابله فقال مرزبان مرو : هذا كان بستاناً وقد اتخذته  
لابلك ، فقال قتيبة : ابي كان اشتربان وكان ابو يزيد بستانيان فمنها  
صار ذلك كذلك . قال وذكروا ان المؤمنون ذكر اصحاب الصناعات فقال :  
السوقة سفلة والصناع انذال والبجار بخلاء والكتاب ملوك على الناس والناس  
أربعة : اصحاب الحرف وهي اماره وتجارة وصناعة وزراعة فمن لم يكن منهم  
صار عيالا عليهم .

## ٢٣ - محاسن الثقة بالله سبحانه

قيل : خطب سليمان بن عبد الملك فقال : الحمد لله الذي أنقذني من ناره بخلافته . وقال الوليد بن عبد الملك : لأشفعن للحجاج بن يوسف وقره ابن شريك عند ربي وقال الحجاج : يقولون مات الحجاج ما أرجو الخير كله الا بعد الموت والله ما رضى الله البقاء الا لأهون خلقه عليه البس ابليس اذ قال « رب أنظرني الى يوم يبعثون قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم » . وقال أبو جعفر المنصور : الحمد لله الذي أجارني بخلافته وأنقذني من النار بها . وحدثني ابراهيم بن عبد الله عن أنس بن مالك قال : دخلنا على قوم من الانصار وفيهم قتي عليل فلم نخرج من عنده حتى قضى نجه فاذا عجوز عند راسه فالتفت اليها بعض القوم فقال : استسلمي لامر الله واحتسبي قالت : أمات ابني ؟ قال : نعم ؛ قالت : أحق ما تقولون ؟ قلنا : نعم ، فمدت يدها الى السماء وقالت : اللهم انك تعلم أني أسلمت لك وهاجرت الى نبيك محمد صلوات الله عليه رجاء أن تغيثني عند كل شدة فلا تحملي هذه المصيبة اليوم ، فكشف ابنها الذي سجيناه وجهه وما يرحنا حتى طعمه وشرب وطعمنا معه .

## (ضده)

قال عيسى بن مريم صلوات الله ، تعالى عليه : يا معشر الحواريين ان ابن آدم مخلوق في الدنيا في أربع منازل : هو في ثلاث منها واثق وهو في الرابعة سيء الظن يخاف خذلان الله اياه ، فأما المنزلة الأولى فإنه خلق في ظلمات ثلاث : ظلمة البطن وظلمة الرحم وظلمة المشيمة فوفاه الله رزقه في جوف ظلمة البطن فاذا أخرج من ظلمة البطن وقع في اللبن لا يخطو اليه بقدم ولا ساق ولا يتناوله بيد ولا ينهض اليه بقوة بل يكره



إليه اكراهاً ويوجر إيجاراً حتى ينبت عليه لحمه ودمه ، فإذا ارتفع  
 عن اللبن وقع في المنزلة الثالثة من الطعام من أوبه يكسب  
 عليه من حلال وحرام ، فان ماتا عطف عليه الناس هذا يطعمه  
 وهذا يسقيه وهذا يؤويه وهذا يكسوه فإذا وقع في المنزلة الرابعة  
 واشتد واستوى وكان رجلاً خشياً ان لا يرزق فيشب على الناس فيخون  
 اموالهم ويسرق امتعتهم ويفصمهم اموالهم بخافة خذلان الله تعالى إياه .

### ٢٤ - محاسن طلب الرزق

قال عمرو بن عتبة من لم يقدمه الحزم أخره العجز . وقال رسول الله  
 صلى الله عليه وسلم يقول الله تبارك وتعالى «يا ابن آدم أحدث لي سفراً  
 أحدث لك رزقاً» ، وفي بعض الحديث ( سافروا تغنوا ) ، وقال  
 الكمي بن زيد الأسدي :

ولن يُزِيحَ هُمُومَ النَّفْسِ إِنْ حَضَرَتْ  
 حَاجَاتُ مِثْلِكَ إِلَّا الرَّحْلُ وَالْجَمَلُ

وقال أبو تمام الطائي :

وطولُ مُقامِ المرءِ في أحيٍ مُغْلِقٍ      لِدِيابِجَتِيهِ فَاغْتَرِبَ تَتَجَدَّدِ  
 فَإِنِّي وَأَيْتُ الشَّمْسِ زِيدَتِ مَحَبَّةً      إِلَى النَّاسِ أَنْ لَيْسَتْ عَلَيْهِمُ بِسَرْمَدِ

وقال بعض الحكماء : لا تدع الحيلة في التماس الرزق بكل مكان ،  
 فان الكرم محال ، والدنيء عيال ، وأشد :

فسرني بلاد الله والتمس الغنى  
ولا ترض من عيش بدون ولا تنم  
وكيف ينام الليل من كان مُعسرا

وتقول العامة : كلب جوال خير من أسد رابض ، وتقول : من غلى دماغه صائفاً غلت قدره شائياً : ووقع عبدالله بن طاهر من سعى دعى ومن لزم الماس رأى الأحلام ، هذا المعنى سرقه من توقيعات أنوشروان فانه يقول : هرك روذ جرد هرك خسد خراب بئند ، وأنشد :

كفَى حَزَنًا أَنْ النَّوَى قَدَفَتْ بِنَا  
وَلَوْ أَنَّ نَا إِذْ فَرَّقَ الدَّهْرُ بَيْنَنَا  
وَلَكِنَّا مِنْ دَهْرِنَا فِي مَوُوتَةٍ  
بَعِيدَا وَأَنْ الرِّزْقَ أَعْيَتْ مَذَاهِبُهُ  
غِنَى وَاحِدٍ مِنَّا تَمَوَّلَ صَاحِبُهُ  
يُكَا لِبْنَا طَوْرًا وَطَوْرًا نُكَا بُهُ

وقال آخر :

وَمَنْ يَكُ مِثْلِي ذَا عِيَالٍ وَمُقْتِرًا  
لِيَبْلُغَ عُذْرًا أَوْ يَبَالَ غَنِيمَةً  
مِنْ الْمَالِ يَطْرَحُ نَفْسَهُ كُلَّ مَطْرَحٍ  
وَمُبْلَغُ نَفْسٍ عُدْرَهَا مِثْلُ مَنْجِيحٍ

وقال آخر :

وَأَيْسَ الرِّزْقُ عَنْ طَلَبِ حَنِيثٍ  
تَحِيَّتِكَ بِمَلِيهَا حِينًا وَطَوْرًا  
وَلَكِنْ أَدَلْ دَلُوكَ فِي الدَّلَاءِ  
تَجِيءُ بِحَمَاءَةٍ وَقَلِيلِ مَاءٍ

(ضده)

قيل : وجد في بعض خزائن ملوك العجم لوح من ججارة مكتوب

عليه : كن لما لا ترجو أرجى منك لما ترجو ، فإن موسى عليه السلام  
خرج ليقبس ناراً ، فنودي بالنبوة . وبلغنا عن ابن السماك أنه قال : لا  
تشتغل بالرزق المضمون عن العمل المفروض ، وكن اليوم مشغولاً بما أنت  
مستول عنه نداء وإياك والفضول فإن حسابها يطول ،

قال الشاعر :

إِنِّي عَلِمْتُ وَعِلْمُ الْمَرْءِ بِنَفْعِهِ      أَنْ الَّذِي هُوَ رِزْقِي سَوْفَ يَأْتِيَنِي  
أَسْمَى لَهُ فِيمَنِّي نِي تَطْلُبُهُ      وَلَوْ قَعَدْتُ أَتَانِي لَا يُعْنِيَنِي

وقال آخر :

كَعَمْرُكَ مَا كُلُّ التَّمَطَّلِ ضَائِرٌ      وَلَا كُلُّ شُغْلٍ فِيهِ لِلْمَرْءِ مَنَفَعَةٌ  
إِذَا كَانَتِ الْأَرْزَاقُ فِي الْقُرْبِ وَالنَّوَى      عَلَيْكَ سَوَاءٌ فَاغْتَنِمْ لَذَّةَ الدَّعَاةِ

وقال آخر :

سَهْلٌ عَلَيْكَ فَإِنَّ الرِّزْقَ مَقْدُورٌ      وَكُلُّ مُسْتَأْنَفٍ فِي اللُّوْحِ مَسْطُورٌ  
أَتَى الْقَضَاءُ بِمَا فِيهِ مُلْدَتُهُ      وَكُلُّ مَا لَمْ يَكُنْ فِيهِ فَمَحْظُورٌ  
لَا تَكْذِبَنَّ فَنَحِيرُ الْقَوْلِ أَصْدَقُهُ      إِنَّ الْحَرِيصَ عَلَى الدُّنْيَا لَمَعْرُورٌ

وقال آخر :

لَا تَعْتَبَنَّ عَلَى الْعِبَادِ فَإِنَّمَا      بِأَتَيْكَ رِزْقُكَ حِينَ يُوَدَّنُ فِيهِ

وقال آخر :

هي المقادير تجري في أعنتها  
يوماً تريش خسيس القوم ترغمه  
فأصبر فليس لها صبر على حال  
دون السماء يوماً تخفيض العالي

وقال آخر :

أصبر على زمن جمر نوائبه  
تلقاه بالأمس في عمياه مظلمة  
فليس من شدة إلا لها فرج  
ويصبح اليوم قد لاحت له الشرج

وقال آخر :

الأرب واج حاجة لا ينالها  
يجول لها هذا وتفضي لغيره  
وآخر قد تفضي له وهو آيس  
فتأتي الذي تفضي له وهو جالس

وقال آخر :

فأما أنت عنيت بما الآتي  
دهوت الله لا أزجو سواه  
وأغيتني المسائل بالقروض  
ودب العرش ذو فرج عريض

وقال آخر :

يا صاحب الهم إن الهم منفرج  
اليأس يقطع أحياناً بصاحبه  
أبشر بخير كأن قد فرج الله  
لا تيأسن فإن الصانع الله  
إذا ابتليت فتق بالله وارض به  
إن الذي يكشف البلوى هو الله

وقال آخر :

وَإِذَا نُصِبَ كَمِنْ الْحَوَادِثِ نَكْبَةٌ فَاصْبِرْ فَكُلُّ بَلِيَّةٍ تَتَكَشَّفُ

## ٢٥ - محاسن المواعظ

قال الاصمعي : حبيب فزت ضرية ، فاذا أعرابي قد كور عمامته على رأسه وقد تكب قوساً ، فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أيها الناس إنما الدنيا دار مر والآخره دار مقر ، فيخذوا من ممركم لمقركم ، ولا تنكروا استاركم عند من يعلم أسراركم اما بعد فإنه لن يستقبل احد يوماً من عمره إلا بفراق آخر من أجله ، فاستعجلوا لأنفسكم لما تقدمون عليه لا لما تظنون عنه ، وراقبوا من ترجعون اليه فإنه لا قوى أقوى من خالق ولا ضيف أضعف من مخلوق ولا مهرب من الله إلا اليه ، وكيف يهرب من يتقلب بين يدي طالبه و وانما يوفون أجوركم يوم القيامة فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور ، وقال بعض الأعراب : ان الموت ليقتحم على بي آدم كافتحام الشيب على الشباب ، ومن عرف الدنيا لم يفرح بها فهو خائف ولم يحزن فيها عى بلوى ولا طالب أغثم من الموت ، ومن عطف عليه الليل والنهار أروياه ، ومن وكل به الموت أفناه . وقال أعرابي كيف يفرح بعمر تنقصة الساعات وبسلامة بدن معرض للآفات ؟ لقد عجبت من المرء يفر من الموت وهو سيده ولا أرى أحداً الا استدركه الموت . وقيل وجد في كتاب من كتب بزجر صحيفة مكتوب فيها : ان حاجة الله الى عباده أن يعرفوه فمن عرفه لم يعه طرفه عين كيف البقاء مع الفناء وكيف يأسى المرء على ما فاته والموت يطلبه . وقال كسرى : لم يكن من حق الله أن يقتل والي

لنادم على ذلك ( ١ ) . قال : وحضرت الوفاة بجلا من حكماء فارس  
ف قيل له : كيف حالك ؟ قال : كيف يكون حال من يريد سفراً بعيداً  
بغير زاد ويقدم على ملك عادل بغير حجة ويسكن قبراً موحشاً بغير  
أنيس ؟

( ضده )

قيل : لما مات عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز جزع أبوه عليه جزعاً  
شديداً فقال ذات يوم لمن حضره : هل من منشد شعراً يعزبني به أو  
واعظ يخفف عني فأتسلى به ؟ فقال رجل من أهل الشام : يا أمير المؤمنين  
كل خليل مفارق خليفه بأن يموت أو يذهب إلى مكان ، فتبسم عمر بن  
عبد العزيز وقال : مصيبتى فيك زادتنى إلى مصيبتى مصيبة . وأصيب  
الحجاج بن يوسف بمصيبة وعنده رسول لعبد الملك بن مروان فقال : ليت  
إنى وجدت إنساناً يخفف عني مصيبتى ، فقال له الرسول : أقول ، قال :  
ق ، قال : كل انسان مفارق صاحبه يموت أو بصلب أو بنار تقع عليه  
من فوق البيت أو يقع عليه البيت أو يسقط في بئر أو يغشى عليه أو  
يكون شيء لا يعرفه ، فذمك الحجاج وقال : مصيبتى في أمير المؤمنين  
أعظم حين وجه مثلك رهولا .

٢٦ - محاسن فضل الدنيا

قال علي بن ابي طالب كرم الله وجهه : الدنيا دار صدق لمن صدقها ،  
ودار عافية لمن لهم عنها ، ودار غنى لمن تزود منها ، مسجد أنبياء الله ،  
ومهبط وحبه ، ومصلى ملائكته ، ومنجر أوليائه يكسبون فيها الرحمة ،

ويجئون فيها الجمة فمن ذابدها ؟ وقد أدنت بينها ونادت بفراقها ونعت  
 نفسها وشوقت بسرورها إلى السرور وببلائها إلى البلاء تخويفاً وتحذيراً وترغيباً  
 وترهيباً ، فأيها الذام لدنيا والفتن بسرورها متى غرتك أبصارع آباتك من  
 البلى أم بمضاجع أمهاتك تحت الثرى ؟ كم عالت بكفيك وكم مرضت بيديك  
 لتبغى لهم الشفاء وتستوصف لهم الاطباء وتلتبس لهم الدواء ؟ لم تتفهم  
 بطلبتك ولم تشفهم بشفاعتك ولم تستشفهم باستشفائك بطبك مثلت بهم الدنيا  
 مصرعك ومضجك حيث لا ينفك بكأوك ولا يعني عنك أجاؤك ، ثم التفت  
 إلى قبور هناك فقال : يا أهل النراء والعز ، الأزواج قد كعبت والاموال  
 قد قسمت والدور قد سكنت هذا خير ما عندنا ، فما خير ما عندكم ، ثم  
 قال لمن حضر والله لو أدن لهم لأجابوا بأن خير الزاد القوى وأنشد :

ما أحسن الدنيا وإقبالها إذا أطاع الله من نالها  
 من لم يؤاس الناس من فضائها عرض للإدبار إقبالها

قال أبو حازم : الدنيا طالبة ومطلوبة طالب الدنيا يطلبه الموت حتى  
 يخرجها منها ، وطالب الآخرة تطلبه الدنيا حتى توفيه رزقه . وقال الحسن  
 البصري : بينا أنا أطوف بالبيت إذا أنا بعجوز متعبدة فقلت : من أنت ؟  
 فقلت ؟ من بنات ملوك غمان ، قلت : فمن أين طعامك ؟ قالت : إذا  
 كان آخر النهار جاءني امرأة متزينة فتضع بين يدي كوزاً من ماء  
 ورغيفين ، قلت لها : أتعرفينها ؟ قالت : اللهم لا قلت : هي الدنيا  
 خدمت ربك جل ذكره فبعت اليك الدنيا فخدمتك .

(ضده)

زعموا أن زياد بن أبيه مر بالحيرة فنظر إلى دير هناك فقال لحامه :  
 لمن هذا ؟ قيل له هذا دير حرة بنت النعمان بن المنذر فقال : يبيلوا بنا إليه

نسمع كلامها ، فبعثت إلى وراء الباب فكلها الخادم فقال لها : كلمي الامير ، فقالت أوجز أم أطيل ؟ قال : بل أوجزي فقالت : كنا أهل بيت طلعت الشمس علينا وما على الارض أحد أعز منا وما غابت تلك الشمس حتى رحمتنا عدونا قال : فامر لها باوماق من شعير فقالت : أطعمتك يد شعباء جاعت ولا أطعمتك يد جوعاء شبعت ، فسر زياد بكلامها ، فقال لشاعر معه : قيد هذا الكلام ليدرس فقال :

سَلِ الْخَيْرَ أَهْلَ الْخَيْرِ قَدْماً وَلَا تَسَلْ

فَتَى ذاقَ طَعْمَ الْخَيْرِ مُنْذُ قَرِيبِ

ويقال : إن فروة بن إباس بن قبيصة انتهى الى دير حرقة بنت النعمان فألقاها وهي تبكي فقال لها : ما يبكيك ؟ قالت : ما من دار امتلأت سروراً إلا امتلأت بعد ذلك تهوراً ثم قالت :

فَبَيْنَا نَسُورُ النَّاسِ وَالْأَمْرُ أَمْرُنَا

إِذَا نَحْنُ فِيهِمْ سُوقَةٌ نَتَنَصَّفُ

فَأُفٍ لِدُنْيَا لَا يَدُومُ نَعِيمُهَا تَقَلَّبُ تَارَاتٍ بِنَا وَتَصَرَّفُ

قال : وقالت حرقة بنت النعمان لسعد بن ابي وقاص : لاجعل الله لك الى لئيم حاجة ولا زالت لكريم اليك حاجة ، وعقد لك المن في اعناق الكرام ، ولا أزال بك عن كريم نعمة ولا أزالها بغيرك إلا جعلك سبياً لردها عليه . قال : وقال عبدالملك بن مروان لسلم بن يزيد الفهري : أي الزمان أدركت افضل وأي ملوكه أكلت ؟ قال : أما الملوك فلم أر إلا ذاماً وحامداً ، وأما الزمان فرفع أقواماً ووضع آخرين وكلهم بدم زمانه لانه يبلي جديدهم ويهرم صغيرهم ، وكل ما فيه منقطع إلا الامل



قال : فاخبرني عن فهم قال : هم كما قال الشاعر :

دَرَجَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ عَلَى فَوْ  
وَحَلَّتْ دَارُهُمْ فَأَضَعَتْ قِفَاراً  
وَكَذَاكَ الزَّمَانُ يَذْهَبُ بِالنَّاسِ  
مِ بِنِ عَمْرٍو فَأَصْبَحُوا كَالرَّمِيمِ  
بَعْدَ عِزِّ وَفِرْوَةِ وَنَعِيمِ  
سِ وَتَبَقِيَ دِيَارُهُمْ كَالرُّسُومِ

قال : فمن يقول منكم :

رَأَيْتُ النَّاسَ مَذْخُفُوا وَكَانُوا  
وَإِنْ كَانَ الْغِنَى أَقْلَ خَيْرًا  
فَلَا أَذْرِي عَلامَ وَفِيمَ هَذَا  
أَلِدُنْيَا فَلَيْسَ هُنَاكَ دُنْيَا  
يُحِبُّونَ الْغِنَى مِنْ الرِّجَالِ  
بِحَيْلٍ بِالْقَلِيلِ مِنَ النَّوَالِ  
وَمَاذَا يَرْجُونَ مِنَ الْمُحَالِ  
وَلَا يَرْجِي لِحَادِثَةِ الْأَيَّامِ

قال : انا وقد كتبتها . قال ولما دخل علي صلوات الله عليه المدائن فنظر الى ابوان كسرى أنشد بعض من حضره قول الاسود بن يعفر :

مَآذَا يَوْمٌ بَعْدَ آلِ مُحَرَّقٍ تَرَكَوا مَنَازِلَهُمْ وَبَعْدَ إِيَادِ  
أَهْلِ الْخَوَرَنَقِ وَالسُّدَيْرِ وَبَارِقِ  
وَالْقَصْرِ ذِي الشُّرُفَاتِ مِنْ سِنْدَادِ  
نَزَلُوا بِأَنْقَرَةَ بِسَيْلِ عَلِيمِ  
أَرْضٌ تَخَيَّرَهَا لَطِيبِ نَسِيمِهَا  
كَبُّ بْنُ مَامَةَ وَأَبْنُ أُمِّ دُوَادِ  
فَكَأَنَّمَا كَانُوا عَلَى مِعَادِ  
جَرَّتِ الرِّيحُ عَلَى مَحَلِّ دِيَارِهِمْ

فَإِذَا النِّعِيمُ وَكُلُّ مَا يُلْمَسُ بِهِ يَوْمًا يَصِيرُ إِلَى بِلَى وَتَفَادٍ

وقال علي صلوات الله عليه : أبلغ من ذلك قول الله تعالى « كم تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ وَنَعْمَةً كَانُوا فِيهَا فَكَاهِنٍ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ » .

وقال عبد الله بن المعتز : أهل الدنيا كركب يسار بهم وهم نيام .  
وقال غيره : طلاق الدنيا مهر الجنة . وذكروا أن أعرايا ذكر الدنيا فقال :  
هي حمة المصاب رنقة اشارب . وقال آخر الدنيا لا تمتك بصاحب . قال  
أبو الدرداء : من هوان الدنيا على الله تعالى انه لا يعصى الا فيها ولا ينال  
ما عنده الا بتركها . وقال : إذا أقبلت الدنيا على امرئ أعارته محاسن  
غيره وإذا أدبرت عنه سلبته محاسن نفسه وقال الشاعر :

أَبَا دُنْيَا حَسَرْتِ لَنَا فِئَاعًا      وَكَانَ جَمَالَ وَجْهِكَ فِي النَّتَابِ  
دِيَارًا طَالَمَا حُجِبَتْ وَعَزَّتْ      فَصَبَحَ إِذْنُهَا سَدْلَ الْحِجَابِ  
وَقَدْ كَانَتْ لَنَا الْأَيَّامُ ذَلَّتْ      فَتَدُّ قُرْنَتْ بِأَيَّامِ صِهَابِ  
كَأَنَّ الْعَيْشَ فِيهَا كَانَ ظِلًّا      يُقَلِّبُهُ الزَّمَانُ إِلَى ذَهَابِ

قال الأصمعي : وجد في دار سليمان بن داود عليه السلام على قننه  
مكتوباً :

وَمَنْ يَحْمَدِ الدُّنْيَا شَيْءً يَسُرُّهُ  
فَسَوْفَ لَعْمَرِي مَنْ قَرِيبٍ يَلُومُهَا

إِذَا أُدْبِرَتْ كَانَتْ عَلَى الْمَرْءِ حَسْرَةً  
وَإِنْ أَقْبَلَتْ كَانَتْ كَثِيراً هُمُومَهَا

وكان ابراهيم بن آدم ينشد :

رُفِعَ دُنْيَانَا بِتَمْزِيقِ دِينِنَا      فَلَا دِينُنَا يَبْقَى وَلَا مَا نُرَفِّعُ

وقال أبو العنابه :

يَا مَنْ تَرَفَّعَ بِالدُّنْيَا وَزِينَتِهَا      لَيْسَ التَّرَفُّعُ رَفَعَ الطِّينَ بِالطِّينِ  
إِذَا أُرِدَّتْ شَرِيفَ الْقَوْمِ كُلِّهِمْ      فَأَنْظُرْ إِلَى مَلِكِ فِي زِيٍّ مَسْكِينِ  
ذَلِكَ الَّذِي عَظُمَتْ فِي النَّاسِ هِمَّتُهُ

وَذَاكَ يَصْلُحُ لِلدُّنْيَا وَلِلدِّينِ

وقال آخر :

هَبِ الدُّنْيَا تُسَاقُ إِلَيْكَ عَفْوَاً      أَلَيْسَ مَصِيرُ ذَاكَ إِلَى زَوَالِ

وقال محمود الوراق :

هِيَ الدُّنْيَا فَلَا يَفْرُوكَ مِنْهَا      مَخَائِلُ تَسْتَفِيزُ ذَوِي الْعُقُولِ  
أَقَلُّ قَلِيلِهَا يَكْفِيكَ مِنْهَا      وَلَكِنْ لَسْتَ تَقْنَعُ بِالْقَلِيلِ  
تُسِيدُ وَتَبْتَنِي فِي كُلِّ يَوْمٍ      وَأَنْتَ عَلَى التَّجَهُّزِ لِلرَّحِيلِ  
وَمِنْ هَذَا عَلَى الْأَيَّامِ تَبْقَى      مَضَارِبُهُ بِمَدْرَجَةِ السُّبُولِ

وقال آخر :

دُنْيَا تَدَاوَلَهَا الْعِبَادُ ذَمِيمَةٌ      شَيْبَتُ بَأْكَرٍ مِّنْ تَقِيْعِ الْحَنْظَلِ  
وَتَبَاتُ دُنْيَا مَا تَزَالُ مُلِمَّةٌ      مِنْهَا فَجَائِعٌ مِّثْلُ وَقْعِ الْجَنْدَلِ

وقال آخر :

حَتَّى مَتَى أَنْتَ فِي دُنْيَاكَ مُشْتَغِلٌ      وَعَامِلٌ اللَّهُ بِالرَّحْمَنِ مَشْغُولٌ

وقال أبو نواس الحسن بن هاني :

دَعِ الْحِرْصَ عَلَى الدُّنْيَا      وَفِي الْعَيْشِ فَلَا تَطْمَعُ  
وَلَا تَجْمَعُ أَكَّ الْمَالِ      فَمَا تَدْرِي لِمَنْ تَجْمَعُ  
وَلَا تَدْرِي أَمِ أَرْضِ      لَكَ أَمْ فِي غَيْرِهَا تُضْرَعُ

قال الاصمعي : سمعت أبا عمرو بن العلاء وهو يقول : بينا أنا أدور  
في بعض البراري إذا أنا بصوت :

وَإِنَّ أَمْرًا دُنْيَاهُ أَكْثَرُ هَمِّهِ      لَمُسْتَمِئِكَ مِنْهَا بِجَبَلِ غُرُورِ

فقلت : أوانسي أم جنبي ؟ فلم يجبني أحد فنقشته على خاتمي . قال  
وسمع يحيى بن خالد بيت العدوي في وصفه الدنيا :

مُخْتَوِّفُهَا رَصْدٌ وَعَيْشُهَا نَكْدٌ      وَشُرْبُهَا رَنْقٌ وَمُلْكُهَا دَوْلٌ

فقال : لقد نظم في هذا البيت صفة الدنيا . قال وسع المأمون بيت  
أبي نواس :

إِذَا مَتَّحَنَ الدُّنْيَا لَيْبٌ نَكَشَتْ      لَهُ عَنْ عَدْوٍ فِي ثِيَابِ صَدِيقِ

فقال : لو سئلت الدنيا عن نفسها ما وصفت نفسها كصفة أبي نواس .  
وقيل للحسن البصري : ما تقول في الدنيا ، قال : ما أقول في دار :  
حلالها حساب وحرامها عقاب فقبل ما سمعنا كلاماً أوجز من هذا قال  
بلى كلام عمر بن عبد العزيز كتب إليه عدي بن أرطاة وهي علي حمص  
قد تهدمت واحتاجت الى صلاح حيطانها ، فكتب إليه : حصتها بالعدل  
ونق طرقها من الظلم والسلام .

### ٢٧ - محاسن الزهد

محمد بن الحسن عن أبي همام وكان قد عرف ضيفاً قال : كنت معه  
في طريق مكة فلما بعدنا في الرمل نظر الى ما تلقى الابل من شدة  
الحر فبكى ضيفم فقلت : لو دعوت الله ان يطر علينا كان أخف علي  
هذه الابل ، قال : فنظر الى السماء وقال : ان شاء الله فعل قال :  
فو الله ما كان الا أن تكلم حتى نشأت سحابة فهطلت . وعن عطاء بن  
يسار أن أبا مسلم الخولاني خرج الى السوق بدرهم يشتري لأهله دقيقاً ،  
فعرض له سائل فأعطاه بعضه ثم عرض له سائل آخر فأعطاه الباقي ،  
فأتى التجارين فلأ مزوده من نشارة الحطب وأنى منزله فألقاه وخرج  
هارباً من أهله فاتخذت المرأة المزود فإذا دقيق حوارى لم تر مثله  
فعبخته وخبزته ، فلما جاء قال : أين لك هذا ؟ قالت : الدقيق الذي  
جئت به . وعن أبي عبد الله القرشي عن صديق له قال : دخلت بئر  
زمزم فإذا بشخص يتزع الدلو مما يلي الركن ، فلما شرب أرسل الدلو  
فأخذته فشربت فضله فإذا هو سويق لم أر أطيب منه ، فلما كانت القابلة  
في ذلك الوقت جاء الرجل وقد أسبل ثوبه على وجهه وتزع الدلو فشرب ثم  
أرسله فأخذته فشربت فضله فإذا هو ماء مضروب بالعدل لم أر شيئاً قط  
أطيب منه فأردت أن آخذ طرف ثوبه فانظر من هو ففاتي ، فلما كان

في الليلة الثالثة قدمت قبالة زمزم في ذلك الوقت فجاء الرجل وقد  
أسل ثوبه على وجهه فتزع الدلو فشرب وأرسله وأخذته وشربت فصلته  
فاذا هو أطيب من الاول ، فقلت : يا هذا أسألك برب هذه البنية من  
أنت ؟ قال : تكتم علي حتى أموت ؟ قلت : نعم ، قال لي : أنا سفيان  
الثوري وكانت تلك الشربة تكفيني اذا شربتها الى مثلها لا أجد جوعا ولا  
عطشا ، وقال الاصمعي رأيت أعرابيا يكدح جبهته في الارض يريد ان  
يجعل سجادة فقلت ماتصنع ؟ قال : اني وجدت الاثر في وجهه الرجل الصالح .

وقال الشاعر :

كَيْفَ يَبْكِي لِمَحْبَسٍ فِي طُلُولِ      مَنْ سَيَقْضِي أَيُّومَ حَبْسٍ طَوِيلِ  
إِنَّ فِي الْبَهْتِ وَالْحِسَابِ لَشُغْلًا      عَنْ وَقُوفٍ بِرَسْمِ رَبِّعٍ مُحِيلِ

وقال آخر :

إِنَّ الشَّقِيَّ الَّذِي فِي النَّارِ مَنْزِلُهُ      وَالْفَوْزُ فَوْزُ الَّذِي يَنْجُو مِنَ النَّارِ  
يَا رَبِّ اسْرَفْتُ فِي ذَنْبِي وَمَعْصِيَتِي      وَقَدْ عَلِمْتُ يَقِينًا سَوْءَ آثَارِي  
فَاغْفِرْ ذُنُوبًا إِلَهِي قَدْ أَحْطَتْ بِهَا      رَبُّ الْعِبَادِ وَزَحْرَحْنِي عَنِ النَّارِ

وقال ذو الرمة :

مَعْصَى الْإِلَهِ وَأَنْتَ تُظْهِرُ حُبَّهُ      هَذَا مُحَالٌ فِي الْقِيَاسِ بَدِيعُ  
لَوْ كَانَ حُبُّكَ صَادِقًا لِأَطْعَمْتَهُ      إِنْ الْمُحِبُّ أَمَّنْ يُحِبُّ مُطِيعُ

وقال أبو نواس :

أَيَا عَجَبًا كَيْفَ يُعْصَى الْإِلَهِ أَمْ كَيْفَ يَجْعَدُهُ الْجَاهِدُ

وَلِلَّهِ فِي كُلِّ شَيْءٍ حَكِيمَةٌ  
وَفِي كُلِّ شَيْءٍ لَّهُ آيَةٌ  
وَتَسْكِينَةٌ فَاعْلَمَنْ شَاهِدُ  
تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ وَاحِدُ  
وَقَالَ أَيْضًا :

سُبْحَانَ مَنْ خَلَقَ الْخَلْقَ  
يَسُوقُهُمْ مِنْ قَرَارٍ  
يَجُوزُ خَلْقًا فَخَلْقًا  
حَتَّى بَدَتْ حَرَكَاتُ  
قَ مِنْ ضَعِيفٍ مَهِينٍ  
إِلَى قَرَارٍ مَكِينٍ  
فِي الْحَجْبِ دُونَ الْعُيُونِ  
مَخْلُوقَةٌ مِنْ سُكُونِ

وَقَالَ آخِرُ :

أَخِي مَا بَالُ قَلْبِكَ لَيْسَ يَنْقَى  
إِلَّا يَا بَنَ الَّذِينَ مَضَوْا وَبَادُوا  
وَمَا لَكَ غَيْرَ تَقْوَى اللَّهِ زَادُ  
كَأَنَّكَ مَا تَظُنُّ الْمَوْتَ حَقًّا  
أَمَا وَاللَّهِ مَا ذَهَبُوا لِتَبْقَى  
إِذَا جَعَلْتَ إِلَى اللَّاهُوتِ تَرْقَى

وَقَالَ آخِرُ :

يَا قَلْبُ مَهْلًا وَكُنْ عَلَى حَذَرٍ  
مَالِكَ بِالْتَّرَاهَاتِ مُشْتَغَلًا  
فَقَدْ لَعَمْرِي أَمِرْتُ بِالْحَذَرِ  
أَنِّي بِيَدَيْكَ الْأَمَانُ مِنْ سَقَرِ

وَقَالَ آخِرُ :

إِنْ كُنْتَ تُؤْمِنُ بِالْقِيَامَةِ  
فَلَقَدْ هَلَكْتَ وَإِنْ جَعَدُ  
وَاجْتِرَاتِ عَلَى الْخَطِيئَةِ  
تَ فَمَا ذَاكَ أَعْظَمُ لِلْبَلِيَّةِ

وقال آخر

وَأَفْنِيَّةُ الْمُلُوكِ مُحَجَّبَاتٌ      وَبَابُ اللَّهِ مَبْدُولُ الْفَنَاءِ  
فَمَا أَرْجُو سِوَاهُ لِكَشْفِ ضُرِّي      وَلَا أَفْزَعُ إِلَى غَيْرِ الدُّعَاءِ  
وَلَا أَدْعُو إِلَى الْأَوَامِرِ كَهَقَا      سِوَى مَنْ لَا يَصَمُّ عَنِ الدُّعَاءِ

(ضده)

قيل : كان جندي بقزوين يصلي في بعض المساجد فانتقده المؤذن أياماً فصار إليه وقرع بابه عليه فخرج اليه فقال له المؤذن : أبو من ؟ قال : أبو الجحيم ، قال : بشس يا هذا رد الباب . قال : وقيل للقيني ما أيسر ذنبك ؟ قال : ليلة الدير ، قيل له : وما ليلة الدير ؟ قال : نزلت بدير نصرانية فأكلت عندها طفشيلاً بلحم خنزير وشربت خمرها وفجرت بها وسرفت كساءها وخرجت ( ١ ) . قيل أتى خمسة من القتيان الى قرية فنزلوا على باب خان فقام أحدهم يصلي والباقون جلوس فمرت بهم نبطية فقالوا : دليماً على فحبة قالت نعم كم أنتم ؟ قالوا : نحن أربعة ، فأومى الذي يصلي بيده سبحان الله أنا الخامس .

وقال الشاعر :

وَإِنِّي فِي الصَّلَاةِ أَحْضَرُهَا      ضَخَّكَ أَهْلُ الصَّلَاةِ إِنْ شَهِدُوا

(١) - ذكر ابن قتيبة في كتابه أخبار المشرك هذه القصة لابي الطمغان القيني وقد نسبت هذه الجزئية أيضاً للفرزدق وفيها يقول له جرير ،

و كنت اذا نزلت بدار قوم رحلت بخزبة وتركت عاراً



أَقْعُدُ فِي سَجْدَةٍ إِذَا رَكَعُوا  
 أَسْجُدُ وَالْقَوْمُ رَاكِعُونَ مَعًا  
 وَأَرْفَعُ الرَّأْسَ إِنْ هُمْ سَجَدُوا  
 وَأُشْرِعُ الْوَتْبَ إِنْ هُمْ قَعَدُوا  
 فَلَسْتُ أَذْرِي إِذَا هُمْ فَرَغُوا  
 كَمْ كَانَ تِلْكَ الصَّلَاةُ وَالْعَدَدُ

وقال آخر :

وَأَصْلِي فَأَغَاطُ الدَّهْرَ فِيمَا  
 وَمَوَاقِيتُ حِينَهَا لَسْتُ أَذْرِي  
 بَيْنَ سَبْعٍ وَأَرْبَعٍ وَثَمَانٍ  
 مَا أَذَانٌ مُمَوَّقَةٌ مِنْ أَذَانٍ

وقال آخر :

نِعْمَ الْفَتَى لَوْ كَانَ يَعْرِفُ رَبَّهُ  
 عَدَاكَ مَشَافِرُهُ الدَّانُ فَأَتَقَهُ  
 وَيُقِيمُ وَقْتَ صَلَاتِهِ حَمَادُ  
 مِثْلُ الْقَدُومِ يَسْنُهُ الْخَدَادُ  
 فَأَبْيَضَ مِنْ شُرْبِ الْمُدَامَةِ وَجْهَهُ  
 قَبِيَاضُهُ يَوْمَ الْحِسَابِ سَوَادُ

وقال آخر :

إِنْ قَرَأَ الْعَادِيَاتِ فِي رَجَبٍ  
 بَلْ نَحْنُ لَا نَسْتَطِيعُ فِي سَنَةٍ  
 لَمْ يَعْدُ مِنْهَا إِلَّا إِلَى رَجَبٍ  
 نَخْتَمُ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ

## ٢٦ - محاسن النساء العاديات

قيل : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستحسن قول النساء في

صخر أخيها .

لَا بُدَّ مِنْ مَيْتَةٍ فِي صَرَفٍ فَهَا غَيْرٌ      وَالذُّهْرُ مِنْ شَأْنِهِ حَوْلٌ وَإِضْرَارٌ  
وَإِنْ صَخْرًا لَتَأْتُمُّ الْهَدَاةُ بِهِ      كَأَنَّهُ عَلِمَ فِي رَأْسِهِ نَارٌ

وقيل للخنساء : صفي لنا صخرًا ؟ فقالت : كان مطر السنة الغبراء وذعاف  
الكتيبة الحمراء ، قيل فمعاوية ؟ قالت : حياء الجذبة اذا نزل ، وقرى  
الضيف اذا حل ، قيل : فايها كان عليك احق ؟ قالت اما صخر فسقام  
الجسد ، واما معاوية فجمرة الكبد وأنشدت :

أَسْدَانٌ مُحْمَرًّا الْمَخَالِبِ نَجْدَةٌ      غَيْثَانِ فِي الزَّمَنِ النَّضُوبِ الْأَعْسَرِ  
قَمَرَانِ فِي النَّادِي رَفِيعًا مُحْتَدِ      فِي الْمَجْدِ فَرَعًا سَوْدِيٍّ مُتَخَيِّرِ

وروى انها دخلت على عائشة أم المؤمنين وعليها صدر من شعر ،  
فقالت لها عائشة : أتخذين الصدر وقد نهي عنه رسول الله صلى الله عليه ؟  
فقالت : يا أم المؤمنين ان زوجي كان رجلا متلافاً منفقاً فقال لي : لو أتيت  
معاوية فاستعنتيه ، فخرجت وقد لقيني صخر فأخبرته فشاطرني ماله ثلاث  
مرات ، فقالت له امرأته : لو أعطيتها من شرارها - تعني الابل - فقال :

ثَالِثٌ لَا أَمْنَحُهَا شِرَارَهَا      وَهِيَ حَصَانٌ قَدْ كَفَّثَنِي عَارَهَا  
وَإِنْ هَلَكْتُ مَزَّقْتُ خِمَارَهَا      وَأَتَّخَذْتُ مِنْ شَعْرِ صِدَارَهَا

فلما هلك صخر اتخذت هذا الصدر ونذرت أن لا أنزعه حتى أموت  
قال ثور بن معن السلمي : حدثني أبي قال : دخلت على الخنساء في الجاهلية  
وعليها صدر من شعر وهي تجهز ابنتها فكلمتها في طرح الصدر فقالت :  
يا حمقاء والله لأنا أحسن منك عرساً ، وأطيب منك درساً ، وأرق منك نعلاً

وأكرم منك بعلا . قال عبد الرحمن بن مرة عن بعض أشياخه ان عمر بن الخطاب قال للخنساء : ما أفرح . آفي عينيك ؟ قالت : بكائي على السادات من مضر ، قال : يا خنساء انهم في النار قالت : ذلك أطول لعويبي . وما اخترنا من أثمارها قولها :

تَفَرَّقَنِي الدَّهْرُ قَرَعًا وَغَمْرًا	وَأَوْجَعَنِي الدَّهْرُ نَهْشًا وَوَحْزًا
وَأَفْنَى رَجَائِي فَبَادُوا مَعًا	فَأَصْبَحَ قَلْبِي لَهُمْ مُسْتَفْزًا
كَأَنْ لَمْ يَكُونُوا حِمَى يُتَّقَى	إِذِ النَّاسُ إِذْ ذَاكَ مَنْ عَزَّ بَرًّا
وَكَانُوا سَرَاةَ بَنِي مَالِكٍ	وَزَيْنَ الْعَشِيرَةِ مَجْدًا وَعِزًّا
وَهُمْ فِي الْقَدِيمِ صِحَاحُ الْأَدْبِ	مِ وَالكَائِنُونَ مِنَ النَّاسِ حِرْزًا
بِسْمِ الرِّمَاحِ وَبِإِضِّ الصَّفَاحِ	فَبِالْبَيْضِ ضَرْبًا وَبِالشُّمْرِ وَحِزًّا
حِرْزَنَا نَوَاصِي فُرْسَانِكُمْ	وَكَانُوا يَظُنُّونَ أَنْ لَا تُحْزَا
وَمَنْ ظَنَّ مِمَّنْ يُبْلَاقِي الحُرُوبِ	بَانَ لَا يُصَابَ فَقَدْ ظَنَّ عَجْزًا
نَعْفٌ وَتَعْرِفٌ حَقُّ القِرَى	وَتَتَّخِذُ الحَمْدَ دُخْرًا وَكَتْرًا
وَنَلْبَسُ فِي الحَرْبِ نَسِجَ الحَدِيدِ	وَفِي السَّلَامِ نَلْبَسُ حِزًّا وَقَزًّا

وروي خبر الخنساء من جهة أخرى ذكروا أنها أقبلت حاجة فمرت بالمدينة ومعها أناس من قومها ، فأتوا عمر بن الخطاب فقالوا : هذه خنساء فلو وعظتها فقد طال بكاؤها في الجاهلية والاسلام ، فقام عمر وأنها وقال : يا خنساء قال : فرفعت رأسها فقالت : ماتت ما الذي تريد ؟ فقال : ما الذي أفرح ما في عينيك ؟ قالت : البكاء على مادات مضر . قال : انهم هلكوا في الجاهلية وهم أعضاء الهب وحشو جهنم ، قالت : فذاك أبي وامي فذلك

الذي زادني وجعا ، قال : فأشديني ما قلت ، قالت : أما أني لا أشدك ما قلت  
قبل اليوم ولكني أشدك ماقلت الساعة ، فقالت :

سَقَى جَدَثًا أَعْرَاقُ غَمْرَةَ دُونَهُ      وَبَيْشَةَ دِيَمَاتِ الرَّبِيعِ وَوَابِلُهُ  
وَكَنتُ أَعِيرُ الدَّمْعَ قَبْلَكَ مَنْ بَكَى  
فَأنتَ عَلَى مَنْ مَاتَ قَبْلَكَ شَاغِلُهُ  
وَأُرْعِيهِمْ سَعْيِي إِذَا ذَكَرُوا الأَسَى

وَفِي الصَّدْرِ مِنْ نَسِي زُفْرَةٍ لَا تُزَايِلُهُ

فقال عمر : دعوها فانها لا تزال حزينة أبداً . لبلى الأخيلية هجاءها رجل  
من قومها فقال :

أَلَا حَيًّا لَيْلِي وَقَوْلًا لَهَا هَلَا      فَقَدَرَكِبْتُ إِدْرًا أَعْرًا مُحَجَّلًا  
فأجابته :

نَعِيرُنِي دَاءٌ بِأُمَّكَ مِثْلُهُ      وَأَيُّ جَوَادٍ لَا يُقَالُ لَهُ هَلَا

ذكرووا انها دخلت على عبد الملك بن مروان فقال لها : يا ليلي هل بقي  
في قلبك من حب توبة فتى الفتيان شيء ؟ قالت : وكيف أنساه ؟ وهو الذي  
يقول يا أمير المؤمنين :

وَأَوْ أَنْ لَيْلِي فِي ذَرِّي مُتَمَعِّعٍ      بِنَجْرَانَ لَا لَتَفَتْ عَلَيَّ فُصُورُهَا  
حَامَةً بَطْنِ الوَادِيَيْنِ تَرْمِسِي

سَقَاكَ مِنْ الغَرِّ الغَوَادِي مَطِيرُهَا

أبيني لنا لا زال ريشك ناعماً (١)  
 وَيَبْضُكَ فِي خَضْرَاءِ غُصْنٍ نَضِيرُهَا  
 تَقُولُ رِجَالٌ لَا يَضِيرُكَ فَأُيْهَا  
 بَلَى كُلُّ مَا شَفَّ النَّفُوسَ يَضِيرُهَا  
 أَيَذْهَبُ رَيْعَانُ الشَّبَابِ وَلَمْ أَزُرْ  
 كَوَاعِبَ فِي هَمْدَانٍ بِيضًا نُحُورُهَا

قال : عمرك الله أن تذكره . ولتوبة في ايلي الاخيلية :

وَلَوْ أَنَّ لَيْلَى الْأَخِيلِيَّةَ سَلِمَتْ عَلَيَّ وَدُونِي جَنْدَلٌ وَصَفَائِحُ  
 كَسَلِمْتُ تَسْلِيمَ الْبِشَاشَةِ أَوْ زَقَا  
 إِلَيْهَا صَدَى مِنْ جَانِبِ الْقَبْرِ صَائِحُ  
 وَوَلَوْ أَنَّ لَيْلَى فِي السَّمَاءِ لَأَصْعَدْتُ  
 بِطَرَفِي إِلَى لَيْلَى الْعَمِيُونُ اللَّتَوَامِحُ

فلما ماتت توبة مر زوجها ليلي بليلى على قبره فقال لها : سلمني على توبة  
 فانه زعم في شعره انه يسلم عليك تسليم البشاشة ، فقالت : ما تريد الى من  
 بليت عظامه ، فقال : والله لتفعلن ، فقالت وهي على البعير : سلام عليك  
 ياتوبة فتى الفتيان ، وكانت قطعة مستظنة في ثقب من ثقب القبر ، فلما سمعت  
 الصوت طارت وصاحت فنقر البعير ورعى بليلى فهات فدفت الى جنب

(٢) رواية أبي علي القالي له ولا زلت في خضراء غصن نضيرها

قبر توبة . قال وسأل الحجاج ليلي هل كان بينك وبين توبة ريبة قط ؟  
قالت : لا والذي أسأله صلاحك ألا أنه مرة قال لي قولاً ظننت أنه خنع  
إبعض الأمر فقلت له :

وذي حاجة فلنا له لا تبخ بها      فليس إلبها ما حيت سبيل  
لنا أحب لا يذبغي أن نخوفه      وأنت لأخرى فارغ وخليل

فما كلمني بعد ذلك بشيء حتى فرق بيني وبينه الموت ، قال الحجاج .  
فما كان بعد ذلك ؟ قالت : لم يلبث أن قال لصاحب له : إذا أتيت الحاضر  
من بني عباد فقل بأعلى صوتك :

عفا الله عنها هل أبيتن ليلة      من الدهر لا يسري إلي خيالها

فلما سمعت الصوت خرجت فقلت :

وعنه عفا ربي وأحسن حاله      تعز علينا حاجة لا ينالها

قال : ودخلت ليلي على الحجاج فأنشدته قولها فيه :

إذا نزل الحجاج أرضاً سقيمة      كتبع أقصى دائها فشفاهها  
شفاهها من الداء العضال الذي بها      غلام إذا هز القناة ثناها  
أحجاج لا تعطى المرأة منهم      ولا الله يعطي للأصاة منهاها

فوصلها الحجاج بألف دينار ، وقال : لو قلت : بدل غلام همام لكان  
أحسن . هند بنت عتبة أم معاوية بن أبي سفيان قيل : لما قتل شيبة  
وعتبة ابنا ربيعة والوايد بن عتبة رثتهم هند فقالت :

إني رأيت فساداً بعد إصلاح      في عبد شمس فقلبي غير مرتاح

هَاجَتْ لَهُمْ أَدْمَعٌ تَتْرَى وَمَنْبَعُهَا  
 مِنْ رَأْسِ مَخْرُوبَةٍ مَا إِنْ آهِيَ لَاحِي  
 لَمَّا تَنَادَتْ بَنُو فِهْرٍ عَلَى حَنْقٍ . وَالْمَوْتُ بَيْنَهُمْ سَاعٍ لِأَرْوَاحٍ  
 كَأَنَّمَا النَّسِجُ فِي قَتْلِ مُصْرَعَةٍ سُرُجٌ أَضَاءَتْ عَلَى جُذُرِ وَأَوْاحٍ  
 يَا آلَ هَاشِمٍ إِنَّا لَا نُنْصَلِحُكُمْ  
 حَتَّى نَرَى الْخَيْلَ تَرْدِي كُلَّ كَفَّاحٍ  
 إِنْ يُمَكِّنِ اللَّهُ يَوْمًا مِنْ هَزِيمَتِكُمْ  
 يورث نساءكم داءً يتقراح

فأجابتها عمرة بنت عبد الله بن رواحة الانصاري :

يَا هِنْدُ مَهْلًا لَقَدْ لَاقَيْتِ مُهْبَلَةً يَوْمَ الْأَعْنَةِ وَالْأَرْوَاحِ فِي الرَّاحِ  
 أَسَدٌ غَطَارِفَةٌ غُرٌّ جَحَاجِحَةٌ أَبْنَاءُ مُحْصِنَةٍ بِيضٌ لِحْجَجِحِ  
 هُنَالِكَ الْفَوْزُ وَالرُّضْوَانُ إِنْ صَبَرُوا  
 مَعَ الرَّسُولِ فَمَا آوَا بِتَقْبَاحِ  
 اللَّهُ أَهْلَكَهُمْ وَالْأَوْسُ شَاهِدَةٌ وَالخَزْرَجُ الْفُرُفِيهِمْ كُلُّ مُجْتَبَاحِ  
 لَا تَبْعَدَنَّ فَإِنِّي غَيْرُ صَارِخَةٍ  
 وَكَيْفَ تَصْرُخُ ذَاتُ الْبَعْلِ يَا صَاحِ

## ٢٩ - النساء الماجنات

قال سليمان بن عبد الملك : أنشدوني أحسن ما سمعتم من شعر النساء فقال بعضهم : يا أمير المؤمنين صار رجل من الظرفاء في بعض طرقائه إذ أخذته السماء ، فوقف تحت مظلة ليستكن من المطر وجارية مشرفة عليه ، فلما رآته حذفته بجبر فرفع رأسه وقال :

لَوْ بِتُّفَاحِيَّةٍ رَمَيْتِ رَجُونًا      وَمِنَ الرَّمِي بِالْخُصَاةِ جَفَاءً  
فأجابته :

مَا جَهِلْنَا الَّذِي ذَكَرْتَ مِنَ الشُّكْلِ وَلَا بِالَّذِي نَرَاهُ خَفَاءً  
وداية معها فقالت :

قَدْ بَدَأَتْ بِهِ مَا ذَكَرْتَ وَجَدِّي      كَيْتَ شِعْرِي فَهَلْ لِهَذَا وَفَاءً  
وسائلة في الباب فقالت :

قَدْ لَعَمْرِي دَعَوْتَهَا فَأَجَابَتْ      هِيَ دَاءٌ وَأَنْتَ مِنْهُ شِفَاءُ

قال سليمان فانتلها الله هي والله أشعرهم :  
( عنان جارية الناطفي ) قال السلوي : دخلت يوماً على عنان وعندها رجل اعراي ، فقالت أيا عم لقد أتى الله بك ، قلت : وما ذلك ؟ قالت : هذا الاعراي دخل علي فقال : بلغني أنك تقولين الشعر نقولي بيتاً ، فقلت لها : قولي ، فقالت : قد رتج علي ، فقل أنت ، فقلت :

لَقَدْ جَدَّ الْفِرَاقُ وَعَيْلَ صَبْرِي      عَشِيَّةَ عَيْرُهُمْ لِلْبَيْنِ زُمَّتُ



فقال الاعرابي :

نَظَرْتُ إِلَى أَوَاخِرِهَا ضَحِيًّا وَقَدْ بَانَتْ وَأَرْضَ الشَّامِ أُمَّتٌ

فقال عنان :

كَتَمْتُ هَوَاكُمُ فِي الصَّدْرِ مِنيَّ عَلَى أَنْ الدُّمُوعَ عَلَيَّ نَمَّتْ

فقال الاعرابي : انت والله اشعرنا ، ولولا انك بجرمة رجل لقبلتك ، ولكنني اقبل البساط . وقال بعضهم : دخلت علي عنان فاذا عليها قميص يكاد يقطر صبغة وقد تناوفا مولاها بضرب شديد وهي تبكي فقالت :

إِنَّ عِنَانًا أُرْسَاتُ دَمْعِهَا كَالدُّرِّ إِذْ يَنْسَلُّ مِنْ سَمَطِهِ

فقال و اشارت الى مولاها :

فَلَيْتَ مَنْ يَضْرِبُهَا ظَالِمًا نَجِفُ يُمْنَاهُ عَلَى سَوَاطِئِهِ

فقال مولاها : هي حرة لوجه الله ان ضربتها ظالما او غير ظالم ، قال : واجتمع ابو نواس والفضل الرقاشي والحسين الخليلع وعمرو الوراق ومحكم ابن رزين والحسين الخياط في منزل عنان فتناشدوا الى وقت العصر ، فلما ارادوا الانصراف قالوا : اين نحن الليلة : فكس قال : عندي ؟ فقالت عنان : بالله قولوا شعرا وارضوا بحكمي ، فقال الرقاشي :

عذراء ذات انحرارٍ إني بها لا أحاشي

قوموا ندأماي رَوُوا مُشاشكم من مُشاشي

وناطحوني كُتُوسًا نِطَاحِ صُلبِ الكِبَاش

وإن نَكَتُ فحِلُّ لَكُمْ دَمِي وِرِيشي

فقال ابو نواس :

لا بل إليّ ثقاتي قوموا بنا بحياتي  
 قوموا نلذّ جميعاً بقول هالك وهات  
 فان اردتم فتاة ايتكم بفتاتي  
 وان اردتم غلاماً صادفتهوني مؤاتي  
 فبادروه مجوناً في وقت كل صلاة

وقال الحسين الخليع :

أنا الخليع فقوموا إلى شراب الخليع  
 إلى شراب لذيذ وأكل جذبي رضيع  
 ونيك أحوى رخيماً بالخندريس صريع  
 قوموا تناولوا وشيكاً مثال ملك رفيع

وقال الوراق :

قوموا إلى بيت عمرو وساقيات علينا  
 ويئسري رخيماً نطاع في كل أمر  
 يزهو بجيد ونحر فذاك بر وإن شئتم  
 إلى سماع وخمر هذا وائس عليكم  
 أولى ولا وقت عصر

وقال محكم بن رزين :

قوموا إلى دارِ أهويِّ      وظلُّ بيتِ دفينِ  
فيه من الوردِ والمرِّ      زنجوشِ والياسمينِ  
ورريحِ مسكِ ذكيِّ      وجيِّدِ المرزجورِ  
قوموا فصيروا جميعاً      إلى الفتى ابنِ رزينِ

فقال الحسين الخياط :

قضتْ عنانُ علينا      بأنْ زورَ حُسيننا  
وأنتَ تقرُّوا لديهِ      بالقصْفِ واللَّهو عينا  
فما رأينا كظرفِ      الحسينِ فيها رأينا  
قد قربَ اللهُ مِنْهُ      زينا وباعدَ شينا  
قوموا وقولوا أجزنا      ما قد قضيتْ علينا

وقالت عنان :

مهلاً فديتُكِ مهلاً      عنانُ أحرى وأولى  
بأنْ تنالوا لديها      أسنى النعيمِ وأحلى  
فإنْ عندي حراماً      من الشرابِ وجمالاً  
لا تطعموا في سوائي      من البريةِ كلاً  
يا سادتي خبروني      أجازَ حكيمي أم لا

فقالوا جميعاً : قد أجزنا حكمك وأقاموا عندها . قال : وكتبت  
عنان الى الفضل بن الربيع :

كُنْ لِي هُدًى إِلَى الْخَلِيفَةِ سَلَامًا      بُورِكَتَ يَا بَنَ وَزِيرِهِ مِنْ سُلُومِ  
حُثِّ الْإِمَامِ عَلَيَّ شِرَايَ وَقُلْ لَهُ      رِيحَانَةٌ ذُخِرَتْ لِأَنْزِكَ فَاشْتَمِمْ

وكانت عنان تتوقى أبا نواس وتخاف مجونه وسفهه ، وفيها يقول :

عِنَانُ يَا مَنْ تُشْبِهُ الْعَيْنَا      أَنْتُمْ عَلَى الْحَبِّ تَلُومُونَا  
حُسْنُكَ حُسْنٌ لَا يَرَى مِثْلَهُ      قَدْ تَرَكَ النَّاسَ مَجَانِينَا

فتهايات لأبي نواس وتصنعت له الى أن صار اليها فرأى عندها بعض  
وجوه أهل بغداد فأحب أن ينجلها ، فقال لها :

مَا تَأْمُرِينَ لِصَبِّ      يَكْفِيهِ مِنْكَ قَطِيرَةٌ

فقلت :

إِيَّايَ تَعْنِي بِهِ ذَا      عَلَيْكَ فَأَجِلْدُ عُمَيْرَةَ

فقال :

إِنِّي أَخَافُ وَرُبِّي      عَلَى يَدَيَّ مِنْ عُبَيْرَةَ

فقلت :

عَلَيْكَ أُمَّكَ نِكْحًا      فَإِنَّهَا كُنْدَبِيرَةٌ

فأخجلته ، وشاع الخبر حتى بلغ الرشيد فاستظرفها وطلبها من الناطقي  
فجئت اليه فقال لها : يا عنان ، قالت : لييك يا سيدي ، فقال : ما

تأمرين لصب ؟ قالت : قد مضي الجواب في هذا يا أمير المؤمنين ، قال :  
بجياتي كيف قلت ؟ قالت : قلت :

إِيَّايَ تَعْنِي بِهَذَا عَلَيْكَ فَاجْلِدْ عُمَيْرَةَ

فضحك الرشيد وطلبها من مولاها فاستام فيها مالا جزيلا فردها  
( عرب جارية المأمون )

وَأَنْتُمْ أَنَاسٌ فِيكُمْ الْغَدْرُ شِيمَةٌ لَكُمْ أَوْجُهُ شَتَّى وَالسِّينَةُ عَشْرُ  
عَجِبْتُ لِقَابِي كَيْفَ يَضْبُو إِلَيْكُمْ عَلَى عُظْمٍ مَا يَلْقَى وَلَا يَسَّ لَهُ صَبْرٌ

( فضل الشاعرة ) حدثنا القاسم بن عبد الله الحراني قال : كنت عند  
سعيد بن حميد الكاتب ذات يوم وقد اقتصد ، فأته هدايا فضل الشاعرة  
ألف جدي ، وألف دجاجة ، وألف طبق رياحين ، وطيب وعنبر ، وغير  
وغير ذلك ، فلما وصل ذلك كتب إليها : ان هذا اليوم لا يتم سروره  
إلا بك وبمضورك ، وكانت من احسن الناس ضربا بالعود ، وأملحهم صوتا ،  
وأجودهم شعرا ، فأته فضرب بينه وبينها حجاب ، وأحضر قوما ندماءه ،  
ووضعت المائدة وجيء بالشراب ، فلما شربنا أقداحنا أخذت عودها فغنت  
بهذا الشعر والصوت لها والشعر والأبيات هذه :

يَا مَنْ أَطَلْتُ تَفْرُسِي فِي وَجْهِهِ وَتَنْفُسِي  
أَفْدِيكَ مِنْ مُتَدَلِّلِ يَزْهُو بِقَتْلِ الْأَنْفُسِ  
هَبْنِي أَسَاتُ وَمَا أَسَأْتُ بَلَى أَقُولُ أَنَا الْمُسِي  
أَحْلَفْتَنِي أَنْ لَا أَسَا رِقُ نَظْرَةَ فِي مَجْلِسِي  
فَنَظَرْتُ نَظْرَةَ عَاشِقٍ أَتَبَعْتُهَا بِتَنْفُسِي

وَنَسِيتُ أَنِّي قَدِ حَمَلْتُ      فَمَا يُقَالُ لِمَنْ نَسِيَ  
وضربت أيضاً وغنت :

عَادَ الْحَبِيبُ إِلَى الرَّضَا      فَصَفَحَتْ عَمَّا قَدَمَضَى  
مِنْ بَعْدِ مَا لَصُدُودِهِ      شَمِتَ الْكُـسُودُ فَعَرَّضَا  
تَعَسَّ الْبَغِيضُ فَلَمْ يَزَلْ      لَصُدُودِنَا مُتَعَرِّضَا  
هَبْنِي أَسَاتُ وَمَا أَسَأُ      تُوْفَانِ أَسَاتُ لَكَ الرَّضَا

قال فما أتى علي يوم أسر من ذلك اليوم :

(صاحبة الفرزدق) ذكروا أن الفرزدق كان مع أصحاب له فاذا هو  
بجارية مع مولاها فقال لأصحابه : هل أخجل لكم هذه ؟ قالوا : نعم فقال :

إِنَّ لِي أُمْرًا خَبِيثًا      لَوْ نُهُ يَحْكِي الْكَمِينَا  
لَوْ يَرَى فِي السَّقْفِ صَدْعًا      لَتَحَوَّلَ عَنَّا كَبُونَا  
أَوْ يَرَى فِي الْأَرْضِ شَقًّا      لَنَزَا حَتَّى يَمُوتَا

فقالت الجارية :

زَوَّجُوا هَذَا بِأَنْفِ      وَأَرَى ذَلِكَ مُقُوتَا  
قَبْلَ أَنْ يَنْقَلِبَ الدَّاءُ      فَلَآ يَأْتِي وَيُوتَى

فخجل الفرزدق وانصرف : (١)

(١) في هامش الاصل . قيل ان هذه الردافة جرت بين ابي نواس وعنان  
جارية الناطفي والايات تروى على غير هذا .

( صاحبة جعفر بن يحيى بن خالد البرمكي ) قالت :

عَزَمْتُ عَلَى قَابِي بَأَنْ أَكْتُمَ الْهَوَى  
فَإِنْ حَانَ مَوْتِي لَمْ أَدْعَكَ بَعْصَتِي  
فَضَجَّ وَنَادَى إِنِّي غَيْرُ عَاقِلٍ  
وَأَقْرَرْتُ قَبْلَ الْمَوْتِ أَنَّكَ قَانِلِي

( جارية البارقي ) ذكروا انها أنشدت في مجلس عمرو بن مسعدة :

يَا أَحْسَنَ الْعَالَمِ حَتَّى مَتَى  
وَكَيْفَ مَنجَايَ وَبَجْرُ الْهَوَى  
يَرْتَفِعُ الْحُبُّ وَالْمَحَطُّ  
مُذْ حَفَّ بِي لَيْسَ لَهُ شَطُّ

فأجبت :

يُدْرِكُكَ الْوَصْلُ فَتَنْجُو بِهِ  
أَوْ يَقَعُ الْبَحْرُ فَتَنْحَطُّ

( المغنية المديحة ) قال علي بن الجهم : كنت في مجلس محمد بن عمرو بن مسعدة فأقبلت جارية كأنها البدر ليلة التهام بلون كأنه الدر في اليأس مع احمرار خدين كشقائق النعمان فسلمت ، فقال لي محمد : يا أبا الحسن هذه ابنة التي كنتم توعدون . فقالت :

وَمَا الْوَعْدُ يَا سُؤْلِي وَغَايَةَ مُنْتَبِي  
فَإِنْ فُؤَادِي مِنْ مَقَالِكَ طَائِرُ

فقال لها محمد :

أَمَّا وَإِلَى الْعَرْشِ مَا قَلْتُ سَيِّئًا  
وَمَا كَانَ إِلَّا أَنِّي لَكَ شَاكِرُ

فقال ابن الجهم :م

أَمْسِكْ فِدْيَتِكَ عَنْ عِتَابِ مُحَمَّدٍ  
فَهُوَ الْمَصُونُ لَوُدِّهِ الْمُتَحَاذِرُ

فأقبلت تحدثنا ، فإذا عقل كامل ، وجمال فاضل ، وحسن قاتل ، وردف  
أثنى فقلت : لقد أقر الله عيننا تراك فقالت : أقر الله أعينكم ، وزادكم  
رورا وغبطة ، ثم اندفعت تعني ببنعمة لم أسمع أحسن منها :

أرُوحُ بهمٍ من هَواك مُبرِّحٍ      أناجبي بهِ قلباً كثيرَ التفكُّرِ  
عليك سلامٌ لا زيارةَ بيننا      ولا وصلَ إلا أن يشاء ابنُ مَعمرِ

فما زلنا يومنا ذلك معها في الفردوس الاعلى ، وما ذكرتها بعد ذلك  
إلا اشتقت لها وأسفت عليها . محمد بن حماد قال : كنا يوما عند اسحاق  
ابن نجيع وعنده جارية يقال لها : شادن موصوفة بجودة ضرب العود ، وشجو  
صوت ، وحسن خلق ، وظرف مجلس ، وحلاوة وجه ، وأخذت العودوغنت :

ظبي تكامل في نهاية حسنه      فزها بيهجته وتاه بصده  
فالشَّمسُ تَطْلُعُ من فرندِ جبينه      والبدرُ يغرقُ في شقائق خده  
ملكَ الجمالِ بأُسره فكأنما      حُسنُ البريةِ كلُّها من عنده  
يا ربِّ هب لي وصله وبقاهه      أبداً فلستُ بعائشٍ من بعده

فطارت عقولنا ، وذهلت البائنا من حسن غنائها وظرفها فقلت :  
يا سيدتي من هذا الذي تكامل في الحسن والبهاء سواك ؟ فقالت :

فإن مُجَّتْ نائِتي عيونٌ كثيرةٌ      وأضعفُ عن كتبها نه حين أكتُمُ

### ٣٠ - الأهرابيات

حدثنا ثعلب عن الفتح بن خاقان قال : لما خرج المتوكل الى دمشق  
كنت عديله فلما صرنا بقنسرين قطعت بنو سليم على التجار فأنهى ذلك



أليه ، فوجه قائدا من وجوه قواده اليهم فحاصروهم ، فلما قربنا من القوم اذا نحن بجارية ذات جمال وهيئة وهي تقول :

أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ سَمَا إِلَيْنَا      سُمُو الْبَدْرِ مَالٍ بِهِ الْغَرِيفُ  
فَإِنْ نَسَلْنَا فَعَفَا اللَّهُ نَرْجُو      وَإِنْ نُقْتَلُ فَقَاتِلْنَا شَرِيفُ

فقال لها المتوكل : أحسنت ، ما جزاؤها يا فتاح ، قلت : العفو والصلة : فأمر لها بعشرة آلاف درهم وقال لها : مري الى قومك وقولي لهم : لا تردوا المال على التجار فاني اعوضهم عنه . الاصمعي قال : خرجت الى بادية فاذا أنا بخباء فيه امرأة فدنوت فسلمت فاذا هي احسن الناس وجهها ، وأعداهم قامة ، وانصعهم لسانا فحارفيها بصري واعترتني خجلة فقالت ، ما وقوفك ؟ فقلت :

هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ مَخِيضِ الْيَوْمِ نَشْرَبُهُ  
أَمْ هَلْ سَبِيلٌ إِلَى تَقْبِيلِ عَيْنَيْكَ  
فَلَسْتُ أَتَّبِعِي سِوَى عَيْنَيْكَ مَنزَلَةً  
أَمْ هَلْ تَجُودِي لَنَا عَضًا بِمَخَدَيْكَ  
أَوْ تَأَذِنِينَ بَرِيقِ مِثْلِكَ أَرُشْفُهُ  
رُدِّي الْجَوَابَ عَلَى مَنْ زَادَهُ كَلْفًا  
تَكَرَّرُهُ الطَّرْفَ فِي أَجْدَالِ مَا قَبْلِكَ

فرفعت رأسها إلي وقالت : يا شيخ ألا تستحي ارجع الى أهلك وارغب في مثلك . وقال بعضهم : رأيت أعرابية بالنجاح فقلت لها : أنتشدين ؟ قالت نعم في مثلك ورب الكعبة ، قلت : فأنشديني ، فأنشأت تقول :

لا بَارَكَ اللهُ فِيمَنْ كَانَ يُخْجِرُنِي      أَنْ الْمُسْحَبِ إِذَا مَا شَاءَ يَنْصَرِفُ  
وَجَدُ الْمُسْحَبِ إِذَا مَا بَانَ صَاحِبُهُ      وَجَدُ الصَّبِيِّ بِنْدَ بَيْ أُمِّهِ الْكَلْفُ

قال : قلت لها انشدني من قوالك فقالت :

بِنَفْسِي مَنْ هَوَاهُ عَلَى التَّنَائِي      وَطُولِ الدَّهْرِ مُؤْتَنِقٌ جَدِيدُ  
وَمَنْ هُوَ فِي الصَّلَاةِ حَدِيثُ نَفْسِي      وَعَدْلُ الرُّوحِ عِنْدِي بَلْ يَزِيدُ

فقلت لها : ان هذا كلام من قد عشق . فقالت : وهل يعرى من  
من ذلك من له سمع وقلب ؟ ثم أنشدتني :

ألا بَاطِي وَاللهِ مَنْ لَيْسَ نَافِعِي      بِشَيْءٍ وَلَا قَلْبِي عَلَى الْوَجْدِ نَاكِرُهُ  
وَمَنْ كَبِدِي تَهْفُو إِذَا ذَكَرَ اسْمُهُ      بِشَيْءٍ وَمَنْ قَلْبِي عَلَى النَّأْيِ ذَاكِرُهُ  
لَهُ خَفَقَانٌ يَرْفَعُ الْجَيْبَ بِالشَّجْبِي      وَيَقْطَعُ أَرْزَارَ الْجُرْبَانِ نَائِرُهُ

قال : وكتب عمر بن ابي ربيعة الى امرأة بالمدينة :

بَرَزَ الْبَدْرُ فِي جَوَارِ تَهَادِي      مُخْطَفَاتُ الْخُصُورِ مُعْتَجِرَاتِ  
فَتَنَفَّسْتُ ثُمَّ قُلْتُ لِبَكْرِ      عَجَلْتُ فِي الْحَيَاةِ لِي حِينَاتِ  
هَلْ سَبِيلٌ إِلَيَّ الَّتِي لَا أَبَالِي      بَعْدَهَا أَنْ أَمُوتَ قَبْلَ وَفَاتِي

فأجابته :

قَدْ أَنَا الرَّسُولُ بِالْأَبْيَاتِ      فِي كِتَابٍ قَدْ خُطَّ بِالتَّرَاهَاتِ  
حَائِرُ الطَّرْفِ إِنْ نَظَرْتَ وَمَاطِرُ      فُكِّ عِنْدِي بِصَادِقِ النَّظَرَاتِ

عُرِّيَ غَيْرِي فَقَدْ عَرَفْتُ لَغَيْرِي      عَهْدَكَ الْخَائِنَ الْقَلِيلَ الثِّبَاتِ

### ٣١ - محاسن المتكلمات

حدث عمر بن يزيد الاسدي قال : مررت بخرقاء صاحبة ذي الرمة فقلت لها : هل حججت قط ؟ قالت : أما علمت أنني منسك من مناسك الحج ما منعك أن تسلم علي أما سمعت قول عمك ذي الرمة :

تَعَامُ الْحَجَّ أَنْ تَقِفَ الْمَطَايَا      عَلَى خَرْقَاءَ وَاضِعَةَ اللِّثَامِ

فقلت ذا : لقد أثر فيك الدهر ، قالت أما سمعت قول العجيف العقيلي حيث يقول ؟ :

وَخَرْقَاءَ لَا تَرْدَادُ إِلَّا مَلَا حَةَ      وَلَوْ عُمِّرَتْ أَعْمِيرَ نُوْحٍ وَجَلَّتْ

قال : ورأيتها وإن فيها لمباشرة ، وأن ديباجة وجهها لطرية كأنها فتاة ، وأنها لتزيد يومئذ على المائة ، ولقد حدثت أنه شبب بها ذو الرمة وهي ابنة ثمانين سنة . وحدث رجل من بني أمد قال : أدركت ميا صاحبة ذي الرمة وكان الرجل أعور قال : ورأيتها في نسوة من قومها فقلت : أهذه مي ؟ وأومات إليها ، فقلنا : فقلت ما أدري ما كان يعجب ذا الرمة منك وما أراك على ما كان يصف ؟ فتنفست الصعداء وقالت : انه كان ينظر بعينين وأنت تنظر الي بعين واحدة . وروى الأصمعي عن رجل من أهل الشام قال : قدمت المدينة فقصدت منزل ابن هرمة فاذا بنية له تلعب فقلت لها : ما فعل أبوك ؟ قالت : وفد الى بعض الاخوان ، قلت : فاعجزي لنا ناقة فانا أضيفك ، قالت : باعماه والذي خلقتك ما عندنا شيء ، قلت : فباطل ما قال أبوك ؟ قالت : فما قال قلت قال :

كَمْ نَاقَةٍ قَدْ وَجَّاتُ مَنَحَرَهَا لِمُسْتَهِيلِ الشُّؤْبِوبِ أَوْ جَمَلٍ

قالت : يا عماء فذلك القول من أبي أصارنا الى أن ليس عندنا شيء ؛  
قال : وأتى زياد الأقطع باب الفرزدق وكان له صديقاً ؛ فخرجت اليه  
ابنة الفرزدق وكانت تسمى مكية وأما حبشية ، فقال لها : ما اسمك ؟  
قالت : مكية قال : ابنة من ؟ قالت : ابنة الفرزدق قال : فأملك  
قالت : حبشية فأمسك عنها فقالت : ما بال يدك مقطوعة ؟ قال : قطعها  
الحرورية قالت بل قطعت في اللصوصية قال : عليك وعلى أبيك لعنة الله ،  
وجاء الفرزدق فأخبر بالخبر فقال : اشهد أنها بنتي ، وأنشأ يقول :

حَامٍ إِذَا مَا كُنْتَ ذَا حَمِيَّةٍ بَدَارِمِي بَدْتُهُ صَبِيئِهِ  
صَمَّحَحٍ مِثْلِ أَبِي مَكِّيَّةِ

وحدث سليمان ابن عباس السعدي قال : كان كثير يلقي حاج أهـل  
المدينة بقديد على ست مراحل ، ففعل عاماً من الاعوام غير يومهم الذي  
نزلوا فيه فوقف حتى ارتفع النهار فركب جملاً في يوم صائف ووافى قديداً  
وقد كل بعيره ونعب ، فوجدهم قد ارتحلوا وقد بقي فتى من قریش فقال  
الفتى لكثير : اجلس قال : فجلس كثير الى جنبي ولم يسلم علي ،  
فجاءت امرأة وسية جميلة فجلست الى خيمة من خيام قديد واستقبلت  
كثيراً فقالت : أنت كثير ؟ قال : نعم ، قالت : أنت ابن أبي جمعة ؟  
قال نعم قالت : أنت الذي تقول :

وَكُنْتُ إِذَا مَا جِئْتُ أَجْلَانِ مَجْلِسِي وَأُضْمِرُنَّ مِنِّي هَيْبَةً لَا تَجَبُّهَا

قال : نعم ، قالت : فعلى هذا الوجه هيبة ان كنت كاذباً فعليك  
لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، قال : فضجر كثير وقال : ومن  
أنت ؟ فسكتت ولم تجبه بشيء ، فسأل الموالي التي في الخيام عنها فلم

يخبونه ، فضجر واختاط عقله ، فلما سكن قالت : أنت الذي تقول :

مَتَى تَنْشُرَا عَنِّي الْعِمَاءَ تُبْصِرَا جَمِيلَ الْحَيَا أَغْلَمْتَهُ الدَّوَاهِنُ

أهذا الوجه جليل ؟ ان كان كاذباً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، فاختلط وقال لو عرفتك لعلت وفعلت ، فلما ، سكن قلت له : أنت الذي تقول :

يُرُوقُ الْعُيُونُ النَّاطِرَاتِ كَأَنَّهُ هِرَقْلِيُّ وَزَنِ أَحْمَرُ التُّبْرِ رَاجِحٌ

أهذا الوجه الذي يروق الناظرات ؟ ان كنت كاذباً فعليك لعنة الله والملائكة والناس أجمعين قال : فازداد ضجراً واختلط وقال : لو عرفتك والله لقطعتك وقومك هجاء ، ثم قام فاتبعتني طرفي حتى تواري عني ، ثم نظرت الى المرأة فاذا هي قد غابت عني نقلت : لولاة من بنات قديد لك الله على أن أخبرني من هذه المرأة أن أطوي لك ثوبي هذين اذا قضيت حجي ثم أعطيكها فقالت : والله لو أعطيتني زنتها ذهباً ما أخبرتك من هي ؟ هذا كثير مولاي لم أخبره ، قال القرشي : فرحت وبني أشد بما بكثير . قيل : وقدم كثير الكوفة وكان شيعياً من أصحاب محمد بن الحنفية فقال : دلوني على منزل قطام ، قيل له : وما تريد منها ؟ قال : أريد أن أوجها في قتل علي بن أبي طالب صلوات الله عليه ، فقيل له : عد عن رأيك فان عقلها ليس كعقول النساء ، قال : لا والله لا أنتهي حتى انظر اليها وأكلها ، فخرج يسأل عن منزلها حتى دفع اليها فاستأذن فأذنت له ، فرأى امرأة برزة قد تحددت وقد حنا الدهر من قناتها فقالت : من الرجل ؟ قال : كثير بن الرحمن ، قالت : التيمي الخزاعي ؟ قال : التيمي الخزاعي ، ثم قال لها : أنت قطام ؟ قالت : نعم ، قال : أنت صاحبة علي بن أبي طالب صلوات الله عليه ، قالت : بل صاحبة عبد الرحمن بن ملجم ، قال : أليس هو قتل علياً ؟ قالت : بل مات

بأجله ، قال : والله اني كنت احب أن أراك كلما رأيتك نبت عيني عنك ،  
وما ومقك قلبي ، ولا احلويت في صدري قالت : انت والله قصير القامة  
صغير الهامة ضعيف الدءامة كما قيل : لأن تسمع بالمعيدي خير من ان  
تراه ، فأنشأ كثير بقول :

رَأَتْ رَجُلًا أَوْ ذَى السَّفَارِ بِجِسْمِهِ فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا مَنْطِقٌ وَجَنَاحِنُ

قالت لله درك ما عرفت إلا بعزة تقصيراً بك ، قال : والله لقد  
سار لها شعري ، وطار بها ذكري ، وقرب من الخلفاء مجلسي ، وإنما  
لكما قلت فيها :

وَإِنْ خَفِيَتْ كَانَتْ أَعْيُنُكَ قُرَّةً وَإِنْ تَبَدُّ يَوْمًا لَمْ يَعْمَكَ عَارُهَا  
مِنْ الْخَفَرَاتِ الْبَيْضِ لَمْ تَرِ شَقْوَةَ وَفِي الْحَسَبِ الْحَضِ الرَّفِيعِ نَجَارُهَا  
فَمَا رَوْضَةٌ بِالْحَزَنِ طَيِّبَةٌ الثَّرَى يَمُجُّ النَّدى جَنَجَانُهَا وَعَرَارُهَا  
بِأَطْيَبَ مِنْ فِيهَا إِذَا جِئْتَ طَارِقًا  
وَقَدْ أَوْقَدْتَ بِالْمَنْدَلِ الرُّطْبِ نَارُهَا

قالت : والله ما سمعت شعراً أضعف من شعرك هذا ، والله لو فعل  
هذا بزنجية طاب ربحها ألا قلت كما قال امرؤ القيس :

أَلَمْ تَرَ أَنِي كُلَّمَا جِئْتُ طَارِقًا وَجِدْتُ بِهَا طَيْبًا وَإِنْ لَمْ تَطَّيَّبِ

قال فله در بلادك وخرج وهو يقول :

الْحَقُّ أَبْلَجٌ لَا تَزِيغُ سَبِيلَهُ وَالْحَقُّ يَعْرِفُهُ ذَوُو الْأَلْبَابِ

قال : وقال المسيب رواية كثير : انطلق كثير مرة فقال لي : هل

لك في عكرمة بن عبد الرحمن بن هشام ؟ وهو يومئذ علي حنظلة بن عمرو ابن تميم ، فقلت : نعم قال : فخرجنا نريده حتى اذا صدرنا عن المدينة اذا نحن بامرأة على راحلة تسير فسرت حذاءها فقالت : أتروي لكثير شيئاً قلت : نعم قالت أنشدني ، فأنشدتها من شعره : فقالت : أين هو ؟ قلت هو ذلك الذي تزين على غير الطريق فقالت بعد ان دنت منه : قاتل الله زوج عزة حيث يقول :

لَعَمْرُكَ مَا رَبُّ الرَّبَابِ كَثِيرٌ يَفْجَلِ وَلَا أَبَاؤُهُ بِفَحُولِ

فغضب كثير وسار وتركها ، ثم نزل منزلاً فجاءت جارية لها تدعوه فأبى كثير ان يأتيها فقلت : ما رأيت مثلك قط امرأة مثل هذه ترمل اليك فتأبى عليها فلم أزل به حتى أتتها قال : فسفرت عن وجهها ، فاذا هي اجمل الناس واكملهم ظرفاً وعقلاً ، واذا هي غاضرة ام ولد بشر بن مروان فصحبناهما حتى كنا بزحلة فهالت بنا الطريق فقالت له : هل لك أن تأتي الكوفة فأضخن لك على بشر الصلة والجائزة ؟ فأبى وامرت له بخمسة آلاف درهم ولي بألفين فلما اخذنا الخمسة الآلاف قال : ما اصنع بعكرمة ، وقد اصبحت ما توي فذلك قوله حيث يقول :

شَجَا أَظْمَانُ غَاضِرَةُ الْغَوَادِي بِغَيْرِ مَشُورَةٍ عِوَضًا فُؤَادِي  
أَغَاضِرَ لَوْ رَأَيْتِ غَدَاةَ بِنْتِمْ حُنُوءَ الْعَائِدَاتِ عَلَيَّ وَسَادِي  
رَثَيْتِ لِعَاشِقٍ لَمْ تَشْكِيهِ جَوَانِحُهُ تَلْدَعُ بِالزَّنَادِ

— الشكيمة — العطية و — الزناد — جمع زناد وهو عود يقدح منه النار ، قال الحكم بن صخر الثقفي : حججت فرأيت بأقرعة امرأتين لم أر كجهلها وظرفها ونياجهما ، فلما حججت وصرنا بأقرعة اذا أنا باحدى الجاريتين قد جاءت فسألت سؤال منكر فقلت : فلانة ؟ قالت : فذاك

أبي وأمي رأيتك عاماً أول شاباً سوقة والعام شيخاً ملكاً وفي وقت دون ذلك ما تنكر المرأة صاحبها ، فقلت : ما فعلت أختك ؟ فتنفست الصعداء وقالت : قدم علينا ابن عم لنا فتزوجها فخرج بها الى نجد فذاك حيث أقول :

إِذَا مَا قَفَلْنَا نَحْوَ نَجْدٍ وَأَهْلِهِ فَحَسْبِي مِنَ الدُّنْيَا الْقُفُولُ إِلَى نَجْدٍ

فقلت : أما اني لو أدركتها لتزوجتها ، قالت : فذاك أبي وأمي ، فما يمنعك من شريكها في حسنها ، وشقيقتها في حسبها ، قلت : قول كثير :

إِذَا وَصَلَتْنَا حُجَّةً كَبِيْرًا تَزِيلُنَا أَيْدِنَا وَقُلْنَا الْحَاجِيَّةُ أَوْلُ

قالت : وكثير بيني وبينك أليس هو الذي يقول :

هَلْ وَصَلُ عَزَّةً إِلَّا وَصَلُ غَانِيَةً فِي وَصَلِ غَانِيَةٍ مِنْ وَصَلِهَا خَافُ

قال : فتركت جوابها ولم يمنعني منه الا العي .

### ٣٢ — محاسن النساء

قيل : أحسن النساء الرقيقة البشرة النقية اللون يضرب لونها بالعداء الى الحمرة وبالعشي الى الصفرة . وقالت العرب : المرأة الحسناء أرق ما تكون محاسن ، صبيحة عرسها ، وأيام نفاسها ، وفي البطن الثاني من حملها . وقيل لآعرابي أنحسن صفة النساء ؟ قال : نعم اذا عذب ثدياها ، وسهل خذاها ، ونهد ندياها ، وفعمم ساعداها ، والتف فخذاها ، وعرض وركاها ، وجدل ساقاها فتلك هم النفس ومناها . ووصف أعرابي امرأة فقال : كان وجهها السقم لمن رآها ، والبرء لمن ناجاها ، وذكر أعرابي امرأة فقال : أرسل الحسن الى خديها صفائح نور ورشق السحر عن لحظها بأسهم حداد ، ولقد



تأملت فوجدت للبدر نورا من بعض نورها . وذكر أعرابي امرأة فقال :  
هي شمس تباهي بها شمس سمائها ، وليس لي شفيع اليها غيرها في اقتضاها ،  
ولكني كتوم لفيض النفس عند امتلائها . وذكر أعرابي امرأة فقال :  
ما أحسن من حبها نعاما ولا أنظر اليها الا اختلاماً ، وكل أمرىء منها  
يبي ما أحب . وذكر أعرابي امرأة فقال : لها جلد من أولو رطب مع  
رائحة المسك الاذفر في كل عضو منها شمس طالعة ( وبما جاء في الحسن  
من الشعر ) قال عبدالله بن المعتز : أنشدني أبو سهل أسعيل بن علي لأبي  
الصواعق :

ومريضٍ طَرْفٍ أَيْسَ يَصْرِفُ طَرْفَهُ  
نَحْوَ الْمَدَى إِلَّا رَمَاهُ بِحَتْفِهِ  
ظَنِي لَهُ نَظْرٌ ضَعِيفٌ كَمَا  
قَد قُلْتُ لَمَّا مَرَّ بِخَطَرٍ مَائِئاً  
وَالرَّدْفُ يُجْذِبُ خَضْرَهُ مِنْ خَلْفِهِ  
يَا مَنْ يُسَلِّمُ خَضْرَهُ مِنْ رَدْفِهِ  
قَصَدَ الْقَوِيَّ أَنِّي عَائِيهِ بِضَعْفِهِ  
وَالرَّدْفُ يُجْذِبُ خَضْرَهُ مِنْ خَلْفِهِ  
سَلِّمُ فُوَادَ مُجْبِهِ مِنْ طَرْفِهِ

قلت في هذا المعنى وعلى هذا الوزن :

وَحَيَاةٍ مِنْ جَرَحِ الْفُوَادِ بِطَرْفِهِ  
قَمَرٌ بِهِ قَمَرُ السَّمَاءِ مُتِيمٌ  
إِنِّي عَجِبْتُ لِحَضْرِهِ مِنْ ضَعْفِهِ  
هَذَا وَمَا أَذْرِي بِأَيِّ فِتْنَةٍ  
أَمْ بِالذَّلَالِ أَمْ بِالْجَمَالِ أَمْ الضِّيَا  
لَأَحْبَرَنْ قِصَائِدِي فِي وَصْفِهِ  
كَالْفُضْنِ يَعْجَبُ نِصْفُهُ مِنْ نِصْفِهِ  
مَاذَا تَحْمَلُ مِنْ ثِقَالَةِ رَدْفِهِ  
جَرَحَ الْفُوَادِ بِلُطْفِهِ أَمْ طَرْفِهِ  
مِنْ وَجْهِهِ أَمْ بِالْقَفَا مِنْ خَلْفِهِ

وأنشد أبو الحسين بن فهم لأبي نواس :

كفالك ما مرّ على راسي	من شادين قطع أنفاسي
أكثر ما أبلغ في وصفه	تخييري من قلبه القاسي
أغار أن أنعت منه الذي	ينعته الناس من الناس
ولم أر العشاق قبلي وأوا	يوصف من يهون من باس
كل أحاديثي نعت له	منكشف مني جلاسي

فقلت في هذا المعنى وهذا الروى والوزن :

لوعشر ما مرّ على راسي	مرّ بصلد حجر قاسي
لأنصدعت فيه صدوع كما	صدع قلبي طول ونواسي
ياغصن آس ومحال إذا	قصرت تشبيوك بالأس
ماذا على طرفك لو أنه	أغار لحظاً منه قرطاسي
ليتك عالت بمطل ولم	تقطع رجائي منك بالياس

وقال آخر :

وزائرة يجتثها الشوق طارقه	أتنامن الفردوس لا شك أبقه
إذا ما تمنت قال للريح قدّها	

كذا حرّكي الأغصان إن كنت صادقاً

وقال آخر :

قد أقبَلَ البَدْرُ في قَرِاطِقِهِ      يَسْلُبُ بالدَّلِّ قلبَ عاشِقِهِ  
يَسْطُو عَلَيْهِ بِسِيفِ مُقْلَتِهِ      لا بِالذِّي مُشَدِّ في مَنَاطِقِهِ

وقال آخر :

قَلُّ لِلْمِلاحِ الخَدَقِ      وللِحِسانِ الخَلَقِ  
هَلْ في فَوادِي لِقْوِي      أو جَسَدِي شِيءٌ بَقِي  
إِنْ لَمْ تُرَوُّوا عَطَشِي      بَخْلاً فَبَلُّوا رَمَقِي  
يا مُقْلَةً أَجْفائِها      مَحْشُورَةً بِالأَرَقِ  
بَقِيتِ في رِقِّ الهَوِي      شَقِيَّةً فيمَنْ شَقِي

وقال آخر :

يا مِلاحَ الدَّلالِ وَالإغْتِجاجِ      ما أَرى القَلبَ مِنْ هِوا كُنْ ناجِي  
أَنْتَ زَرَقْتِ فَوْقَ خَدِّكَ صَدْعاً

مِنْ عَبرٍ على صَفائِحِ عَاجِ      أَمْرَقْتِ وَجَنَّتَكَ بِالنُّورِ حَتَّى  
أَغْنَتَا الخَلقَ عَن ضِياءِ السُّراجِ      فَعَلَّتْ مُقْلَتَكَ بِالقَلبِ مَنِي  
فَعَلَّةَ القَرَمَطِيِّ بِالْحِجَّاجِ      يا هِلالاً أَنْتَ مِنْهُ بَضْوَةٌ  
جُنْحَ لَيْلٍ مِنَ الظَّلَامِ الدَّاجِي

وقال آخر :

نَشَرْتُ غَدَائِرَ فَرَعِهَا لِتُظَلَّنِي      حَذَرَ الْعُيُونِ مِنَ الْعُيُونِ الرُّمَقِ  
فَكَأَنَّهَا وَكَأَنَّهُ وَكَأَنَّي      صُبْحَانَ بَاتَا تَحْتَ لَيْلِ مُطْبِقِ

وقال آخر :

يَا غَزَا لًا وَهَلَا لًا      وَقَضِي بًا وَكُنِي بَا  
كَمْ وَكَمْ أَضْمِرُ وَجَدًا      بَكَ مَكْتُومًا عَجِي بَا  
كَيْفَ يُرْجَى بُرَّةٌ مَن قَدْ      كَتَمَ الدَّاءَ الطَّيْبِي بَا

وقال آخر :

شَمْسٌ مُمَثَّلَةٌ فِي خَلْقِ جَارِيَةٍ      كَأَنَّهَا بَطْنُهَا طَيُّ الطَّوَامِرِ  
فَالْجِسْمُ مِنْ جَوْهَرٍ وَالشَّعْرُ مِنْ سَبَجٍ       
وَالشَّعْرُ مِنْ لَوْلُوٍّ وَالْوَجْهُ مِنْ عَاجٍ

وقال آخر :

تَتَّبِعُ دَلَالِ حَارٍ فِي حُسْنِهِ الطَّرْفُ      بَدِيعُ جَمَالِ زَانَهُ الْعَقْلُ وَالظَّرْفُ  
فَفِكْرَتُهُ قَبْرٌ وَمَنْطِقُهُ لُطْفٌ       
سَمَاوِيٌّ لَوْزٌ لَا يُحِيطُ بِهِ وَصَفٌ      يَمَازُجُهَا التُّفَاحُ وَالْخَمْرَةُ الصَّرْفُ  
تَمَكَّنَ فِي دِعْصِ يَنْوِي بِهِ رِدْفٌ      تَجَسَّمُ فِي جِسْمٍ مِنَ النُّورِ سَاطِعٌ

عَلَى صَحْنِ خَدَّيْهِ بِهَارٍ مُنَوَّرَةٍ      وَوَرْدٍ جَنِيٍّ لَا يَلِيْقُ بِهِ الْقَطْفُ  
تَكَامَلَ فِيهِ الْحُسْنُ وَالنُّورُ وَالْبَهَا

كَبَدَّرِ الدُّجَى إِذْ تَمَّ مِنْ شَهْرِ النِّصْفِ  
بِرَاهُ إِلَهِي لِي عَذَابًا وَفِتْنَةً      فَمَا عِنْدَهُ عَدْلٌ وَلَا عِنْدَهُ عَطْفُ

وقال آخر :

لَكَ مِنْ قَلْبِي أَلِمَكَ الْمَصُونُ  
قَدَّرَ اللَّهُ أَنْ أَكُونَ شَقِيًّا  
يَا غَزَالًا بِلَحْظِهِ يَفْتِنُ النَّاسَ  
لَكَ صَبْرٌ وَلَيْسَ لِي عَنْكَ صَبْرٌ  
قَدْ خَلَعْتُ الْعِذَارَ فِيكَ حَبِيْبِي

وقال آخر :

يَا نَظْرَةً جَاءَتْ عَلَى يَاسٍ  
أَطْرَافُهُ تُتَقَدُّ مِنْ لَيْنِهَا  
يَلُومُنِي النَّاسُ عَلَى حُبِّهِ  
مِنْ سَاحِرِ الْمَقْلَةِ مَيَّاسٍ  
وَقَلْبُهُ كَالْحَجَرِ الْقَاسِيِ  
أَعَانَنِي اللَّهُ عَلَى النَّاسِ

وقال آخر :

يَا وَيْحَ جِسْمٍ يَذُوبُ مِنْ قَلْقِهِ  
مِنْ حُبِّ ظَبْيٍ مُهْفَفٍ لَبِقٍ  
مِنْ حُبِّ مَنْ لَمْ أَقِفْ عَلَى خُلُقِهِ  
يَهْتَرُ مِثْلَ الْقَضِيبِ فِي وَرَقِهِ

لَمْ تَرَ عَيْنِي وَلَنْ تَرَى أَبَدًا      أَحْسَنَ مِنْ نَحْرِهِ وَمِنْ عُنُقِهِ  
كَأَنَّمَا الْمِسْكُ حِينَ تَسْحَقُهُ      بِمَاءٍ وَرْدٍ يَفُوحُ مِنْ عَرَفِهِ  
أَوْ خَمْرَةٌ فِي الزُّجَاجِ صَافِيَةٌ      شِيدَتْ بِمَاءِ السَّحَابِ فِي نَسَقِهِ

وقال آخر :

أَرْبَعَةٌ قَرَّحَتْ فَوَادِي      فطالَ وَجْدِي وَعَيْلَ صَبْرِي  
مُقَلَّةٌ خَشْفٍ وَقَدْ غُضِنِ      وَطَيْبُ وَرْدٍ وَحُسْنُ بَدْرِي  
نَفْسِي وَمَالِي فِدَاءَ ظَمِي      أَذَابَ جِشْمِي وَلَيْسَ يَدْرِي  
فَمَنْ لَصَبٍ أَسِيرِ شَوْقِي      قَتِيلُ صَبِّ بِسَيْفِ هَجْرِي

وقال آخر :

وَمَارِيحُ رِيحَانٍ بِمِسْكِ وَعَنْبَرٍ      يُعَلُّ بِكَافُورٍ وَدُھْنَةِ بَانٍ  
بِأَطْيَبِ مَنْ رِيَا حَبِيبِي لَوْ أَنِّي      وَجَدْتُ حَبِيبِي خَالِيًا بِمَكَانٍ

### ٣٣ - محاسن التزويج !

روي أن رجلاً أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله اني أريد أن أتزوج فادع الله أن يرزقني زوجةً سالحةً ، فقال : ( لو دعا جبريل وميكائيل وأنا معها ما تزوجت الا المرأة التي كتب الله لك فانه ينادي في السماء ألا ان امرأة فلان بن فلان فلانة بنت فلانة ) . وقال صلى الله عليه وسلم ( عليكم بالابكار فانهن أطيب أفواها وأنتق أرحاما ) . وقال عمر رضي الله عنه : عليكم بالابكار وامتعينوا بالله من شرار النساء وكونوا

من خيارهن على حذر قال الشاعر :

لَا تَنْكِحَنَّ عَجُوزًا إِنْ دُعِيتَ لَهَا      وَإِنْ مُحِبِّيتَ عَلَى تَرْوِيجِهَا الذَّهَبَا  
فَإِنْ أَتَوَكَ وَقَالُوا إِنَّهَا نَصَفٌ      فَإِنَّ أَطْيَبَ نِصْفَيْهَا الَّذِي ذَهَبَا  
وقال آخر :

عَلَيْكَ إِذَا مَا كُنْتَ لَا بُدَّ نَاكِحًا      ذَوَاتِ الثَّنَائِيَا الْغُرِّ وَالْأَعْيُنِ النَّجْلِ  
وَكُلَّ هَضِيمِ الْكَشْحِ خَفَاقَةَ الْحِشَا      فَطُوفَ الْخَطَا بِلَهَاءِ وَافِرَةِ الْعَقْلِ

وقال الحارث بن كلدة : لا تنكحوا من النساء إلا الشابة ، ولا تأكلوا من الحيوان إلا الفتي ، ولا من الفاكهة إلا النضيج . وقال مغيرة بن شعبة : حصنت تسعاً وتسعين امرأة ما أمسكت واحدة منهن على حب ولكنني أحفظها لمنصبها وولدها ، فكنت استرضيهن بالباه شاباً ، فلما أن شبت وضعفت عن الحركة استرضيتهن بالعطية . وقال بعضهم : لذة المرأة على قدر شهوتها ، وغيرتها على قدر لذتها ، وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال : ( إنما النساء لعب فاذا تزوج أحدكم فليستحسن ) . وروى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال : تزوجها سمراء ذلفاء عيناء فان فركتها فعلى صداقها . وقال الحجاج بن يوسف : من تزوج قصيرة فلم يجدها على ما يريد فعلى صداقها . وروى عن علي صلوات الله عليه أن رجلاً أتاه فقال : اني تزوجت امرأة مجنونة ، فقالت المرأة : يا امير المؤمنين انه يأخذني عند الجماع عشية ، فقال للرجل : ما أنت لها بأهل . وفي حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ( إياكم وخضراء الدمن — وهي المرأة الحسناء في المنبت السوء — ) ، وقال بعضهم : لا تتزوجن حنانة ولا ائانة ولا منانة ولا عشبة الدار ولا كبة القفا — فأما الحنانة — فالتى قد تزوجها رجل من قبل فهي تمن اليه — والائانة — التى تمن من غير علة — والمنانة — التى لها مال تمن — وعشبة الدار — الحسناء فى أصل السوء — وكبة القفا — التى اذا قام

زوجها من المجلس قال الناس فعلت امرأة هذا كذا وفعلت كذا . وقال  
محمد بن علي رضي الله عنها : اللهم ارزقني امرأة تسرني اذا نظرت ، وتطيعني  
اذ أمرت ، وتحفظني إذا غبت . وروي عن رسول الله ﷺ أنه قال : اذا  
خطب أحدكم امرأة فلا جناح عليه أن ينظر اليها وإن كانت لا تعلم ، وقال  
بعض الشعراء في تزويج الشبه :

إِذَا أَرَدْتَ حُرَّةً تَبْغِيهَا      كَرِيمَةً فَانظُرْ إِلَى أُخِيهَا  
يُنْبِيكَ عَنْهَا وَإِلَى أَبِيهَا      فَإِنَّ أَشْبَاهَ أَبِيهَا فِيهَا

وقال آخر :

إِذَا كُنْتَ مُرْتَادًا لِنَفْسِكَ أَيَّمَا      لِنَجْلِكَ فَانظُرْ مَنْ أَبُوهَا وَخَالُهَا  
فَإِنَّهَا مِنْهَا كَمَا هِيَ مِنْهُمَا      كَمَا النَّعْلُ إِنْ قَيْسَتْ بِنَعْلِ مِنْهَا

وقال آخر :

إِذَا كُنْتَ عَنْ عَيْنِ الصَّبِيَّةِ بَاحِنًا      فَأَبْصِرْ تَرَى عَيْنَ الصَّبِيِّ فَذَلِكَ

قال خالد بن صفوان لدلال : أطلب لي امرأة بكرأ أو كبر حسانا  
عند جارها ماجنة عند زوجها قد أدبها الغنى وذلها الفقر ، لا ضرة صغيرة ،  
ولا عجزاً كبيرة ، قد عاشت في نعمة وأدركتها حاجة ، لها عقل وافر ،  
وخلق طاهر ، وجمال ظاهر ، صلة الجبين ، سهلة العينين ، سوداء المقلتين ،  
خدجة الساقين ، لفاء الفخين ، نبيلة المقعد ، كريمة المحتد ، رخيمة المنطق ،  
لم يداخلها صلف ولم يشن وجهها كلف ، ويجهها أرج ، ووجهها بهج ،  
لينة الاطراف ، ثقيلة الازداف ، لونها كالرق ، ونديها كاللحى ، أعلاها عسيب ،  
وأسفلها كتيب ، لها بطن مخطف ، وخصر مرهف ، وجيد أتلع ، ولب مشبع ،  
تثنى ثني الخيزران ، وقيل ميل السكران ، حسنة المآق ، في حسن البراق ،



لا الطول أزرى بها ولا القصر قال الدلال : استفتح ابواب الجنان ، فإذك سوف تراها .  
وقال أيضاً : لا تتزوج واحدة فتحيض إذا حاضت وتنفس إذا نفست وتعود  
إذا عادت وتقرض إذا مرضت ، ولا تتزوج اثنتين فتقع فيما بين الجمرتين ،  
ولا تتزوج ثلاثا فتقع بين أثافي ، ولا تتزوج أربعة فيحقرنك ويهرمنك ويفلسنك ،  
فقال له رجل : حرمت ما أحل الله ، فقال : طمران و كوزان و رغيفان و عبادة  
الرحمن . وعن صالح بن حسان قال : رأيت امرأة بالمدينة يقال لها حواء  
وهي التي علمت نساء المدينة النقع وعر الخمر والحركة والغربة والرهز ،  
وكانت لها سقيفة تتحدث اليها رجالات قريش ولم يكن في المدينة  
أهل بيت إلا وتأخذ صديانهم وتمصم ثديها أو ثدي إحدى بناتها فكان  
أهل المدينة يسمونها حواء . ولم يكن بالمدينة شريف ممن يجلس في  
من يجلس في سقيفتها إلا واصل اليها في السنة ثلاثين وسقيا وأكثر  
من طعام وتمر مع الدنانير والدرهم والحلدم والكساء ، فبماها  
ذات يوم مصعب بن الزبير وعمرو بن سعيد بن العاص وابن عبد الرحمن  
ابن أبي بكر فقالوا لها : يا خالة قد خطبنا نساء من قريش ولنا ننتفع  
إلا بنظرك اليهن فارشدنا بفضل عدك فيهن ، فقالت لمصعب : يا ابن أبي  
عبدالله ومن خطبت ؟ قال : عائشة بنت طلحة ، قالت : فأنت يا ابن الصديق  
قال : أم القاسم بنت زكرياء بن طلحة ، قالت : أنت يا ابن أبي أحبجة  
قال : زينب بنت عمرو بن عثمان . فقالت : يا جارية علي بمقلي - تعني  
خفيها - وأنتها بها فخرجت ومعها خادم لها فأنت عائشة بنت طلحة فقالت :  
مرحبا بك يا خالة فقالت : يا بني أنا كنا في مأدبة لقريش فلم تبق امرأة  
لها جمال إلا ذكرت وذكر جمالك ، فلم أدرك كيف أصفك فتجودي لانظرك  
فألفت درعها ثم مشيت فارتج كل شيء منها ، ثم أقبلت علي مثل ذلك  
فقالت : فذاك أبي وأمي خذي ثوبيك وأنتهن جميعاً علي مثل ذلك ، ثم رجعت

الى السقيفة فقالت : يا بن ابي عبد الله ما رأيت مثل بنت طلحة عائشة  
قط بملئة التراب زجاء العينين هدبة الأشفار مخطوطة المتنين ضخمة العجيزة  
لفاء الفخذين مسرولة الساقين ، واضحة الثغر نقيّة الوجه فرعاء الشعر الا انني  
رايت خلتين هما اعيب ما رايت فيها : اما احدهما فيواربها الخف وهي  
عظم القدم ، والأخرى يواربها الحمار وهي عظم الاذن ، واما انت يا بن  
احبحة فما رايت مثل زينب بنت عمرو فراهة قط الا ان في الوجه ردة  
ولكنني مشيرة عليك بأمر تستأنس اليه وهي ملاحاة تعتز بها واما انت يا بن  
الصديق فوالله ما رايت مثل ام القاسم ما شبهتها إلا بخوط بانه تشنى او خشف  
يتقلب على رمل ولم أرها إلا فوق الرجل واذا زادت على الرجل المرأة لم  
تحسن لا والله الا من يملأ المنكبين فتزوجوهن . وقال أعرابي في أخت  
له تزوجت بغير كفؤ :

وَلَوْ رَكِبْتُ مَا حَرَّمَ اللَّهُ لَمْ يَكُنْ      بِأَقْبَحَ عِنْدَ اللَّهِ مِمَّا أُسْتَحَلَّتْ

قال : وكان بالمدينة رجل قد اعطي جرودة الرأى ولم يكن فيها من يريد  
إبرام امر الا ساورد ، فأراد رجل من قريش ان يتزوج فأتاه فقال : انا  
اريد ان اضم الي اهلا فأشر علي ، قال : افعل تحصن دينك وتغن مؤونتك  
وإيانك والجمال البارح قال : ولم نهيتني وانها هو نهاية ما يطلب الناس ؟  
قال : لانه مافاق الجمال الا لحقه قول اما سمعت قول الشاعر ؟ :

وَلَنْ تُصَادِفَ مَرَعَى مَوْثِقاً أَبْدأً      إِلَّا وَجَدْتَ بِهِ آثَارَ مَا كُولِ

قيل : وكانت جارية من بنات الملوك تكره التزويج فاجتمع عندها  
نسوة فتذاكرن التزويج وقلن لها ما يمنعك منه ؟ قالت : وما فيه من الخير ؟  
قلن : وهل لذة العيش الا في التزويج ؟ قالت فلتصف كل واحدة منكن  
ما عندها فيه من الخير حتى اسمع ؟ فقالت احدها : زوجي عوني في الشدائد  
وهو عاندي دون كل عائد ان غضبت عطف وان مرضت لطف قالت :

نعم الشيء هذا ، قالت الاخرى : زوجي لما عنائني كاف ولما اسقمني شاف  
 عرقه المسك المداف وعناقه كالخلد ولا يمل طول العهد ، قالت : هذا خير منه ،  
 قالت الاخرى : زوجي الشمار حين ابرد وانيسي حين افرد ، فتزوجت فقلن  
 لها : يا فلانة كيف رأيت ؟ قالت : انعم النعيم وسرورا لا يوصف والدة  
 ليس منها خلف

### ٣٤ - أمثال في التزويج

قيل : ان اول من قال لاهنك انقيت ولا مائك ابقيت : الضب بن  
 اروي الكلاعي ، وذلك انه خرج من ارضه فلما سار اياما حار في تلك  
 المفاوز التي تعسفها وتخلف عن اصحابه وبقي فردا يعسف فيها ثلاثة ايام حتى  
 دفع الى قوم لا يدري من هم ، فنزل عليهم وحدثهم وكان جميلا وان  
 امرأة من افاضل اولئك هويته ، فأرسلت اليه ان احطبني فخطبها ، وكانوا  
 لا يزوجون الا شاعرا او رجلا يزجر الطير او يعرف عيون النساء فسألوه  
 فلم يحسن شيئا من ذلك فلم يزوجوه ، فلما رأت اثره ذلك زوجته نفسها  
 على كره من قورها فلبث فيهم مالم يلبث ، ثم ان رجلا من العرب اغتار  
 عليهم في خيل فاستأصلهم فتطيروا بضب وأخرجوه وارأته وهي طاعت  
 فانطلقا ، واحتمل ضب شيئا من ماء وشيا يوما وليته الى الغد حتى اشتد  
 الحر وأصابها عطش شديد فقات له : ادفع الي السقاء حتى اغتسل به فانا  
 ننتهي الى الماء ونستقي فاعتسلت بها في السقاء ولم يقع منها موقعا ، وأتيا  
 العين فوجداهما ناضبة وأدركهما العطش فقال ضب : لاهنك انقيت ولا مائك  
 ابقيت ، فذهبت مثلا ثم استظلا تحت شجرة كبيرة فأنشأ ضب يقول :

تالله ما ظلة أصاب بها      سواد قلبي قارع العطب  
 ظل كئيب الفؤاد مضطربا      وتكئسي من غداثر قلب

أَنْ يَعْرِفَ الْمَاءَ تَحْتَ صَمِّ صَفَا      أَوْ يُخْبِرَ النَّاسَ مَنْطِقَ الْخُطْبِ  
أَخْرَجَنِي قَوْمُهَا بِأَنْ رَحَا      دَارَتْ بِشُؤْمٍ لَهُمْ عَلَى قُطْبِ

فلما سمعت ذلك فرحت وقالت : قم فارجع الى قومي فالك شاعر  
فانطلقا راجعين حتى انتهيا اليهم فاستقبلوهم بالسيف والعصا فقال لهم صب :  
اسمعوا شعري ثم ان بدا لكم ان تقتلوني بعد فافعلوا فتركوه فصار فيهم  
عزيراً . وقيل ان اول من قال :

\* في الصيف ضيغت اللبن \* فتول بنت عبد وكانت تحت رجل من  
قورها فطلتها وأنها رغبت في أن يراجعها فأبى عليها ، فلما يئست خطبها  
رجل يقال له : عامر بن شوذب فتزوجها فلما بني بها بدا للزوج الأول  
مراجعتها وهوى بها هوى شديداً فجاء يطلبها ويرنو بنظره اليها ففطنت  
به فقالت :

أَتَرَكْتَنِي حَتَّى إِذَا      عَلَّقْتُ أَيْضَ كَالشُّطَنِ  
أَنْشَأَتْ تَطْلُبُ وَصَلْنَا      فِي الصَّيْفِ ضَيَّعَتِ اللَّبَنَ

فذهبت مثلاً ، فقال له زوجها الأول واسمه الأشق فهل بقي شيء ؟  
قالت : نعم فاصله عن جميع مالك وطلاقي فان فصلته تزوجتك فرضي  
بذلك ، ثم راجع نفسه فقال لها ذلك فقالت : أما اذا ضمنت بمالك  
فانطلق الى مكان اذا أنت تكلمت سمع زوجي كلامي وكلامك ثم اقعد  
كانك لا تشعر به وقل :

لِحَا اللَّهِ بِنْتَ الْعَبْدِ إِنْ وَصَّالُهَا      وَصَالُ مَلُولٍ لَا تَدُومُ عَلَى بَعْلِ  
تَحَدُّنِي أَنْ سَوْفَ تَقْتُلُ عَامِرًا      لِأَنَّ لَمْ يَكُنْ فِي مَالِهِ عَامِرٌ مِثْلِي  
فَهَيْهَاتَ تَرَوِيحُ الَّتِي تَقْتُلُ الْفَتَى      إِذَا مَا أَبَتْ يَوْمًا وَإِنْ كَانَ مِنْ أَجْلِي

فَتَقْتَلَنِي يَوْمًا إِذَا هَوَيْتُ فَتَى سِوَايَ وَإِنِّي الْيَوْمَ مِنْ وَصْلِهَا مُجَلِي

فانطلق الأستق ففعل ما أمرته به فسمعه عامر فوقع في قلبه قوله ، وقد كان عرف حينها له فصدق ذلك ودخل عليها فطلقها وتزوجها الأستق . وذكروا أن بطنا من قريش اشتدت عليهم السنة ، وكان فيهم جارية يقال لها زينب من أكمل نسايتهم جمالا وأتمهن قاماً وأشرفت فرآها شاب يقال له عروة ، فوقع في قلبه فعمل يطلها ولا يقدر على أكثر من ذلك ، فاشتد وجده بها ، فلما انقضت السنة وأرادوا الرجوع الى منازلهم دعا بعض جوارى الحي فقال : يا ابنة الكرام هل لك في يد تتخذين بها عندي شكراً ؟ قالت : ما أخرجني الى ذلك ، قال : تنطلقين الى خيبة فلانة كأنك تقبسين ناراً فاذا أنت جلست فقولي حيث تسمع زينب :

أَلَا هَلْ لَنَا قَبْلَ التَّفْرِقِ لَيْلَةٌ وَيَوْمٌ فَتَقْضِي كُلُّ نَفْسٍ مَنَاهَا

فانطلقت الجارية ففعلت ذلك ، فلما سمعت زينب قولها وكانت تقني رأس زوجها وكان عنده أخ له . فقالت بحبيبة لها :

أَعْمُرِي لَمَقْدُ طَالَ الْمَقَامَةَ هَاهُنَا لَوْ أَنَّ لِحِبِّ حَاجَةً لَقَضَاهَا

فسمع أخو الزوج قول الجارية وجواب زينب فقال :

أَلَا يَعْلَمُ الزَّوْجُ الْمُفْلَى بِأَنَّهَا رِسَالَةٌ مَشْعُوفِ الْفُؤَادِ رَجَاهَا

فانتبه الزوج لأمرهم وعرف ما أرادت فقال :

لَحَى اللَّهُ مَنْ لَا يَسْتَقِيمُ بِوَدِّهِ وَمَنْ يَمْتَحِ النَّفْسَ الطَّرُوبَ هَوَاهَا

انطلقى بازينب فأنت طسائق ، فخرجت من عنده وبعثت الى عروة

وأعلمته وأقامت حتى انقضت عدتها ثم تزوجته .

### ٣٥ - في الناشرة

ذكروا أن الاخطل كانت عنده امرأة وكان بها معجباً ، فطلقها وتزوج بطلقة رجل من بني تغلب ، وكانت بالتغلي معجبة فينا هي ذات يوم جالسة مع الاخطل اذ ذكرت زوجها الاول فتنفست الصعداء ثم ذروت دموعها فعرف الاخطل ما بها فذكر امرأته الاولى وانشأ يقول :

كِلَانَا عَلَى وَجْدٍ يَبِيْتُ كَأَنَّمَا      بَجْنِيهِ مِنْ مَسِّ الْفِرَاشِ قُرُوحُ  
عَلَى زَوْجِهَا الْمَاضِي نُوْحُ وَزَوْجِهَا      عَلَى الطَّلَّةِ الْأُولَى كَذَاكَ يَنُوحُ

قيل : وخاصمت امرأة زوجها الى زياد فجعلت تعيبه وتقع فيه ، فقال الزوج : أصلح الله الأمير ان شر المرأة كبرها ان المرأة اذا كبرت عقم رحما وبداً لسانها وساء خلقها ، والرجل اذا كبر استعكم رأيه وقل جهله ، قال : صدقت وحكم له بها ، وذكروا أن امرأة أنت عبيد الله بن زياد وكانت ذات شحم وجسم وجمال مستعدية على زوجها وكان أسود دميم الخنقة فقال : ما بال هذه المرأه تشكوك ؟ قال : أصلح الله الأمير سلها عما ترى من جسمها وشحمها أمن طعامي أم من طعام غيري ؟ قالت من طعامك أفتمن علي بطعام أطمعنتيه والكلاب تأكل ؟ قال : سلها عن كسوتها من مالي هي أم من مال غيري ؟ قالت : من مالك أفتمن علي بثوب كسوتيه ، قال : وسلها عما في بطنها مني هو أم من غيري ؟ قالت منك ووددت أنه في بطني من كلب ، قال الرجل : أصلح الله الأمير فما تريد المرأة الا أن تطعم وتكسي وتنكح ، قال : صدقت فخذ بيدها . قال : خرج رجل مع قتيبة بن مسلم الى خراسان وخلف امرأة

يقال لها هند من أجل نساء زمانها فلبث هناك سنين فاشترى جارسة  
اسمها جمانة ، وكان له فرس يسميه الورد فوقعت الجارية منه موقعاً  
فأنشأ يقول :

ألا أباي اليوم ما فعلت هندُ      إذا بقيت عندي الجمانة والوردُ  
شديدُ مناطِ القصرين إذا جرى      وبيضاء مثل الرثم زينها العقدُ  
فهذا لأيام الهياج وهذه      لعاجة نفسي حين ينصرف الجندُ

فبلغ ذلك هنداً فكتبت إليه :

ألا أقره مني السلام وقل له      عنيينا بفتيات غطارفة مُردِ  
فهذا أمير المؤمنين أميرهم      سبانا وأغناكم أراذلة الجندِ  
إذا شاء منهم ناشى مد كفه      إلى كبد ملساء أو كفل نهدِ

فلما قرأ كتابها أتى به إلى قتيبة فأعطاه إياه فقال له : أبعدك الله  
هكذا يفعل بالحرة وأذن له في الانصراف . قال وسمع عمر بن الخطاب  
امرأة تنشد وتقول :

فمنهن من تُسقى بعذب مُبردٍ      تُقّاح فتلكم عند ذلك قرّتِ  
ومنهن من تُسقى بأخضر آجنٍ      أجاج فلولا خشية الله فرّتِ

فأمر باحضار زوجها فوجده متغير الفم فخيره جارية من المغنم أو  
خمسة درهم على طلاقها فاختار الخمسة فدفعته إليه وخلي سبيلها . وحكي  
عن الفضل بن الربيع أنه كان بمكة وبعه الفرج الرخبي ، وكان الفضل  
صبيحاً ظريفاً والفرج دميماً قبيحاً ، فخرجا إلى الطواف ثم انصرفا إلى بعض  
طرق مكة وقعدا يتغديان ، فبينما هما كذلك على طعامهما إذ وقفت عليها

امرأة جميلة بهية حسنة شكلة وعليها برقع فرفته عن وجهها فاذا وجهه كالدينار وذراع كالجمار ، فسلمت وقعدت وجعلت تأكل معها قال الفضل : فأعجبني ما رأيت من جمالها وهيئتها فقلت . هل لك من بعل ؟ قالت : لا ، قلت : فهل لك في بعل من أصحاب أمير المؤمنين حسن الخلق والخلق ؟ قالت : وأين هو ؟ فأشار الى فرج فقالت : جوابك عند فراغنا فلما أكلت قالت للفضل : تقرأ شيئاً من كتاب الله ؟ قال : نعم ، قالت : أفتؤمن به ؟ قال : نعم ، قالت : فان الله يقول « ومن يكن الشيطان له قريناً فساء قريناً » فضحك الفضل ودخل على الرشيد فأخبره فأمر بإحضارها ، فلما نظر اليها أعجب بها فتزوجها وحملها الى مدينة السلام . قال وحج اسماعيل بن طريح فوقفت عليه أعرابية جميلة قال : فقال لها هل لك أن تزوجيني نفسك ؟ فقالت من غير توقف :

يَكِي الْحَسْبُ الزَّكِي بَعِيْنِ غَزِيْرَةٍ      مِنْ الْحَسْبِ الْمُنْقُوصِ أَنْ يُجْمَعَا مَعَا

وانصرفت . قال العتيبي : كنت كثير التزوج فمررت بامرأة فأعجبني فأرسلت اليها ألك زوج ؟ قالت : لا ، فصرت اليها فوصفت لها نفسي وعرفتها موضعي فقالت : حسبك قد عرفناك ، فقلت لها : زوجيني نفسك ، فقالت : نعم ولكن ها هنا شيء تحمله ، قلت : وما هو ؟ قالت : بياض في مفرق رأسي ، قال : فانصرفت فصاحت بي ارجع فرجعت اليها فأسفرت عن رأسها فنظرت الى وجهه حسن وشعر أسود فقالت : انا كرهنا منك عافاك الله ما كرهت منا وأنشدت :

أَرَى شَيْبَ الرَّجَالِ مِنَ الْغَوَانِي      بِمَوْضِعِ شَيْبِهِنَّ مِنَ الرَّجَالِ

وعن عطاء بن مصعب قال : جاءت امرأة الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقالت : يا أمير المؤمنين لا أنا ولا زوجي ، فقال لها : وما لك من زوجك ؟ قالت : مر بإحضاره فأحضر ، فاذا رجل قدر الثياب قد



طال شعر جسده وأنفه ورأسه ، فأمر عمر ان يؤخذ من شعره ويدخل الحمام وبكسي ثوبين أبيضين ثم يؤتى به ففعل ذلك ، ودعا المرأة فلما رأت الزوج قالت : الآن ، فقال لها عمر : اتقي الله وأطيعي زوجك ، قالت : أفعلى يا أمير المؤمنين ، فلما ولت قال عمر : تصنعوا للنساء فانهن يحبين منكم ما تحبون منهن . ويقال : ان المرأة تحب اربعين سنة وتقوى على كتمان ذلك وتبغض يوماً واحداً فيظهر ذلك بوجهها ولسانها ،! والرجل يبغض اربعين سنة فيقوى على كتمان ذلك وان احب يوماً واحداً شهدت جوارحه .

### ٣٦ - نساء الخلفاء

علي بن محمد بن سليمان قال : أبي يقول : كان المنصور شرط لأم موسى الحميرية أن لا يتزوج عليها ولا يتسرى وكتبت عليه بذلك كتاباً أكدته وأشهدت عليه بذلك ، فبقي مدة عشر سنين في سلطانه يكتب الى الفقيه بعد الفقيه من أهل الحجاز وأهل العراق وجهد أن يفتيه واحد منهم في التزويج وابتاع السرايري فكانت أم موسى اذا علمت مكانه بادرته وارسلت اليه بمال فاذا عرض عليه أبو جعفر الكتب لم يفتيه حتى ماتت بعد عشر سنين من سلطانه ببغداد فاته وفاتها وهر بجلوان ، فأهديت اليه مائة بكر وكان المنصور أقطع أم موسى الضيعة المسماة بالرحبة فوقفتها قبل موتها على المولدات الاناث دون الذكور ، فهي وقفت عليها الى هذا الوقت . حدثنا يحيى بن الحسن عن محمد بن هشام قاضي مكة قال : كانت الخيزران لرجل من ثقيف فقالت لمولاهما الثقيفي اني رأيت رؤيا ، قال وما هي ؟ قالت : رأيت كأن القمر خرج من قبلي وكان الشمس خرجت من دوري ، قال لها : لست من جوارري مثلي أنت تلدين خليفتين : فقدم بها مكة فباعها في الرقيق فاشتريت وعرضت على المنصور فقال : من أين أنت ؟ قالت : المولد مكة

والمنشأ بجرش قال : فلك أحد ؟ قالت : مالي أحد إلا الله وما ولدت أمي  
غيري ، قال يا غلام اذهب بها الى المهدي وقل له : تصلح الولد ، فأتى بها  
المهدي فوفعت منه كل موقع فلما ولدت موسى وهرون قالت : ان لي أهل  
بيت بجرش ، قال : ومن لك ؟ قالت : لي أختان اسمها أسماء وسلسل ولي  
أم واخوان ، فكتب فأتى بهم فتزوج جعفر بن المنصور سلسل فولدت منه  
زبيدة واسمها سكينه تزوجها الرشيد وبقيت أسماء بكرها فقال المهدي للخيزران  
قد ولدت رجلين وقد بايعت لهما وما احب ان تبقين امة واحب ان اعتنقك  
وتخرجين الى مكة وتقدمين فأتزوجك ، قالت : الصواب رأيت ، فأعتقها  
وخرجت إلى مكة فتزوج المهدي أختها أسماء ومهرها الف الف درهم ، فلما  
احس بقدوم الخيزران استقبلها فقالت : ما خبر أسماء وكم وهبت لها ؟  
قال : من أسماء ؟ قالت : امرأتك ، قال : إن كانت أسماء امرأتي فهي طالق ،  
فقالت له : طلقها حين علمت بقدومي ، قال : أما اذا علمت فقد مهرتها الف  
الف درهم ووهبت لها الف الف درهم ثم تزوج الخيزران . قال : كانت نخلة  
جارية الحسين الخلال قبل أن يتولى المتوكل الخلافة تقعد بين يديه وتغنيه  
فولدت للحسين ابناً فلما ولي المتوكل الخلافة طرده ليلاً فقال له الحسين :  
زرتنا جعلت فداك ، قال استهيت أن اسمع غناء نخلة فأخرجها اليه مطبومة  
الشعر فقال : يا خلال أليس قد ولدت منك ابناً ؟ قال : بلى ، قال فأنا احب  
ان تعتقها ، قال : فانها حرة ، قال : فاشهد اني قد تزوجتها قومي يا نخلة ،  
فاشهد ذلك على الحسين فعوضه منها خمسة عشر الف دينار وحول اليه نخلة .  
قيل ووصف للمتوكل ابنة سليمان بن القاسم بن عيسى بن موسى الهادي  
وعدة من الهاشميات فحملن اليه وعرضن عليه فاخترها من بينهما وصرف  
البواقي ونزلت منه منزلة حتى ساوى بينها وبين قبيصة في المنزلة ، وكانت  
جارية لها لياقة وملاحة ووصفت له ريطة بنت العباس بن علي فحملت اليه  
فتزوجها ثم سألها أن تطم شعرها وتنسبه بالممالك فأبت عليه فأعلمها ان لم  
تفعل فارقتها فاخترت الفرقة فطلقها ، ووصفت له عائشة بنت عمرو بن الفرج

الرخيحي فوجه في جوف الليل والساء تطلن الى عمر أن احملن الي عائشة  
فأله ان يصفح عنها فانها القيمة بأمره فأبى فانصرف عمر وهو يقول : اللهم  
قني شر عبدك جعفر ثم حملها بالليل فوطئها ثم ردها الى منزل أبيها قال :  
وكان الهادي يشاور من أصحابه عبد العزيز بن موسى وعيسى بن دأب  
والعزيزي وعبد الله بن مالك فخرج ذات يوم اليهم وهو مضطرب كأنه حمل  
هائج منتفخ الأوداج منتقع اللون فأقبل حتى جلس في مجلسه وكان العزيزي  
أجرام عليه ، فقال : يا أمير المؤمنين انا نرى بوجهك ما كدر علينا عيشنا  
وبعض الدنيا الينا فان رأى أمير المؤمنين ان يجبرنا بالسب فان كان عندنا  
حيلة أعلنناه بها وان تكن مشورة أشرنا بها وان امكن احتمال النعم عنه  
وقيناه بأنفسنا وحملنا النعم عنه ، قال : فاطرق طويلًا والعزيزي قائم فقال  
له : اجلس يا عزيزي فاني لم أر كصاحب الدنيا قط أكثر آفات وأعظم  
نائبه ولا أنقص عيشا قال العزيزي : وما ذاك يا أمير المؤمنين ؟ قال : لبابة  
بنت جعفر بن أبي جعفر قد علمتم موقعها مني واثرتها عندي كلمتني بادلال  
فأغلظت فلم يكن لها عندي احتمال ولا عندها اقصار حتى وثبت عليها  
وضربتها ضربا موجعا ، قال وسكت فقال ابن دأب : يا أمير المؤمنين انك  
والله لم تأت منكرا ولا بديعا قد كان أصحاب رسول الله صلى  
الله عليه وسلم يؤدبون نساءهم ويضربونهن هذا الزبير بن العوام حوارى  
رسول الله ﷺ وابن عمته وناب على امراته اسماء بنت أبي بكر وهي  
فضل نساء أهل زمانها فضربها في شيء عتب عليها فيه ضربا مبرحا حتى  
كسر يدها وكان ذلك سب فراقها ، وذلك انها استغاثت بولدها عبد الله  
فجاء يخلصها من أبيه فقال : هي طالق ان حلت بيني وبينها ففعل وبانت  
منه ، وهذا كعب بن مالك الانصاري عتب على امراته وكانت من المهاجرات  
فضربها حتى حال بنوها بينه وبينها فقال :

فلولا بنوها حولها لخبطتها كخبطة فروج ولم أتلعنم

قال : فسرى عن موسى الغضب وطابت نفسه ودعا بالطعام فأكلنا  
وأمر له بعشرة آلاف درهم وثلاثين ثوباً فتلهفت وتعجبت عن انقطاعي عن  
الحديثين وهما في بابي وأنا اعلم بها منه .

### ٣٧ - المطلقات

قيل : كانت أم الحجاج بن يوسف الفارغة بنت همام بن عروة بن مسعود  
وكانت عند المغيرة بن شعبه فرآها يوماً تتخلل بكرة فقال : أنت طالق  
والله لئن كان هذا من غداء يوءك لقد شرهت ، وإن كان من عشاء أمسك  
لقد اتقت فقالت : لا يبعد الله غيرك والله ما هو إلا من السواك فخلف  
عليها بعده يوسف أبو الحجاج فأولدها الحجاج ، وفيها أشعار : منها

أهَاجَتِكَ الظَّعَائِنُ يَوْمَ بَانُوا	بِذِي الزِّيِّ الْجَمِيلِ مِنَ الْأَثَاثِ
ظُعَائِنُ أُسَلِّكَتْ نَقَبَ الْمُنْقَى	تَحْتُ إِذَا وَنَتْ أَيَّ أَحْتِثَاثِ
كَأَنَّ عَلَى الْخَدَائِجِ يَوْمَ بَانُوا	نِعَاجًا تَرْتَعِي بَقْلَ الْبِرَاثِ
تَوَمَّلْ أَنَّ تُلَاقِي أَهْلَ بُصْرَى	فِيَالِكَ مِنْ لِقَاءِ مُسْتَرَاثِ
تَهَيَّجْنَا الْهَمَامُ إِذَا تَدَاعَى	كَمَا سَجَعَ النَّوَائِحُ بِالْمِرَاثِ

وفي زينب أخت الحجاج يقول النميري :

وَلَمْ تَرَ عَيْنِي مِثْلَ سِرْبٍ رَأَيْتُهُ خَرَجْنَ مِنَ التَّنْعِيمِ مُعْتَمِرَاتِ  
وَلَمَّا رَأَتْ رَكْبَ النُّمَيْرِيِّ أَعْرَضَتْ

وَكُنَّ مِنْ أَنْ يَلْقَيْنَهُ حَذِرَاتِ

تَضَوِّعَ مِسْكَاً بَطْنُ نُهْمَانَ إِذْ مَشَتْ

بِهِ زَيْنَبُ فِي نِسْوَةِ عَطِرَاتِ

يُلبِّينَ للرحمنِ مؤتَجِرَاتِ

نواعمَ لا سُعْنًا ولا غَبِرَاتِ

حِجَابًا مِنَ القَسِيِّ والحِبرَاتِ

أوَانسَ بالبَطْحَاءِ مُعْتَجِرَاتِ

وَيَخْرُجْنَ بالأَسْحَارِ مُعْتَمِرَاتِ

مَرَرْنَ بِفَخٍّ ثُمَّ رُحْنِ عَشِيَّةٍ

دَعَتْ نِسْوَةَ شَمِّ العَرَانِينِ مُبَدَّنَا

فَأَذْنَيْنَ لَمَّا قَمْنَ يَخْجُبْنَ دُونَهَا

أَجَلَ الَّذِي فَوْقَ السَّمَوَاتِ عَرُشُهُ

يُغَيِّبْنَ أَطْرَافَ البَنَانِ مِنَ التُّقَى

عوانة عن محمد بن زياد عن شيخ من كندة قال : خرج الحارث بن سليل الأسدي زائراً لعلمة بن حفصة الطائي فلما قدم عليه بصر يابته له يقال لها : الزباء وكانت من اجل نساء أهل عصرها وأعجب بها فقال لأبيها : أنتك زائراً وقد ينكح الخاطب ويكرم الطالب ويفتح الراغب ، فقال : انت امرؤ كرم يقبل منك الصفر ويؤخذ منك العفر فاقم نظرك في أمرك ، ثم انكفأ إلى أهله فقال : ان الحارث بن سليل سيد قومه منصباً وحسباً وبيناً فلا ينصرفن من عنده الا بحاجته فأريدي ابنتك عن نفسها فخلت بالزباء فقالت : يابنية أي الرجال أحب اليك الكهل الجعجاع الفاضل المتاح أم الفتى الواضح ، قالت : الزمور الطماح قالت : يابنية ان الشيخ يبرك ولا يفورك وليس الكهل الفاضل الكثير الثمن كالحديث السن الكثير الضمن ، قالت : يا اماء اخشى الشيخ ان يدنس ثيابي ويشمت بي أتوابي ويبيي شبابي ، قال : فلم تزل بها أمها حتى غلبتها على رأيها فتزوجها الحارث بن سليل على خمسين ومائة من الابل وألف درهم وابنتي بها ثم رحل بها إلى قومه ، فبينما هو جالس ذات يوم وهي إلى جانبه إذ أقبل فتية من بني أسد نشاوي يقبضون ، فلما نظرت اليهم تنفت الصدء وبكت فقال : ما شأنك ؟

قالت : مالي وللشيوخ الناهضين كالفروخ قال : ثكلتك امك تجوع الحره  
ولا تأكل بثديها فذهبت مثلاً أما وأبيك لرب غارة شهدتها . وخيل وزعتها .  
وسبية أردفتها ، وخمرة شربتها إلحقي بأهلك فانت طالق وقال :

تهزأت أن رأيتني لا بساً كبيراً      وغاية الناس بين الموت والكبر  
فإن يكن قد علا رأسي وغيره      صرف الزمان وتغير من الشعر  
فقد أروح للذات الفتى جذلاً      وقد أصيد بها عيناً من البقر  
عنى اليك فاني لا توافقني

عور الكلام ولا شرب على الكدر

قال : وقال الحجاج لأبن القرية : ما تقول في التزويج ؟ قال : وجدت  
أسعد الناس في الدنيا ، وأقرهم عيناً وأطيبهم عيشاً ، وأبقاهم سروراً  
وأرخاهم بالاً وأشبههم شباباً من رزقه الله زوجة مسلمة أمينة عفيفة حسنة  
لطيفة نظيفة مطيعة ان ائتمنتها زوجها وجدها أمينة ، وان قتر عليها وجدها  
قائمة وان غاب عنها كانت له حافظة تجد زوجها أبداً ناعماً وجارها سالماً  
ومملوكها آمناً ، وصبيها طاهراً قد ستر حلهما جهلها ، وزيت دينها عقلها ،  
فتملك كالريحانة والنخلة لمن يجتنئها وكالؤلؤة التي لم تثقب والمسكة التي لم تفتق  
قوامه صوامه ضاحكة بسامة ان أسرت شكرت ، وان أسرت صبرت  
فأفلح وأنجح من رزقه الله مثل هذه ، وانما مثل المرأة السوء كاللحم الثقيل على  
الشيخ الضعيف يجره في الارض جراً فبعلها مشغول وجارها متبول وصبيها  
مرذول وقطها مهزول ، قال : يابن القرية قم الآن فاخطب لي هنداً بنت  
اسماء ولا ترد على ثلاث كلمات : فأتاهم فقال جئت من عند من تعلمون  
والامير يعطيكم ما تسألون أفتمكحون أم تدعون ؟ قالوا أنكعنا وغنمنا  
فرجع الى الحجاج فقال : أصلح الله الامير صلاح من رضي عمله ، ومدني

الخيرات أجله وبلغ به امله جمع الله شمالك ، وأدام طولك ، وأقر عينك ،  
ووقاك حينك ، وأعلى كعبك ، وذلك صعبك ، وحسن حالك على الرفاء  
والبنين والبنات والتيسير والبركة وأسعد السعود وأيمن الجدود ، وجعلها الله  
ودوداً ولوداً ، وجمع بينكما على الخير والبركة ، وتزوجها الحجاج ثم انه  
دخل ذات يوم عليها وهي تقول :

وما هندُ إلا مُهْرَةٌ عَرَبِيَّةٌ  
فإن تُتِجَتْ مُهْرًا كَرِيمًا لِحَرِيٍّ  
سَلِيلَةٌ أَفْرَاسٌ تَجَلَّلَهَا بَغْلٌ  
وَإِنْ يَكُ أَقْرَافٌ فَمَا نُجِبَ الْفَحْلُ

فخرج من عندها مفضيا ودعا ابن القرية فدفع اليه مائة الف درهم وقال  
ادخل على هند وطلقها عني ولا تؤد عني كلمتين وادفع اليها المال ، فحمل  
ابن القرية المال ودخل عليها فقال : ان الامير يقول كنت فبنت وهذه  
المائة ألف صداقك ، فقالت يا ابن القرية ما سررت به اد كان ولا جزعت  
عليه إذ بان ، وهذا المال بشارة لك لما جئنا به . وكان القول أشد على  
الحجاج من فراقها . وذكروا أن عبدالرحمن بن ابي بكر الصديق رضي  
الله عنه كانت عنده عاتكة بنت زيد بن نفيان فأحبها حباً شديداً فأمره أبوه  
بفراقها وان يطلقها تطليقة واحدة ففعلن ثم ندم على فعله فقال :

فَلَمْ أَرَ مِنْ بَنِي طَلْقِ الْيَوْمِ مِثْلَهَا  
لَهَا خُلُقٌ سَهْلٌ وَحَسَنٌ وَمَنْصِبٌ  
وَلَا مِثْلَهَا فِي غَيْرِ جُرْمٍ تُطَلَّقُ  
وَخُلُقٌ سَوِيٌّ مَا يُعَابُ وَمَنْطِقٌ  
أَعَاتِكَ قَلْبِي كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ  
إِلَيْكَ بِمَا تُخْنِي الْقُلُوبُ مُعَلَّقٌ  
أَعَاتِكَ مَا أَنْسَاكَ مَا ذَرَّ شَارِقٌ  
وَمَا لَاحَ نَجْمٌ فِي السَّمَاءِ مُحَلَّقٌ

فسمع أبو بكر ذلك فرق له وامره بمراجعتها . وعن علي بن دعبل  
قال : حدثني ابي قال خرجت وهي نمراني ونبطي الى موضع يقال له

بطيائنا من امصار دجلة متنزهين فأكلنا وشربنا ، فقال الاعرابي : قلن بيت شعر فقلت :

فَلِنَا لَزِيدَ الْعَيْشِ فِي بَطْيَائِنَا

فقال الأعرابي :

لَمَّا حَثَّنَا أَقْدَحًا ثَلَاثًا

فقال النبطي :

وَأَمْرَاتِي طَالِقٌ ثَلَاثًا

وما زال يبكي حتى الصباح فقلت له : ما يبكيك ؟ فقال ذهبت امرأتي بقافية . قال اسحاق بن ابراهيم الموصلي كنت أنا والحسين بن الضحاك يوماً عند المعتصم وحضرت فينة تعرض عليه فأعجب بها فقال للمدنيين : كيف ترونها ؟ فقال أحدهم : امرأته طالق ان كان رأى مثلها ، وقال آخر : امرأته طالق ان لم ... وسكت فقال المعتصم : ان لم ... ، قال : لا شيء ، فضحك وقال له : وبجك ما دعاك الى طلاق أهلك بلا سبب ، فقال : يا أمير المؤمنين كلنا قد طلق امرأته بلا سبب . وبما قيل في ذلك من الشعر :

رَحَلْتُ أُمِّيَّةً بِالطَّلَاقِ وَنَجَوْتُ مِنْ رِقِّ الْوِثَاقِ  
بَانَتْ فَلَمْ يَجْزَعْ لَهَا قَلْبِي وَلَمْ تَدْمَعْ مَا قِي  
لَوْ لَمْ أُرْحُ بِفِرَاقِهَا لِأُرْحَتْ نَفْسِي بِالْأَبَاقِ  
وَحَصِيْتُ نَفْسِي لَا أُرِيدُ حَلِيلَةً حَتَّى التَّلَاقِ

وقال آخر :

رَأَيْتَ أَثَانَهَا فَطَمِعْتَ فِيهَا وَقَدْ نَصَبْتَ لِمِيرِكِ بِالْأَثَانِ



فَطَلَقَهَا وَعَدَّ النَّفْسَ عَنْهَا      سَرِيعاً إِنَّ نَفْسَكَ فِي التَّوَاتِ  
وَالِإِلا فَالِسَلامُ عَلَيْكَ إِني      ساخِذُ مِنْ عَدِي لَكَ فِي المَرايِ

### ٣٨ - محاسن وفاء النساء

قال الكسروي : كتب بلاش بن فيروز الى ملك الهند بخطب ابنته فلم ينعم له ورد رسوله خائباً ، فتجشم وسار اليه في خيله ورجله ، ولما اصطفت الخيلان دعاه بلاش الى المبارزة وقال : انه عار على الملوك ان يوردوا جنودهم الهلاك ويفوزوا بأنفسهم ، فبرز اليه ملك الهند فاختلفت بينهما ضربتان ، فمنعت بلاشاً حصانة درعه وضرب بلاش الهندي على عاتقه فقطع حبله حتى انتهى السيف الى ثنودته فخر ميتاً وانهزمت خيله ، فافتتح بلاش مدينته وأمر ثقاته فأحرقوا بقصر ابنة الملك ، فلما احتوى على أهواله بعث الى ابنة الملك ان تأتيه ، فقالت للرسول وهي تبكي : قن للملك المزين بالحلم المحب في رعيته السعيد بالظفر انك قد ملكتني وصرت بمن يستحق عطفك ورافتك ، فان رأيت ان تطيب نفساً عن النظر الي حتى ترجع الى دار ملكتك وافعل ، فانصرف الرسول الى بلاش فأخبره فأجابها الى ما سألت ، وسار وحملها حتى قدم دار الملكة هيأ لها مقصورة مفردة عن سائر حرمه فأنزأها فيها وأمر لها بعتيق الديباج وفاخر الجواهر واسقاط من الذهب والصلاة والجوائز والأثاث فلم يأمر لغيرها من نساؤه ، واستأذنها في الدخول عليها وأذنت له ، ودخل عليها وأقام عندها سبعة أيام ولياليها عجباً منه بها لا يحير اليها جواباً ولا يخف عن صدر مجلسها ، فخرج من عندها اليوم الثامن وقد وقع في قلبه ما أظهرت من خفة

مجلسه عليها ولبثت أشهراً لا يدخل عليها فقالت يوماً لحاضنتها . ما أعجب  
 أمر الملك بذل دمه في طلبي حتى اذا ظفر سلا عني انطلقني حتى تسألني عن  
 عدة نسائه وأين أكرم عليه وأتيني بعلم ذلك ، فانطلقت حتى عرفت ذلك  
 وانصرفت فقالت : اني وجدت له أربعمائة امرأة ما بين أمة وحررة وليس  
 فيهن أكرم عليه من ابنة سائس من سواسه أعجبتته فتزوج بها ، فقالت :  
 انطلقني اليها واقربنيها مني السلام واعلمها اني أريد مؤاخاتها والانقطاع اليها  
 فانطلقت الحاضنة الى ابنة السائس فأبلغتها رسالة مولاتها ، فقالت لها :  
 اقربنيها مني السلام واعلمها اني قد أحببتها وأجبتها الى ما سألت فتصير الي ،  
 فانصرفت فأخبرتها بما قالت ، فتهيات بأحسن هيئة وأقبلت اليها ودخلت  
 عليها ، فرفعت مجلسها وأقبلت عليها ، فذكرت حبها لها ورغبتها في  
 مواصلتها فردت عليها ابنة السائس أحسن الرد وأعلمتها سرورها بذلك ، ثم  
 تحدثا ساعة وانصرفت وجعلت الهندية تأتيها غبا وتظهر الأنس ، فلما أنست  
 بها قالت لها : انك قد استلبت قلب الملك وقهرت جميعنا بفضلك وليس  
 لواحدة منا نصيب فاعلمينا الأمر الذي فضلتيهنا به لتزداد سروراً بما أوتيت  
 ومحبة لك والانقطاع اليك ، قالت : اني لما عرفت ضعف نسبي وقلة جمالي  
 علمت أنه لا يرجع الملك مني الى شيء أحظى به عنده مثل المؤاتاة في  
 الخلوة وان أبسطه اذا هم بالحركة وامتنيل قلبه باللطف وفضل الخدمة ،  
 فلما رأي على ذلك مستمرة ورأى من سائر نسائه أنفة الاكفاء وزهو  
 الجمال وخيلاء الملك ، وعلمت اني ان أخذت ما أخذته مع خمول نسبي  
 وقلة جمالي ودقة خطري لا يليق بي مثل الذي يليق بهن ، ففضلني على  
 جميع نسائه بذلك . فلما سمعت ابنة الملك ذلك علمت أن قلوب الرجال  
 لا تستمال إلا بالمؤاتاة وسرعة الاجابة في الباه عند المشغلة ، فعزمت أن  
 تجعل ذلك عدة لاستعطاف قلب الملك ، فانصرفت الى قصرها وقالت لبعض  
 جوارها : اذهبي الى فلانة - تعني ابنة السائس - فان رأيت الملك  
 عندها فاعلمها اني علمية من وجع عرض لي ، فانطلقت الجارية فاذا الملك

عندها ، فأخبرتها بذلك ، فرق الملك لها وذكر غربتها وقتله أباهما فقال لابنة السائس : ما ترين في أتيانها ؟ فقالت أيها الملك : إنه ليس في نسائك من لها عندي مثل منزلتها فصر إليها فانها غريبة قد فارقت أهلها وهي في موضع رحمة ، فقام الملك حتى دخل عليها وانتهى الى باب مجلسها ، فقامت اليه تمشي بأحسن هيئتها متكسرة في حليها وزينتها عبقة بطيبها وعطرها فقبات بين عينيه وأخذت بيده حتى أجلسته في صدر فراشها وجعلت تقبل يديه ورجليه ضاحكة اليه مظهرة السرور به . فجذبها الى نفسه ودعاها الى المضاجعة فاته ولم يرد في الخلوة شيئاً الا أجابته اليه ، فلما قضى حاجته نازعها الى المحادثة فقال : اين ما ذكر رسولك من وجعك ؟ قالت : يا سيدي كنت متوجعة لفراقك حتى سقاني نقاؤك ، وقلت ذلك لما نالني من تباريح الشرق البك وطول صدودك وسلوتك ، ثم أخذ معها في المداعبة ، وأقام عندها سبعة أيام فيبينا هما يتلاعبان ويتذاكران ويتعانقان اذ دخلت جارية لابنة السائس فحيت الملك بنحية الملوك ثم قالت للهندية : ان سيدتي - تعني ابنة السائس - تقول قد اجتمع فيك ثلاث خصال : الأولى العذر بعملك ، والثانية فضل تطاولك ، والثالثة كفران النعمة المنعم واني عن قريب رادتك من الملك الى غصص الغيظ . فأفحمتها وهملت عينها ونظرت الى الملك كالمستغيثة به ، فقال لها الملك : يا حبيبتي ما تنكرين من أمتك قد وهبتها لك وجميع ما تملك ، فتجلى عنها غمها فقالت لرسولتها : انطلقني اليها فاعلمها أن الملك قد وهبها وما تملك لي ، وفولي لها : أرجعك فحش نفسك الى لؤم حسبك واهمال أدبك إيتيني الساعة بصغار الذلة ورقة العبودية ، فلما أبلغتها الرسول ذلك أقبلت فدخلت عليها فحيت الملك وقامت بين يديه ، فقالت لها الهندية : ما كان أعظم زهوك في رسالتك ، قالت : يا سيدتي أناذنين لي في الكلام ؟ قالت : تكلمي قالت : أيتها السيدة لست متوجهة اليك بشيء هو أملك بك من حلك ، ولا أعطف علي من نضلك ، ولم يظلم من دفع فرقي

من هو أفضل مني ، وكل فرع يرجع الى أصله ، وكل زهر ينسب الى سنيخه ، فقالت : صدقت فدعي عنك كلام الأدب فقد ملكتك على رغم أنفك وانا زوجتك من فلان خادمي فليس لك فضل عليه ، قالت ابنة السائس : من اعتاد معالي الأمور لم تطلب نفسه بأمافلها ، ومن صاحب العظماء أبت غريزته الادنياء ، وانما ترقبت عطفك ورجوت حسن نظرك ، فأما اذا عزمت على هذا فقد طاب الموت وما الذي أستبقي منك ، ثم قالت : أيها الملك ان جذل المسرة منك لا يستقر ويقع موقعه الا بعد المخالفة عندك ، فاحترس من هذه الهندية فانها لا تؤمن عليك ، لانها ليست من جنسك فيعطفها عليك الرحم ، ولا من أهل ملكتك فتعرف تطورك عليها ، وانما هي شبيهة بموتورة قد قتلت أباهم وهدمت عزها ، فاحترس منها ولا يلهينك موقعها من قلبك ، فانها متى احتالت في قتلك لم يكن في أيدينا من الظفر الا قتلها كما كان من أمر الثعلب وعظيم الطير ، فقال الملك : وما كان من حديثها ، قالت : يقال ان ثعلباً جاع في ليلة فرقى شجرة ليأكل منها ، فسال الوادي الذي فيه تلك الشجرة بسيل شديد فاقتلعها والثعلب عليها ، ثم رفعها ووضعها حتى ألقى الثعلب الى أرض بعيدة من أرضه ، فأصبح وقد ألقاه السيل الى سفح جبل كثير الاشجار مشمر الاغصان ، وعلى تلك الاشجار جنس من الطير لا يحصى عدداً ، فألقى الى شجرة قصياً مقشعراً لا يعرف أرضه ولا يقدر على مؤلفة الدواب فمر به عظيم الطير فقال له : ما أنت ؟ فقال : أنا دابة سال بي السيل فألقاني في جبلكم وقد أصبحت غريباً ، فقال له عظيم الطير : فهل لك حرفة ؟ قال : نعم أعرف الثار اذا بلغت حد بلوغها واصنع للطير أكثافاً في الأرض تكن فيها فراخها من الحر والبرد ، فقال له عظيم الطير : قد أدركت عندنا بغيثك فأقم عندنا نواذك ونعرف حق مجاورتك ، فأقام الثعلب عند ملك الطير فكان يعرفهم الثار المدركة ويجفر هن بخاليه قبوراً في الارض يفرخن فيها ، وكان الثعلب اذا جن عليه الليل وقرم الى اللحم

أدخل يده في جحر من تلك الاججرة فاخرج طيراً أو فراخاً فأكله ودفن ريشه وجعلت الطير تنفقد ما كان يأكل واحداً بعد واحد فقال بعضها لبعض : ما فقدنا أفاضلنا الا منذ صارت هذه الدابة بين أظهرنا وما كانت هذه الطير تطيل الغيبة وما تدري ، ادهاها فقال عظيمها : ان هذا حسد منك لهذه الدابة فلا تغفلن ما أصبحتن فيه من فضل الطعام وما فيه فراخكن من هذه الاكثان التي لا يخاف عليها برد فيها ولا حر فقالت الطير : أنت سيدنا وأبصر بالامور منا ، قال : وعلي أن أقطع هذا القول وأبين حق ذلك من بطله بنفسي ، فلما أظلم الليل نزل من الشجرة فدخل بعض تلك الاكثان وأقبل الثعلب على العادة التي اعتادها الى ذلك الكن فادخل يده قبض على رأس الملك فقال الملك للثعلب : لقد نصحتني الطير لو قبات نصحتها ، قال الثعلب : أنت هو ، قال : نعم ، قال : ما ظننت أن يبلغ من حملك كل هذا ؟ قال ملك الطير : دعني أردك في منزلتك بحسب ما رأيت من فضل علمك ولطيف حيلتك ، قال له الثعلب : ان أبوي أدباني أن لا أعلق ابياني بشيء وأتركه إذ ليس من جهلك ان لا تتجزأ من الثمار ومن الاكثان بما كان آباؤك يكتفون به ولم ترض حتى اختبرت امري بنفسك ولم تجعل التفرير في ذلك بغيرك ثم أكله ودفن ريشه ، وفقدت الطير عظيمها فاستوحشت وضربت الثعلب ضرباً بخاليتها ومناقيرها حتى قتله ولم يصلح في عظيم خطر ملكهن الى اكثر من قتل الثعلب فاحترس من هذه الهندية قالت الهندية : انما تقرعين المرأة باربعة رجال بابيها واخيها وولدها وبعلمها وافضل النساء المختارة بعلمها على جميع اهلها ، والمؤثرة له على نفسها فكيف بمن ذهب ابوها واخوها فبقي بعلمها ؟ أفتعجب ان تهلكه على أن مثلك في رداة همتك وخبت نيتك مثل الغراب والحمامة ، قال الملك : وما كان من حديثهما ؟ قالت : زعموا ان غرابا الف مطبخاً لبعض الملوك . فأخذ من اطيب اللحمان التي قد صارت فيه شيئاً فظنوا ان الغراب اخذه لقله وفائه ولؤم جوهره فطردوه

عن مطبخهم وقالوا : ما نرجو من هذا الغراب وهو من الطيور التي تعاف ويتطير منها ، فأفشى ذلك الغراب امره الى حمامة قد كان بينها معرفة وفزع الى رآيها واخبرها ما كان فيه من نعيم المأكل والمشرب فقالت له الحمامة : انطلق بي حتى تربني هذا المطبخ فانطلق حتى اتى سطح المطبخ فقالت الحمامة : اني ارى هذا البيت ليس فيه موضع مدخل فاحفر لي بمنقارك قدر ما ادخل فان منقاري يضعف عن ذلك ، فحفر الغراب في سقف البيت بمنقاره حتى دخلت فيه الحمامة وتوسطت في البيت فأعجبهم حسن خلقها وصفاء لونها ، فجعل لها خازن المطبخ موضعاً نأوى اليه ، فلبثت في ذلك البيت قريرة عين ، فنادها الغراب ما هكذا قدرت فيك فقالت الحمامة : لو وفيت لك حل بي غدرك وان القوم عرفوا وفائي وحسن جوارري وعرفوا غدرك وقلة وفائك ونكت عهدك ، فهذا مثلي ومثلك يا ابنة السائس اني لو وفيت لك ارداني غدرك وقتلني مكرك ! قالت ابنة السائس : ايتها السيدة ان الذي سمعت مني كان لشدة الأنفة فأردت أن أنفي عن نفسي الذي اردت من انكاحي خاتمك فلانا ، قالت الهندية : لا بد من ذلك ، فقالت ابنة السائس : من اعتاد معالي الامور لم تطب نفسه بأسافلها ، الآن استمذبت الموت فعمدت الى سم كان معها فقذفته في فيها فخرت ميتة ووفت الهندية لزوجها فأهلجا . ومنهن شيرين امرأة ابرويز فان شيرويه بن ابرويز لما قتل أباه وتوطد له الملك بعث الى شيرين يدعوها الى نفسه فامتنعت عليه وابت ان تجيبه الى ذلك فغصبها ضياعها وعتقارها وذخائرها وأموالها وقذفها بكل فاحشة ورمها بكل مهضلة ، فلما بلغها ذلك هان عليها ما أخذه من أموالها مع ما رماها به فبعثت اليه وقالت : ايها الرجل ان لم يكن مما سألت بد فاقض لي ثلاث حوائج حتى أتابعك على ما تريد : فقال : وما هذه الحوائج ؟ قالت : أحدها أن ترد علي ضياعي وأموالي ، والثانية أن تصعد منبرك بمحضر مرازبتك وأساورتك وعظماء اهل مملكتك وتبرأ مما قذفتني به ، والثالثة ان اباك اودعني وديعة فتأمر ان يفتح لي باب الناوس

لها ومعها خاتم وفيه سم ساعة فتأثرته في فيها وعانقت قبر زوجها فهانت .

( ضده )

قيل : كان لكسرى أبرويز خال يقال له : بسطام ، فخالف على كسرى وجمع جمعا كثيرا وواقع أبرويز ، فلما اعيت ابرويز الحيلة فيه دعا بكردي أخي بهرام جور ويقال : ان كردياً كان غلاما له رباه وبلغ منه مبلغ الرجال وكان من خاصته والناصحين له فقال له : قد ترى ما نزل بنا من هذا العدو بسطام ، وقد رأيت رأيا ان طابقتني عليه رجوت الظفر ، قال كردي : وما ذاك أيها الملك أخبرني فما شيء يزيدك الله به عزاً ويزيد أعداءك به ذلا الا بادرت اليه بنصح وصدق لعظيم حقدك ووجرب طاعتك . قال له كسرى قد عرفت حال كردية أختك امرأة بسطام وجراءة قلبها وبسطام يابوي اليها كل ليلة اذا انصرف عن الحرب وأنا جاعل لها عهد الله وميثاقه وذمة أنبيائه ان هي أراحتني من بسطام واحتمالي في قتله ان أتزوجها وأجعلها سيدة نسائي وأبلغ في اكرامها والسو بها أفضل ما يبلغ ملك بامراته ، قال كردي : يا أيها الملك ما أشك في قدرتها عليه فاكتب اليها بخطك بما رأيت لأوجهه في الكتاب اليها مع امرأتي أرجية فان لها عقلا ورفقا وبصيرة فكتب كسرى بخطه « بسم الله الرحمن الرحيم » هذا كتاب لكردية بنت بهرام جستاسب كتبه لها كسرى ابرويز بن هرمز ان لك عندي عهد الله وذمته وذمة أنبيائه ورسله ان انت قتلت بسطام وأراحتيني منه ان أتزوج بك وأجعلك سيدة نسائي وأبلغ من كرامتك ما لا يبلغ ملك من الملوك لاحد ، وأشهد الله على ذلك ، وكفى بالله شهيدا وكتب كسرى بخطه وختمه بخاتمه يوم كذا من شهر كذا ، فسارت أرجية حتى دخلت عسكر بسطام كهية الزائرة لكردية بالنظر اليها وكان بينهما قرابة ، فلما جلست وسكنت دفعت اليها كتاب كسرى وقالت لها : يا بنت عم اجيبي الملك الى ما سألك واغثمي بذلك الرجوع الى وطنك فرغبت لشدة شوقها الى أهلها

فأجابتها الى ذلك وانصرفت أرجية الى عسكر كسرى وعرفت زوجها ما كان  
بينها وبين كردية فمضى كردي الى كسرى فأعلمه ، ثم ان بسطام دخل  
على كردية فأنته بعشاء فتناول منه ثم أتته بشراب فسقته وجعلت تحذثه  
وتظهر له المحبة حتى مضى ثلث الليل ، فنام بسطام ، فلما استثقل نومها  
قامت اليه كردية بسيفها فوضعتة على ثنودونه ثم انكأت فاخرجته  
من ظهره فمات ، وعمدت من ساعتها الى دواها فعملت حشما وأثقالها  
على البغال وخرجت نحو عسكر كسرى وقد كانت وجهت مع أرجية الى  
اخيها ان يجلس لها على الطريق ، فلما وافته سار معها حتى أدخلها على كسرى  
ففرح بذلك فرحا شديداً فلما أصبح أصحاب بسطام ورأوه قتيلا ولوا هارين على  
وجوههم فانصرف كسرى الى المدائن فاتخذ لكردية تاجا مكلالا بالدر وحنوف  
الجوهر وأعد لها وليمة عظيمة دعا فيها جنوده فطعموا وشربوا ، ثم دعا  
كرديا أخاها فزوجه اياها ومهرها وأعطاهما خاتما فسه من الكبريت الأحمر  
بضياء في الليلة الظلماء كما يضيء السراج ، فلما دخل بها كسرى ونظر الى  
جمالها وعقلها سر بها وأعطاهما الاموال وأقطعها الضياع واكرم اخاها كرديا  
وولاه أرض فارس وبلغ بها من رفعة اياها وتشريفه لها ما لم تبلغه امرأة  
قبلها ولا بعدها ، ثم ان كردية قالت لكسرى : يا سيدي اخرج بنا الى  
الميدان لألعب بين يديك بالكرة والصولجان فخرج معها الى الميدان وخرجت  
امراته شيرين وخواص نسائه ودعا بنجيل فأسرجت وركبت وركب هو  
وجعلت تلاعبه بالصوالج وتناولت السيف وركضت في الميدان ولعبت  
بالسيف لعبا معجبا ثم اخذت الرمح فلعبت به فقالت : شيرين : أيها الملك  
ما يؤمنك من هذه الشيطانة ، قال : هيات انها أعرف بحقنا وأشد حبا لنا  
من أن نخافها على أنفسنا ، فلما نزلت قال كسرى : لنا في كل ربع من أرباع  
ملكتنا قائد في اثني عشر الف رجل وفي قصري اثني عشر ألف امرأة ،  
وقد جعلتك قائدة عليهن ، قالت : يا سيدي ما للنساء والفروسية وانما  
علينا ان نتزين لك وتطيب ونسرك بأنفسنا وارتدت بما كان منسي



سرورك وتسليمة همومك ، فأمر كسرى بجمل طعامه وشرايه الى منزلها وبقي عندها أسبوعا لم يخرج الى الناس ولم يأذن لاحد بالدخول عليه ثم خرج من عندها الى منزل شيرين ، فأناه صياد بسكة عظيمة فأعجب بها وأمر له بأربعة آلاف درهم . فقالت له شيرين : أمرت لصياد بأربعة آلاف درهم فان أمرت بها لوجل من الوجوه قال : انما أمر لي بمثل ما أمر للصياد ، فقال : كيف أصنع وقد أمرت له ؟ قالت : اذا أتك فقل له اخبرني عن السمكة أذكر هي أم أنثى ؟ فان قال أنثى فقل : لا تقع عيني عليك حتى تأتيني بالذكر ، وان قال ذكر فقل : مثل ذلك ، فلما غدا الصياد على الملك قال له : اخبرني عن السمكة أذكر هي أم أنثى ؟ قال : بل أنثى . قال : فأنتي بذكرها . فقال عمرالله الملك انها كانت بكراً لم تتزوج بعد ، قال الملك : زه زه وأمر له بأربعة آلاف درهم وأمر أن يكتب في ديوان الحكمة : ان الغدر ومطاوعة النساء يورثان الغرم . قال : وكان الموبدان اذا دخل على كسرى قال : عشت أيها الملك بسعادة الجد ، ورزقت على أعدائك الظفر وأعطيت الخير وجنبت طاعة النساء ، ففاظ ذلك شيرين وكانت أجمل نساء عصرها وأتمن عقلا فقالت لكسرى : أيها الملك ان هذا الموبدان قد طعن في السن ولست مستغنياً عن رأيه ومشورته وقد رأيت لحاجتك اليه ان أهب له مسكدانة جاريتي وقد عرفت عقلها وجمالها فان رأيت أن تسأله قبولها فافعل ، فكلم كسرى الموبدان في ذلك ، فهش للجارية لعرفته بجهاها وفضلها فقال : قد قبلتها أيها الملك لا يثارها إبادي بأفضل جوارها ، فقالت شيرين لمسكدانة : اني اريد ان تأتي هذا الشيخ فتبدي له محاسنك وتجيدي خدمته ، فاذا هش لمضاجعتك فامتنعي عليه حتى تو كفيه وتوكييه وتعلميني الوقت الذي يتها لك ذلك حتى لا يعود أن يريد في نحية الملك . ووقيت طاعة النساء . فقالت مسكدانة : افعل يا سيدتي ، ثم انطلقت الى الشيخ فصارت عنده في داره التي يجلسها من قصر الملك فجعلت تخدمه وتبره وتظهر له

الكرامة وهي مع ذلك تبرز له محاسنها وتكشف له عن صدرها ونحرها وتبدي له ساقها وفخذها فارتاح الموبدان اليها وشرح صدره لمضاجعتها فعملت تمنع عليه فيزداد في ذلك حرصا فلما ألح عليها قالت له : ايها القاضي ما أنا بمجيبتك الى ما سألت حتى أوكفك وأركبك فان اجبتني الى ذلك صرت طوع يدك فيما تريد وتدعو اليه من مسرتك فامتنع عليها اياما وبقيت تتزين له بزئبتها وتكشف له عن محاسنها حتى عيل صبره فقال لها : اعلي ما أحببت ، فهيات له برذعة صغيرة وإكفا صغيراً وحزاما وثقرا وأقامته عربانا على أربع ووضعت على ظهره البرذعة والاكاف وجعلت الثغر تحت خصيته وهي قائمة وركبته وهي تقول : خرخر وأرسلت الى سيدتها شيرين تعلمها بذلك فقالت شيرين للملك : اصعد بنا الى ظهر بيت الموبدان لننظر من الروزنة ما يكون بينه وبين الجارية فصعدا ونظرا فاذا هي قد ركبته فوق الاكاف ، فناداه كسرى : وبجك أي شيء هذا ؟ فرفع الموبدان ، رأسه ونظر الى الروزنة ورأى الملك فقال : هو ما كنت أقول لك في اجتناب طاعة النساء ، فضحك كسرى وقال : قبحك الله من شيخ وقبح مستشيرك بعد هذا .

### حديث الزباء

ومنهن الزباء واسمها هند وملكته الشام بعد عمها الصنور ، وكان جذية الأبرش قتل عمها فبعث اليها جذية يخطبها فظهرت البشر والمرور لرسوله وكتبت اليه بالقدوم عليها لتزوجه نفسها ، فاستشار نصيحاءه فقالوا : ايها الملك ان تزوجت بها جئت ملك الشام وملك الجزيرة الى ملكك ، فاستخلف ابن اخيه عمرو بن عدي وسار في ألف فارس من خاصته فلما انتهى الى مكان يسمى بقة وهو حشد بملكته وملكته نزل في ذلك المكان واستشار أصحابه أيضاً في المصير اليها بالانصراف ، فزينوا له الامام

بها وقالوا : انك ان انصرفت من ههنا أنزله الناس منك على جبن ووهن ، فدنا منه مولي له يقال له قصير بن سعد فقال له : أيها الملك لا تقبل مجورة هؤلاء وانصرف إلى بملكك حتى يتبين لك أمرها فانها امرأة موتورة ومن شأن النساء الفدر ، فلم يحفل بقوله ومضى حتى اقتحم بملكها فقال قصير - ببة صرم الامر - ثم أرسلها مثلاً ، ولما بلغ المرأة قدومه عليها امرت جنودها فاستقبلوا الملك فقال قصير : أيها الملك اني رأيت جنودها لم يترجلوا لك كما يترجل الملوك ولست آمن عليك فاركب العصا وانج بنفسك والعصا كانت فرساً جذية لا يشق غبارها - فلم يعبا جذية بقوله وسار حتى دخل المدينة ، وامرت هند الزباء باصحابه ان ينزلوا فأنزلوا ، وأخذت منهم أسلحتهم ودوابهم وأذنت لجذية فدخل عليها وهي قصر لها ولم يكن معها في قصرها الا الجواري فأوأت اليهن بان يأخذنه واجتمعن عليه ليكتفنه فامتنع عليهن فلم يزان يضربنه بالأعمدة حتى أخذه وكتفنه ، ثم دعت بنطع وأجلسته فيه وكشفت عن عورتها فنظر جذية فاذا لها شعرة وافية فقالت : كيف ترى عروسك أشوار عروس أم ما ترى ؟ قال : أرى بظرا ناتئاً ونبأً فاشياً ولا اعلم ما وراء ذلك ، قالت : اما انه ليس من عدم المواسي ولا لفة الأواسي ولكنه شيمة من اناسي ، ثم امرت به فقطعت عروقه فجعلت دماؤه تشخب في النطع فقالت لا يحزنك ما ترى فانه دم هرافه أهله فاسلتها مثلاً ، واحتمال قصير للعصا حتى وصل اليها وركبها ثم دفعها فجعلت تموي به كأنها الريح وكان المسكان الذي فصد فيه جذية مشرباً على الطريق ، فنظر جذية اليه وقد دفع الفرس فقال : لله حزم على رأس العصا فلم تزل دماؤه تشخب حتى مات ، ثم امرت باصحابه فقتلوا باجمعهم وكان عمرو بن عدي يركب كل يوم من الحيرة فيأتي طريق الشام يتجسس عن خبره وحاله فلم يبالغ احد خبره ، فبينما هو ذات يوم في ذلك إذ نظر الى فرس يقبل على الطريق ، فلما دنا منه عرف الفرس وقال : يا خير ما جاءت به العصا نذهبت مثلاً فلما دنا منه

قصير قال له : ما وراءك ؟ قال : قتل خالك وبنوده جميعاً فأطلب  
بشارك ، قال : وكيف لي بها وهي امنع من عقاب الجو ؟ فذهبت  
مثلاً ، ثم ان قصيرا امر بانف نفسه فجدع ، ثم ركب وسار نحو الزباء  
فاستأذن عليها فقيل لها : ان مولى جذية وقهرمانه واكرم الناس عليه قد  
أتاك مجدوعاً فاذنت له فدخل عليها قالت : من صنع بك هذا ؟ قال : ايتها  
الملكة هذا فعل عمرو بن عدي اتهمني ونجني علي الذنوب وزعم اني أشرت  
علي خاله بالمصير اليك حتى فعل بي ما تريد ولم آمنه أن يقتلني فخرجت  
هارباً اليك وقد أتيتك لا كون معك وفي خدمتك ولي جداء وعندني غناء ،  
قالت : نعم أقم فعندي لك ما تحب وولته نفقتها فيخف لها ورأت منه  
الرشاقة فيما اسندته اليه ، فاقام عندها حولا ثم قال لها : ايتها الملكة ان  
لي بالعراق مالا كثيراً فاذا أذنت لي في الخروج لعله فافعلي فدفعت اليه مالا  
كثيراً وامرته ان يشتري لها ثياباً من الحز والوشي والآلء وياقوتاً ومسكاً  
وعنبراً والنجوجا فانطلق حتى اتى عمراً فاخبره فاخذ منه ضعفي ماله وانصرف  
نحوها فاسترخصت ما جاء به وردته الثانية والثالثة فكان ياخذ في كل مرة  
مثل اضعاف ماله فيشتري لها جميع ما تريد فتسترخصه ووقع قصير بقلبهـا  
فاستخلفته ثم بعثته في الدفعة الرابعة بال عظيم وامرته ان يشتري اثاثاً وممتعاً  
وفرشاً وآنية فانطلق الى عمرو فقال قد قضيت ما علي وبقي ما عليك ، فقال  
وما الذي تريد ؟ قال : اخرج معي في الفتي فارس من خدمك وكونوا في  
أجواف الجواليق على كل بعير رجلان فانتخب عمرو الفتي فارس من اصحابه  
فخرج وخرجوا معه في الجواليق كل رجل بسيف وكان يسير النهار فاذا  
امسى الليل فتح الجواليق ليخرجوا ويطعموا ويشربوا ويقضوا حوائجهم حتى  
اذا كان بينه وبين مدينتها مقدار ميل تقدم قصير حتى دخل عليها وقال :  
أيتها الملكة اصعدي علي القصر لتنظري ما أتيتك به فصعدت فنظرت الي  
نقل الاحمال على الجمال فقالت :

مَا لِلْجِهَالِ مَشِيئًا وَبَيْدًا      أَجْنَدَلًا يَحْمِلْنَ أُمَّ حَدِيدًا

## أم صَرَفَانًا بَارِدًا شَدِيدًا

فأجابها قصير سرّاً وقال :

## بلِ الرِّجَالِ جُثَمًا قُعودًا

فقال : لما عليها من المتاع الثقيل النفيس فأمرت بالأحمال فادخلت قصرها وكان وقت المساء فقالت إذا كان غداً نظرننا الى ما أنبتنا به ، فلما جن عليهم الليل فتحوا الجواليق وخرجوا فقتلوا جميع من في القصر ، وكان لها سرب قد أعدته للفرع والهرب ان حل بها روع تخرج الى الصحراء ، وقد كان قصير عرف ذلك المكان ووصفه لعمره ، فبادر عمرو الى السراب فاستقبلته الزبابة فولت هاربة نحو السرب ، فاستقبلها بالسيف فبصت ففصها وكان مسموماً وقالت : بيدي لا بيدك باعمرو ولا بيدي العبد ، فقال عمرو يده ويدي سواء ، وفي كليهما شفاء وضربها بسيفه حتى قتلها ، واقبل قصير حتى وقف عليها فجعل يدخل سيفه في فرجها ويقول :

## ولو رأوني وسيئني يومٍ أدخِلُهُ في جوفِ زبابةٍ ماتوا كلُّهم فرحاً

وغنم عمرو واصحابه من مدينتها اموالاً بجليلة وانصرفوا الى الحيرة ، فكان الملك بعد خاله جذيمة ، وعمرو هذا هو جد النعمان بن المنذر بن عمرو بن عدي . ومنهن صاحبة الجعد بن الحسين أبي صخر بن الجعد ، وكان جعد قد طعن في السن ، وكان يكنى أب الصوت ، وكانت له وليدة سوداء فقالت يا أبا الصوت زعم بنوك ان يقتلوني اذا انت مت قال : ولم ذلك ؟ قالت : مالي اليهم ذنب غير حبك فاعتقتني ، فأعتقها فبقيت يسيراً ثم قالت : يا أبا الصوت هذا عرابة من أهل عدن يخطبني ، قال : ما كان هذا ظني بك ، قالت : انها أريد ماله لك ، فقال : اثني به فجاءت به فزوجها منه فولدت منه وقربته من مال جعد ، وكانت تأتي الجعد ، فتخضب

رأسه ثم قطعته فقال الجمد :

أبلغُ لَدَيْكَ بنِي عَمْرٍ مُغْلَغَلَةً      عَوْفًا وَعَمْرًا فَمَا قَوْلِي بِرُدُودِ  
بأنَّ بَيْتِي أَمْسَى فَوْقَ دَاهِيَةِ      سَوْدَاءٍ قَدْ وَعَدْتُ نِي شَرَّ مَوْعُودِ  
تُعْطَى عُرَابَةً بِالْكَفِينِ مُخْتَضِبًا      مِنْ الْخَلُوقِ وَتُعْطِينِي عَلَى الْعُودِ  
أَمْسَى عُرَابَةٌ ذَا مَالٍ وَذَا وَلَدٍ      مِنْ مَالٍ جَعْدٍ وَجَعْدٌ غَيْرُ مُحَمَّدِ

ومنهن امرأة مروان بن الحكم ، وكانت ام خالد بن يزيد بن معاوية وهي ابنة هشام بن عتبة فأراد مروان الخروج الى مصر فقال لخالد : أعزني سلاحك وأعاره ، فلما رجع قال له خالد : رد علي سلاحي ، فابى عليه وكان مروان فحاشاً فقال له : يا ابن الربوخ الرطبة ، فجاء خالد الى امه فقال : هذا ما صنعت بي سبني على رؤوس الملأوقال لي كيت وكيت فقالت : اسكت فاني اكفيك امره ، فجاء مروان فرقد عندها فامرت جواريتها فطرحن عليه الشوادكين - يعني الملاحف - ثم غططنه حتى قتلته وخرجن يصحن : وا أمير المؤمنيناه ، فدعا عبد الله بامرأة أبيه ليقتلها فقالت : ان الذي يبقى عليك من العار أعظم من قتل ابيك ، قال : وما ذاك ؟ قالت : يقول الناس ان أباك قتلته امرأة ، فامسك عنها :

### ٣٨ - محاسن مكر النساء

ذكروا ان الحجاج بن يوسف أرق ذات ليلة فبعث الى ابن القرية فقال : فقال : أرقت فحدثني حديثاً يقصر على طول ليلي ولكن من مكر النساء وفعالهن ، فقال أصلح الله الأمير ذكروا أن رجلاً يقال له عمرو بن عامر من أهل البصرة كان معروفاً بالنسك والسخاء ، وكانت له زوجة يقال لها جميلة ، وله صديق من النساء فاستودعه عمرو ألف دينار وقال : ان حدثت

بي حادثة ورأيت أهلي محتاجين فاعطهم هذا المال فعاش ما عاش ثم دعي فأجاب ، فمكثت جميلة بعده حيناً ثم ساءت حالها وأمرت خادمتها يوماً ببيع خاتمها لغداء يوم أو عشاء ليلة فبينما الخادمة تعرض الخاتم على البيع إذ لقيها الناسك صديق عمرو فقال : فلانة ؟ قالت : نعم ، قال : حاجتك ؟ فأخبرته بسوء الحال وما اضطرت إليه مولانها من بيع خاتمها ، فهات عيناه دموعاً ثم قال : ان لعمرو قبلي ألف دينار فاعلمي بذلك صاحبك ، فاقبلت الجارية ضاحكة مستبشرة وهي تقول : رزق حلال عاجل من كد مولاي الكريم الفاضل ؛ فلما سمعت مولانها ذلك سألتها عن القصة فأخبرتها فخرت ساجدة ، وحمدت ربها وبعثت بالجارية الى الناسك ، فأقبل الناسك ومعه المال ، فلما دخل الدار كره أن يدفع المال الى أحد سواها ، فخرجت فلما نظر الى جمالها وكلها أخذت بجامع قلبه وقارقه النهي وذهب عنه الحياء وأنشأ يقول :

قَدْ سَلَبْتَ الْجِسْمَ وَالْقَلْبَ مَعًا      وَبَرَيْتِ الْعَظْمَ مِمَّا تَلْحَظِينَ  
فَارْدُدِي قَلْبَ عَمِيدٍ وَاقْبَلِي      صِلَةَ الضَّعِيفِينَ مِمَّا تَرْجَبِينَ

فأطرفت جميلة لقوله طويلاً ثم قالت : ويحك ألسنت المعروف بالنسك المنسوب الى الورع ؟ قال : بلى ولكن نور وجهك سل جسيمي فتداركيني بكلمة تقيمين بها أودي فهذا مقام اللائذ بك ! قالت : أيها المرأئي المخادع أخرج عني مذموماً مدحوراً فخرج عنها وقد هام قلبه ، وأضحت جميلة تعمل الحيلة في استخراج حقها ، فانت الملك ترفع اليه ظلامتها فلم تصل اليه ، فانت الحاجب فشكت اليه فاعجب بها اعجاباً شديداً وقال : ان لوجهك صورة أذفعبها عن هذا ولا يجمل بمثلك الخصومة فهل لك في ضعفي مالك في ستر ورفق ؟ فقالت : سوءة لامرأة حرة تميل الى ربيبة ، فانصرفت الى صاحب الشرطة فانتهت ظلامتها اليه فاعجب بها وقال : ان حاجتك على الناسك

لا تقبل الا بشاهدين عدلين : وانا مشتر خصومتك ان انت نزلت عند مسرتي ، فانصرفت عنه الى القاضي فشكت اليه فاخذت بقلبه وكاد القاضي يحن إعجاباً بها وقال : يا فرة العين انه لا يزهد في أمثالك فهل لك في في مواصلي وغناء الدهر ؟ فانصرفت وباتت تحتال في استخراج حقها ، فبعثت الجارية الى نجار فعمل لها تابوتا بثلاثة أبواب : كل منها مفرد ، ثم بعثت الجارية الى الحاجب أن يأتيها اذا أصبح ، وإلى صاحب الشرطة أن يأتيها ضحوة ، وإلى القاضي أن يأتيها اذا تعالي النهار ، وإلى الناصك ان يأتيها اذا انتصف النهار ، فأتاها الحاجب فأقبلت عليه نحدته فما فرغت من حديثها حتى قالت لها الجارية : صاحب الشرطة بالبواب فقالت للعاجب ليس في البيت ملجأ الا هذا التابوت فادخل أي بيت شئت منه فدخل الحاجب بيتاً من التابوت فأقبلت عليه : ودخل صاحب الشرطة ، فأقبلت جميلة عليه تضحكه وتلاطفه فما كان بأسرع من ان قالت الجارية القاضي بالبواب ، فقال صاحب الشرطة : اين أختبيء ؟ فقالت لا ملجأ الا هذا التابوت وفيه بيتان فادخل أيها شئت ، فدخل فأقبلت عليه ، فلما دخل القاضي قالت : مرحبا واهلا واقبلت عليه بالترحيب والتلطيف فبينما هي كذلك اذ قالت الجارية : الناصك بالبواب ، فقال القاضي : ماذا ترى في رده ؟ فقالت : مالي الى رده سبيل قال : فكيف الحيلة ؟ قالت : اني مدخلتك هذا التابوت ومخاصمته فاشهد لي بما تسمع واحكم بيني وبينه بالحق قال : نعم فدخل البيت الثالث فأقبلت عليه ، ودخل الناصك فقالت له مرحبا بالزائر الجاني كيف بدا لك في زيارتنا ؟ قال : شوقا الى رؤيتك وحنينا الى قربك قالت : فالمال ما تقول فيه ؟ اشهد الله على نفسك برده اتبع رأيك قال : اللهم إني أشهدك أن لجملة عندي ألف دينار وديعة زوجها ، فلما سمعت ذلك هتفت بجارتها وخرجت مبادرة نحو باب الملك فانبت ظلامتها اليه ، فارسل الملك الى الحاجب وصاحب الشرطة والقاضي فلم يقدر على واحد منهم ، ففعد لها وسألها البينة فقالت : يشهد لي تابوت



عندي فضحك الملك وقال : يحتمل ذلك لجمالك ، فبعث بالعجلة فوضع  
التابوت فيها وحمل الى بين يدي الملك ، فقامت وضربت بيدها الى التابوت  
وقالت : أعطي الله عهداً لتنطقن بالحق ، وتشهدن بما سمعت ، أو  
لأضرمك نارا ، فاذا ثلاثة أصوات من جوف التابوت تشهد علي اقوار  
الناسك بلحمة بالف دينار : فكبر ذلك على الملك ، فقالت جميلة : لم أجد  
في المملكة قرما أو في ولا أفوم بالحق من هؤلاء الثلاثة فأشهدتهم على  
غريمي ، ثم فتحت التابوت وأخرجت ثلاثة النفر وسألها الملك عن قصتها  
فاخبرته وأخذت حقها من الناسك ، فقال الحجاج : لله درها ما أحسن  
ما احتالت لاستخراج حقها . قال : وكان يعقوب بن يحيى المدائني ويحيى  
الكتاب كاتب سهل بن رستم يتحدثان الى مهدية جارية سليمان بن الساحر  
فقال يعقوب يوما ليحيى أنا أستهي ان أرى بطن مهدية ، فقال يحيى : ما  
تجعل لي ان أنا احتلت لك بحمة حتى تراه ؟ قال : ما شئت قال : برذونك  
هذا قال : نعم ، قال : فتوثق منه ، وأتى مهدية فقال لها : كان لي برذون  
موانق فاره فنفق وانت لو شئت لملتني على برذون فاره ، قالت : انا افعل  
واشتريه لك بها بلغ الثمن ، قال : انت فادرة عليه بغير الثمن ، قالت :  
كيف ذلك ؟ فاخبرها بالقصة فقالت : قد حملك الله على البرذون واربحك  
النظر الى بطن حسن ، فاذا كان غداً فتعال انت ويعقوب فاجلسا ، فان  
سليمان يعبث بوصيفته فلانة كثيرا ، فاذا فعل ذلك وجئت انا فقل : انت  
يا مهدية لو علمت ما صنع فلان لقتلته ، قال : نعم ، فلما جاءت مهدية ،  
قال لها : ان امر سليمان مع وصيفته اشنع بما تقدرينه ، فوثبت مستشيطة  
غضباً وقالت : مثلك يابن الساحر يفعل هذا مرة بعد اخرى ، وشقت  
جيبها الى ان جاوزت اسفل البطن وهي قائمة ، فنظر الى بطنها فتأملناها  
ساعة وهي تشتم ابن الساحر ، فقام اليها يترضاها ويسكنها ويعقوب يقول

وابرذوثاه فاخذه منه يحيى . وعن المساور قال : كان عندنا بالاهواز رجل متأهل وكانت له ارض بالبصرة وكان في السنة يأتيها مرة او مرتين فتزوج بها امرأة ليس لها الا عم في الدار ، وكان يكثر الانحدار بعد ذلك الى البصرة فانكرت الأهوازية حاله فدمت من يعرف خبره ، ثم احتالت وبعثت من اورد خطأ لعم المرأة البصرية وسألت من كتبت كتابا من عم البصرية الى زوجها على خطأ بان ابنة أخيه توفيت ويسأله القدوم لأخذ ما خلفت ودست الكتاب مع انسان شبيه بالملاح ، فلما أتى بالكتاب خرج اليه فدفع الكتاب ولم يشك ان امرأته البصرية ماتت فقال لامرأته اجعلي لي سفرة ، قالت : ولم ؟ قال : اريد الخروج الى البصرة ، قالت وكم هذه البصرة ؟ قد رابني امرك : وما اشك ان هناك لك امرأة : فانكر ذلك ، فقالت : ان كنت صادقاً فأحلف بطلاق كل امرأة لك غيري ، فقال في نفسه : تلك قد ماتت ، وليس علي أن احلف بطلاقها فأرضى هذه ، فحلف لها بطلاق كل امرأة له سوى الأهوازية ، فقالت الاهوازية : يا جارية هات السفرة فقد أغناه الله عن الخروج ، قال ، وما ذلك ؟ قالت : قد طلقت الفاسقة ، وقصت عليه القصة ، فعرف مكرها وأقام .

### ٣٩ - مساوي مكر النساء

وذكروا أن لقمان بن عاد صاحب ليد خرج بجول في قبائل العرب فنزل بجي من العماليق ، فبينما هو كذلك اذ ظعن القوم فظعن معهم فسمع بامرأة تقول لزوجها : فلان لو حملت سفطي هذا حتى تجاوز به الثانية فان فيه من متاع النساء ما لا يد له من منه ، وان البعير يقع فيتكسر وذلك من لقمان بنظرو ومسمع يقال : انفل ، فاحتمله على عاتقه فلما انحدرو وجد بللا في صدره فشمه فاذا هو ربيع بول قد جاء من السفط الذي على رأسه ففتح

السفط فاذا هو بسلام قد خرج منه يعدو ، فلما نظر لقمان قال : يا إحدى بنات طبق - وبنات الطبق أن تأتي الحية السحفاة فتلتوي عليها فتبيض بيضة واحدة فتخرج منها حية شراً أو نحوه لا تضرب شيئاً الا أهلكته - فتبعه لقمان حتى لحقه ، فجاء به بحماه واجتمع الناس اليه وقالوا : يا لقمان احكم فيما ترى فقال : ردوا الغلام في السفط يكون ، مشوى حتى يرى ويعلم أن العقاب فيما أتى وتحمله المرأة بفعلها حملوها ما حملت زوجها ثم شدوا عليها فان ذلك جزاء مثلها فعمدوا الى الغلام فشدوه في السفط ثم شدوه في عنق المرأة ثم تركوها حتى ماتا ثم فارقهم لقمان ، فأتى قبيلة أخرى فنزل بهم ، فبينما هو كذلك اذ بصر بامرأة قد قامت عن بنات لها فسألت احدهن أين تذهين ؟ قالت : الى الخلاء ثم خرجت الى بيوت الحبي فعارضها رجل فمضيا جميعاً ولقمان ينظر ، فرقع الرجل عليها وقضى حاجته منها فقالت المرأة : هل لك أن أتاوت على أهلي فانما هو ثلاثة أيام أكون في رجمي ثم تجيء ، فتستخرجني فنتمتع فقال الرجل : انعلي ، وكان اسمه الخبي وزوج المرأة اسمه الشجي فقال لقمان - ويل للشجي من الخبي - فذهبت مثلاً فلم تلبث المرأة الا ايام حتى تماوتت على أهلها وكان الميت منهم اذا مات تجعل فوقه الحجارة ولم تكن اذ ذاك قبور ، فلما كان اليوم الثالث جاءها خليلها فأخرجها وانطلق بها الى منزله وتحول الحبي من ذلك المكان وخافت المرأة أن تعرف فجزت شعرها وتركت لنفسها حمة ، فبيناهم كذلك اذ خرج بنات المرأة فاذا هن بامرأة جالسة ذات حمة ، فقالت الصغرى : أمي والله قالت الوسطى : صدقت والله قالت المرأة كذبتا ما أنا لكما بأم ، قالت الكبرى ، صدقت والله لقد دفنا أمنا غير ذات حمة ما كان لأمنا الالة ، قالت الصغرى ، هبك أنكزمت اعلاها أما تعرفين أخراها فتعلقت به فقالت : صفراهن صراهن فذهبت مثلاً ، واجتمع الناس وجاء زوج المرأة فارتفعوا الى لقمان فقالوا احكم بيننا ، فقال لقمان : \* عند جهينة الخبر اليقين \* فذهبت مثلاً وكان يلقب بجهينة فقال لقمان للمرأة : أحبرك أم تخبريني؟

قالت بل قل ، قال : انك قلت لهذا اني مماوتة على أهلي فاذا دفنوني في رجمي جئت فاستخرجتني وأنكر لهم فلا يعرفونني فنتنعم ما بقينا ، فاعترفت المرأة فقيل للقيان : احكم بيننا ، قال ارجوها كما رجعت نفسها ، فحفر لها حفرة وألقوها فيها ورجوها ، وكانت أول مرجومة في العرب ، ثم ان زوجها تعلق بالخلي فقال : يا لقيان هذا فراق بيني وبين أهلي فقال لقيان : لكل ذكر أنثى ولكل أول آخر فرق بينك وبين أشاك ، ونفرك بين ذكره وبين أنثيه فقطع ذكره فمات

#### ٤٠ - محاسن الغيرة

روى انه إذا أغبر الرجل في أهله او في بعض مناكحه او مملوكته فلم يغر بعث الله جل اسمه اليه طيراً يقال له : القرقنة حتى يسقط على عارضة بابه ، ثم ينهله أربعين صباحاً يهتف به : إن الله غيور يحب كل غيور ، فان هو تغير وأنكر ذلك والاطار حتى يسقط على رأسه فيخفق بجناحيه على عينيه ثم يطير عنه ، فيتزع الله منه روح الايمان ، وتسميه الملائكة الديوث . وقال النبي صلى الله عليه وسلم ( باعدوا بين أنفاس الرجال والنساء فان كانت المعايبة واللقاء كان الداء الذي لا دواء له ) وروى ان امرأة ذات عقل ورأي حملت من فاجر فقيل لها في ذلك فقالت : قرب الوساد وطول السهاد - تريد قرب مضجعه منها وطول مسارته اياها - وقال صلى الله عليه وسلم ( النساء حباثل الشيطان ) ، وقال سعيد بن مسلم : لأن يرى حرمتي ألف رجل على حال تكشف وهي لا تراهم أحب إلي من أن ترى حرمتي رجلاً مواجهة وقيل لعقيل بن علفة ألا تزوج بناتك ؟ فقال : أجميعن فلا يأشرن واعرين فلا يظهرن ، فوافق احدي كلمته قول النبي صلى الله عليه وسلم : ( الصوم وجاء السيئة ) ، والأخرى قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه : استعينوا عليهن بالعري . وغاية اموال الرجال وكسبهم وهمهم وما يملكون إنما

هو مصروف الى النساء ، فلو لم يكن الا ما يعد لهن من الطيب والحلي والكساء والفرش والآنية كان في ذلك ما كفى ، ولو لم يكن الا الاهتمام بالحفظ والحراسة وخوف العار من خيانتهم والجنابة عليهم لكان في ذلك الثونية العظيمة والمشقة الشديدة غير أن أولي الاشياء بالرجال حفظهن وحراستهن ، فليس شيء لهن أصلح من مباعدهن عن الرجال وقمعهن بالعري والجوع ، ومن حق الملوك أن لا يرفع أحد من خاصتها وبطنتها رأسه الى حرمة لها صغرت أم كبرت ، فكم من فيل وطىء هامة عظيم وبطنه حتى بدت أمعاؤه ؟ وكم من شريف وعزيز قوم قد مزقته السباع ونهشته ؟ وكم من جارية كريمة على قومها عزيزة في أهلها وقد أكلها حيتان البحر وطير الماء ؟ وكم من جمجمة كانت تصان وتعل بالملك والبان قد أقيت بالعراء وغيبت جثتها في الثرى بسبب الحرم والخدم والعلمان ، ولم يأت الشيطان أحداً قط ممن باب حتى يراه بحيث من يهوى مستقيم اللحم والأعضاء هو أبلغ ممن مكيدته وأخرى ان يرى فيه أمنية من هذا الباب اذ كانت من أطف مكايده وأدق وساوسه وأجل تزايدنه . وقيل لابنة الحس لم زيت بعبدك ولم تزن بجر ؟ قالت : طول السهاد وقرب الوساد . وقيل : لو أن أفبح الناس وجها ، وأنتهم رائحة ، وأظهرهم فقراً وأسقطهم نفساً ، وأوضعهم حسبا قال لامرأة تمكن من كلامها وممكنه من سمها : والله يا مولاتي لقد أسهرت ليلي ، وأرقت عيني ، وشغلتنى عن مهم أمري ، فما اعقل أهلا ولا ولداً ولو كانت ابرع الناس جهالا ، وأكملهم كمالا ، وألمحهم ملاحه ، وان كانت عينه تدمع بذلك ، ثم كانت تكون مثل أم الدرداء ، أو معاذة العدوية ، أو رابعة القيسية لمالت اليه وأحبته . ومنها قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه اضربوهن بالعري ، فان النساء يخرجن الى الأعراس ، ويقمن في المناحات ، ويظهرن في الاعياد ، ومتى كثر خروجهن لم يعد بد أن يرين من هو شكلهن ولو كان يعلمن أتم حسنا وأحسن وجها والذي رأته أنقص حسنا ، ولكان ما لا تملكه أظرف عندها بما تملكه ، والكان

ما لم تملكه أو تستكثر منه أشد لها اشتغالا واجتذابا قال الشاعر :

وَلِلْعَيْنِ مَلْهَىٰ بِالنِّسَاءِ وَلَمْ يُقْدُ

هُوَ النَّفْسِ شَيْءٌ كَأَقْتِيَادِ الطَّرَائِفِ

وكانت الأكسرة إذا امتنعت الخاصة من أصحابها وخف الواحد عنهم على قلب الملك ، وكان الرجل عالماً بالحكمة موضعاً للامانة في الدماء والفروج والأموال على ظاهره ، فيأمره أن يتحول إلى منزله ، وان تفرغ اليه حجرة ، وان لا يتحول اليه بامرأة ولا جارية ولا حرمة ويقول له : أريد بك الانس في ليلي ونهاري ، وكان معك بعض حرمك قطعك عني اجعل منصرفك إلى منزلك في كل خمس ليال ، فاذا تحول الرجل أنس به وبخلا معه وكان آخر من ينصرف من عنده فيتركه على هذه الحالة أشهراً . امتحن ابرويز رجلاً من خاصته بهذه المحنة ثم دس اليه جارية من بعض جواربه ووجه معها اليه بالطف وهدايا ، وامرها ان لا تقعد عنده في اول مرة فأنته بالطف الملك وقامت بين يديه ، ولم تلبث أن انصرفت حتى إذا كانت المرة الثانية أمرها ان تقعد هنيئة وان تبدي عن محاسنها حتى يتأملها ففعلت ، ولاحظها الرجل وتأملها ، وجعل الرجل يجد النظر اليها ويسر بمحادثتها ، ومن شأن النفس أن تطلب بعد ذلك الغرض من هذه المطايبه ، فلما أبدى ما عنده قالت : اخاف ان يعثر علينا ولكن دعني حتى أدبر في هذا ما يتم به الأمر بيننا ، ثم انصرفت فأخبرت الملك بذلك وبكل شيء جرى بينها ، فلما كانت المرة الثالثة أمرها ان تطيل القعود عنده وان تحدثه وان أرادها على الزيادة في المحادثة أجابته اليه ففعلت ، ووجه اليه أخرى من خواص جواربه وثقاتهن بالطفه وهداياه فلما جاءت قال لها : ما فعلت فلانة ؟ قالت : اعتلت فاربد لون الرجل ، ثم لم تطل القعود عنده كما فعلت الاولى ، ثم عاودته فقعدت

أكثر من المقدار الاول وأبدت بعض محاسنها حتى تأملها ، وعاودته في المرة الثالثة وأطالت القعود والمضاحكة والمهازلة فدعاها الى ما في تركيب النفس من الشهوة فقالت : انا من الملك على خطأ بسيرة ومعها في دار واحدة ، ولكن الملك يمضي بعد ثلاث الى بستانه الذي بموضع كذا فيقيم هناك ، فان أرادك على الذهاب معه فأظهر أنك عليل وتعارض ، فان خيرك بين الأنصراف الى نسائك أو المقام ههنا فاختر المقام وأخبره أنك لا تقدر على الحركة ، فان أجابك الى ذلك جئت من أول الليل فأكون معك الى آخره ، فسكن الرقيع الى قولها ، وانصرفت الجارية فأخبرت الملك بكل ما دار بينهما ، فلما كان الوقت الذي وعدته أن يخرج الملك فيه دعاه الملك فقال للرسول : أخبره أني عليل ، فلما جاءه الرسول وأخبره تبسم وقال هذا أول الشر ، فوجه اليه محفة يحمل فيها فأتاه وهو معصب ، فلما بصر به قال : والمحفة الشر الثاني فيبين العصابة فقال : والعصابة الشر الثالث ، فلما دنا من الملك سجد فقال له : متى حدثت بك هذه العلة ؟ قال هذه اللبنة قال : فأي الامرين أحب اليك الانصراف الى نسائك لتريضك أم المقام ههنا لوقت رجوعي ؟ قال المقام ههنا أيها الملك أوفق لقلّة الحركة ، فتبسم أبرويز وقال حركتك ههنا ان تركت اكثر من حركتك في منزلك ، ثم أمر له بعض الزناة التي كانت يوسم بها من زني فأيقن الرجل بالشر وأمر أن يكتب مسا كان من أمره حرفاً حرفاً فيقرأ على الناس إذا حضروا ، وان ينفي الى اقصى ملكته ، وتجعل العصا في رأس رمح يكون معه حيث كان ليعذر من يعرفه منه ، فلما خرج الرجل من المدائن متوجهاً به نحو فارس أخذ مدينة كانت مع بعض الموكلين به فجببها ذكره وقال : من اطاع عضواً صغيراً من اعضائه أفسد عليه جميع اعضائه فبات من ساعته . وفيها يذكر عن أنوشروان انه اتهم رجلاً من خاصته في بعض حرمه فلم يدر كيف يقتله ؟ لا هو وجد أمراً ظاهراً يحكم بثله الحاكم فيسفك به دمه ، ولا قدر على

كشفت ذنبه لما في ذلك من الهوان على الملك والمملكة ، ولا وجد عذراً  
لنفسه في قتله غيلة اذ لم يكن في شرائع دينهم ووراثه سلفهم فدعا الرجل  
بعد جنايته بسنة في خلوة فقال : قد حزبني أمر من أسرار ملك الروم وبني  
حاجة الى علمها . وما أجدني اسكن الى أحد سكوني اليك اذ حلت من  
قلبي المحل الذي انت به ، وقد رأيت ان تحمل لي مالا الى هناك للتجارة  
وتدخل بلاد الروم فتقيم بها ، فاذا بعث ما معك حملت بما في بلادهم من تجارتهم  
واقبلت الي وفي خلال ذلك تصغي الى اخبارهم وتطلع الي ما بنا الحاجة  
الى معرفته من امورهم واسرارهم فقل : افعل ايها الملك وارجو  
ان ابلغ في ذلك محبة الملك ورضاه فأمر له بال وتجهز الرجل وخرج  
بتجارته ، فأقام في بلاد الروم حتى باع واشترى ، وفهم من  
كلامهم ولغاتهم ما عرف به مخاطباتهم وبعض اسرار ملكهم ،  
وانصرف الى أنوشروان بذلك فأراه الايثار به وزاد في بزه ورده الى  
بلادهم وامره بانقام والتربص بتجارته ، ففعل حتى عرف واستفاض  
ذكره فلم تزل تلك حاله مت سنين ، حتى اذا كانت السنة السابعة امر الملك  
ان تصور صورة الرجل في جام من جاماته التي يشرب فيها ، وتجعل صورته  
بازاء صورة انوشروان ، ويجعل مخاطباً لأنوشروان ومشيراً عليه واليه ،  
ويدي رأسه من رأس الملك في تلك الصورة كأنه يساره ثم وهب ذلك الجلام  
لبعض خدمه وقال : ان الماوك يرغبون في مثل هذا الجلام ، فاذا اردت بيعه  
فادفعه الى فلان اذا خرج نحو بلاد الروم بتجارته وقل له : يبيعه من  
الملك نفسه فانه ينفعك ، فان لم يمكنه بيعه من الملك باعه من وزيره او  
بعض خاصته فجاء غلام الملك بالجلام وقد وضع الرجل رجلاه في الركاب  
فسأله ان يبيع جامه من الملك وان يتخذ عنده بذلك بدا وكان الملك يمز ذلك  
الغلام ، وكان من خاصة غلمانه وصاحب شرابه فأجابه الى ذلك ، وامر  
بدفع الجلام الى صاحب خزانته وقال : احفظه ، فاذا صرت الى باب الملك  
فليكن بما اعرضه عليه ، فلما صار الى باب الملك دفع صاحب الخزانة اليه



الجام فعرضه على الملك فيما عرض عليه ، فلما وقع الجام في يد الملك نظر اليه ونظر الى صورة أنوشروان فيه والى صورة الرجل وتركيبه عضواً عضواً وجارحة جارحة فقال للرجل : أخبرني هل يصور مع صورة الملك رجل خسيس ؟ قال : لا قال : فهل تصور في آنية الملك صورة لا أصل لها ولا علة؟ قال : لا قال : فهل في دار الملك اثنان يتشابهان في صورة واحدة حتى يكون هذا كأنه ذلك في الصورة وكلاهما نديبا الملك؟ قال : لا أعرفه قال له : قم قائماً فقام فوجد صورته في الجام فقال له أدبر فأدبر ، فتأمل صورته في الجام فوجدتهما بحكاية واحدة ، فضحك ولم يجسر الرجل أن يسأله عن سبب ضحكته اجلالاً له واعظاماً فقال ملك الروم : الشاة أعقل من الانسان اذ كانت تخفي مديتها وتدفنها وإنما أهديت الينا مديتك بيدك فقال للرجل تغديت ؟ قال لا : قال قربوا له طعاماً قال : أيها الملك أنا عبد والعبد لا يأكل بحضرة الملك قال الملك : أنت عبد ما دمت عند ملك الروم مطلعاً على أموره متنبئاً لأسراره ملك اذا قدمت بلاد فارس ونديم ملكها أطعموه أطعم وسقى الخمر حتى اذا نزل قال من سير ملوكنا ان لا نقتل الجاسوس الا في أعلى موضع نقدر عليه ولا نقتله جائعاً ولا عطشاً فأمر به فأصعد الى سطح كان يشرف منه على كل من كان في المدينة اذا صعد فضربت عنقه هناك ، وأقيمت جثته من ذلك السطح ، ونصب رأسه للناس ، فلما بلغ ذلك كسرى أمر صاحب الجرس ان يضرب بأجراس الذهب ويمر على دور نساء الملك وجواربه ويقول : كل نفس ذائقة الموت كل أحد اذا وجب عليه القتل ففي الارض يقتل الامن تعرض لحرمة الملك فانه يقتل في السماء ، فلم يدر أحد من اهل المملكة ما أراد به حتى مات .

( ومثله من أخبار العرب ) ذكروا أنه كان لطيم وجديس ملك يقال يقال له عمليق ظلم غشوم ، وكانت لائزف جارية الى زوجها إلا بدوه بها فافترعها ورددها الى بعلها ، ثم أن رجلاً من جديس تزوج غفيرة بنت غنار عظيم جديس ورئيسها ، فلما أرادوا أن يهدوها اليه بدوها بها عمليق

فادخلوها عليه .هما و القيان يتفننن ويضربن بالدفوف ويقلن :

إِبْدِي بِعَمَلِيْقَ وَمَعَهُ فَارَكِي      وَبَادِرِي الصُّبْحَ بِأَمْرِ مُعْجِبِ  
فَسَوْفَ تَلْقَيْنَ الَّذِي لَمْ تَطْلُبِي      وَلَمْ يَكُنْ مِنْ دُونِهِ مِنْ مَذْهَبِ

فجعلت تقول وهي تزف :

مَا أَحَدٌ أَذَلُّ مِنْ جَدِيسِ      أَهْكَذَا يُفْعَلُ بِالْعُرُوسِ  
يَرْضَى بِهَذَا يَا لِقَوْمِي حُرٌّ      مِنْ بَعْدِ مَا أَهْدَى وَسِيقَ الْمَهْرُ؟  
لَأَنْ يُبْلَا فِي الْمَرْءِ مَوْتُ نَفْسِهِ      خَيْرٌ لَهُ مِنْ فِعْلِ ذَا بَعْرُسِهِ

فلما دخلت عليه افترعها ، ثم خلى سبيلها فخرجت ووقفت على أخيها  
الاسود بن غفار وهو قاعد في نادي قومه وقد رفعت ثوبها عن عورتها  
وأنشأت تقول :

أَيُصْلِحُ مَا يُؤْتِي إِلَى فِتْيَاتِكُمْ      وَأَنْتُمْ رِجَالٌ كَثْرَةٌ عَدَدَ الرَّمْلِ  
وَتَرْضَوْنَ هَذَا يَا لِقَوْمِي لِأَخْتِكُمْ      عَشِيَّةَ زُفْتٍ فِي النَّسَاءِ إِلَى الْبَعْلِ  
فَإِنْ أَنْتُمْ لَمْ تَنْضَبُوا بَعْدَ هَذِهِ      فَكُونُوا نِسَاءً فِي الْمَنَازِلِ وَالْحُجُلِ  
وَدُونِكُمْ طَيْبِ النَّسَاءِ وَإِنَّمَا      خُلِقْتُمْ جَمِيعًا لِلتَّرْزِينِ وَالْكُخْلِ  
فَلَوْ أَنَّ كُنَّا رِجَالًا وَكُنْتُمْ      نِسَاءً لَكُنَّا لَا نُقِيمُ عَلَى دَحْلِ  
فُقْبَحًا لِمَعْلٍ لَيْسَ فِيهِ حَمِيَّةٌ      وَيَخْتَالُ يَمْشِي بَيْنَنَا مَشِيَّةَ الْفَحْلِ

فموتوا كراماً أو أصيبوا عدوكم

بِدَاهِيَّةٍ تُورِي ضَرَامًا مِنَ الْجَزْلِ

وإِلَّا فَخَلُّوا دَارَكُمْ وَرَحِّلُوا إِلَى بَلَدٍ قَفْرٍ خَلَاءَ مِنَ الْأَهْلِ  
 وَلَا تَخْرُجُوا لِلْحَرْبِ بِأَقْوَمِ إِنَّهَا تَقُومُ بِأَقْوَامٍ شِدَادٍ عَلَى رَجُلٍ  
 فِيهِلِكُ فِيهَا كُلُّ وَغْدٍ مُوَاعِلٍ وَيَسْلَمُ فِيهَا ذُو الطَّعَانِ وَذُو الْقَتْلِ  
 فَلَمَّا سَمِعَتْ جَدِيسٌ شَعْرَهَا أَنْتَتِ انْفَأً شَدِيداً وَأَخَذَتْهُمُ الْحِمْيَةَ فَتَأَمَّرُوا بَيْنَهُمْ  
 وَعَزَمُوا عَلَى اغْتِيَالِ الْمَلِكِ وَجُنُودِهِ فَقَالُوا : إِنْ نَحْنُ بَادِهْنَاهُمْ بِالْحَرْبِ لَمْ نَقْرَ  
 عَلَيْهِمْ لِكثْرَةِ جُنْدِهِمْ وَأَنْصَارِهِمْ فَانْفَقُوا عَلَى ذَلِكَ ، ثُمَّ إِنَّ الْأَسْوَدَ أَتَى الْمَلِكَ  
 فَقَالَ : إِنِّي أَحِبُّ أَنْ تَجْعَلَ غَدَاكَ عِنْدِي أَنْتَ وَجُنُودُكَ ، فَقَالَ عَمَلِيْقُ : إِنْ  
 عَدَدَ الْقَوْمِ كَثِيرٌ وَأَحْسَبُ أَنَّ الْبُيُوتَ لَا نَسْعُهُمْ فَقَالَ الْأَسْوَدُ : فَخَرِّجْ لَهُمُ  
 الطَّعَامَ إِلَى بَطْنِ الْوَادِي فَقَالَ لِقَوْمِهِ : إِذَا اسْتَفْلَى الْقَوْمُ بِالْأَكْلِ فَسَلِّوْهَا  
 سِوْفَكُمْ وَاعْمَلُوا عَلَى أَنْ تَحْمِلُوا حِمْلَةَ رَجُلٍ وَاحِدٍ وَاقْتُلُوهُمْ عَنْ آخِرِهِمْ ،  
 وَهِيَ الْأَسْوَدُ مَا أَحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنَ الطَّعَامِ ، وَجَاءَ الْمَلِكُ فَلَمَّا أَكْبَدَ الْقَوْمُ عَلَى  
 الْأَكْلِ بَادَرَتْ جَدِيسٌ إِلَى سِوْفِهِمْ ، ثُمَّ حَمَلَتْ عَلَى الْمَلِكِ وَعَلَى جُنُودِهِ وَالْأَسْوَدَ  
 يَرْجُزُ وَيَقُولُ :

يَا صُبْحَةَ يَا صُبْحَةَ الْعَرُوسِ حَتَّى تَمَشَّتْ بِدَمِ جَدِيسِ

يَا طَسْمُ مَا لَقَيْتِ مِنْ جَدِيسِ هَلَكْتَ يَا طَسْمُ فَهَيْسِي هَيْسِي

فَقَتَلُوهُ وَجُنُودَهُ جَمِيعاً . وَمِثْلُهُ الْفَطْبِيُّونَ مَلِكُ تِهَامَةَ وَالْحِجَازِ ، فَانَه سَلَكَ  
 مَسَلَكَ عَمَلِيْقُ فِي مَلِكِ طَسْمِ وَجَدِيسِ فِي أَمْرِ النِّسَاءِ ، فَأَمَرَ أَنْ لَا تَزُفَ مِنَ  
 الْيَهُودِ فِي مَمْلَكَتِهِ امْرَأَةٌ إِلَّا بَدَّوهُ بِهَا فَلَبِثَتْ عَلَى ذَلِكَ عِدَّةَ أَحْوَالٍ حَتَّى زَوَّجَتْ  
 امْرَأَةً مِنَ الْيَهُودِ مِنْ ابْنِ عَمِّ لَهَا ، وَكَانَتْ ذَاتَ جَمَالٍ رَائِعَةٍ ، وَكَانَتْ أُخْتُ  
 مَالِكِ بْنِ عَجْلَانَ مِنَ الرِّضَاعَةِ ، فَلَمَّا أَرَادَ أَنْ يَدَّوْهَا إِلَى زَوْجِهَا خَرَجَتْ إِلَى  
 نَادِي الْأَوْسِ وَالخَزْرَجِ رَافِعَةً ثَوْبَهَا إِلَى سِرْتِهَا ، فَقَامَ إِلَيْهَا مَالِكُ بْنُ الْعَجْلَانَ  
 فَقَالَ : وَيْحَكَ وَمَا دَهَاكَ ؟ فَقَالَتْ : وَمَا يَكُونُ مِنَ الدَّاهِيَةِ اعْظُمُ مِنْ

ان ينطلق بي الى غير بعلي بعد ساعة ، فأنف من ذلك أنفا شديداً فدعا  
 بيزة امرأة فلبسها ، فلما انطلقوا بالمرأة الى الفطيون صار كواحدة من  
 نساها اللواتي ينطلقن بها متشبهاً بامرأة ، وقد اعد مسكينا في خفه ، فلما  
 دخلت المرأة على الفطيون مال مالك الى خزانة في ذلك البيت فدخلها  
 فلما خرج النساء ودخلت المرأة قام اليها ليفترعها فخرج اليه مالك بالسكين  
 فوجاه فقتله ثم قال لليهود : دونكم جنوده فاقتلوهم فاجتمعت عليهم  
 فقتلوهم عن آخرهم .

[ ومنه أخبار وأمثال ] ذكروا أن أول من قال ( العجب كل  
 العجب بين جمادي ورجب ) عاصم بن المقشعر الضبي ، وذلك الخنيفة بن  
 خشرم كان أغبر أهل زمانه وأشجعهم ، وكان لعاصم أخ يقال له عبيدة  
 عزيز في قومه فهوي امرأة كانت تأتي الخنيفة فبلغ الخنيفة ذلك فتواعدته  
 عبيدة وركب الخنيفة فرسه وأخذ رمحاً وانطلق يتربص عبيدة حتى وقف  
 على مره فأقبل عبيدة وقد قضى من المرأة وطراً وهو يقول :

ألا ان الخنيفة فاعلموه      كما سماه والده لعين  
 بهيم اللون محقر ضئيل      لئيمات خلائقه ضنين  
 أيوعدني الخنيفة من بعيد      ولما يلق ما أبضه الوتين  
 لهوت بجارتيه وحاد عني      ويؤمن أنه أنف شفون

فعارضه الخنيفة وهو يقول :

أيا بن المقشعر لقيت لينا      له في جوف أيكته عرين  
 تقول له صددت حذار حين      وأنتك نشو أبطال مبین  
 وأنتك قد لهوت بجارتينا      فهاك عبيد لافاك القرين

سَتَعَلَّمُ أَيُّنَا أَحْمَى ذِمَاراً      إِذَا قَصُرَتْ شِهَالِكَ وَالْيَمِينُ  
لَهَوْتَ بِهَا لَقَدْ أَبَدْتَ قَبْرًا      وَبَاكِئَةً عَلَيْكَ لَهَا رَفِينُ

فقال عبيدة أذكرك الله وحرمة خشرم فقال والله لأقتلنك فقتله ، فلما بلغ أخاه عاصماً خرج إليه ولبس أطهاراً وركب فرسه وكان في آخر يوم من جمادى ، فأقبل يبادر دخول رجب لأنهم كانوا لا يقتلون في رجب أحداً ، فانطلق حتى وقف بباب خنيفس ليلاً وقال : أجب المرهوق قال : وما ذاك ؟ قال : العجب كل العجب بين جمادى ورجب ، واني رجل من ضبة غصب أخ لي امرأة فخرج يستنقذها فقتل وقد عجزت عن قاتله ، فخرج الخنيفس مغضباً وأخذ ربحه وركب معه ، فلما نحن به عن قومه دنا منه فقتعه بالسيف فأبان رأسه . ويقال ان أول من قال ( سبق السيف العدل ) ضمض ابن عمرو اللخمي كان يروى امرأة فطلبها بكل حيلة فأبت عليه وطلبها عزيز بن عبيد بن ضمضة فأنته وتأبت على ضمض ، وكان ضمض من أشد قوميه بأساً فاغتناظ لذلك ليلة وهو متقلد سيفه حتى صار بمكان يراهما اذا اجتمعا ولا يريانه ، فلما نام الناس وطال هدو ضمض اذا العزيز قد أقبل على فرسه وهو يقول :

أمامَ تَوَلَّيْنِي وَتَأْبَى بِنَفْسِهَا      عَلَى ضَمْضٍ تَعْسًا وَرَغْمًا لَضَمْضٍ

وضمض يسمع فتزل وربط فرسه وشى الى ناحية خباياها فصدح صدوح الهام وكان آية ما بينهما ، فخرجت اليه فعانقها وضمض ينظر ثم واقعها ، فلما رآها شى اليها بالسيف وهو يقول :

سَتَعَلَّمُ أَنِي لَسْتُ أُعْشِقُ مُبِغِضًا      فَكَانَ بِنَاعِهَا وَعَنْكَ عَزَاءُ

وقته ، فعلم القوم بضمض فأخذوه . فلما أصبح أبرز الى النادي

ليقتل ، فجمعوا يلومونه على قتله ابن عمه فقال : سبق السيف العدل . ويقال ان أول من قال ( خير قليل وفضحت نفسي ) فائزة امرأة مرة الاسدي ، وكانت من أجل النساء في زمانها ، وكان زوجها غاب عنها أعواما فهويت عبدا له حبشيا يرضى ابلها فامرته ان يحضر مضجعا وكان زوجها منصورفا قد نزل تلك الليلة منها على مسيرة يوم ، فبينما هو يطعم ومعه أصحابه اذ نطق غراب فأخبره ان امرأته لم تعهر قط ولا تعهر الا تلك الليلة ، فركب فرسه ومر مسرعا وهو يرجو ان هو منعها تلك الليلة امنها فيما بقي فاتهى اليها حين قام العبد عنها وزدمت وهي تقول : خير قليل وفضحت نفسي ، فسمعها زوجها وهو يرعد لما به من الغيظ فقالت له : ما يربعدك فقال يعلها أنه قد علم : خير قليل وفضحت نفسي ، فشمت شهقة خرت ميتة ، فقتل زوجها العبد وجعل يقول :

لَعَمْرُكَ مَا تَعْتَادُنِي مِنْكَ لَوْعَةٌ  
وَلَا أَنَا مِنْ وَجْدٍ بِذِكْرِكَ أُسْهَدُ

قيل : وكانت هند بنت عتبة تحت الفاكه بن المغيرة المخزومي ، وكانت الفاكه من فتيان قريش ، وكان له بيت ضيافة يفساه الناس من غير إذن ، فخلا ذلك البيت يوما فضجع الفاكه ، وهند فيه ، فخرج الفاكه لبعض حوائجه وأقبل رجل من كان يغشى ذلك البيت فوجه ، فلما رأى المرأة ولى هاربا فرآه الفاكه وهو خارج من البيت فاقبل الى هند فضرها برجله وقال : من هذا الرجل الذي خرج من عندك ؟ قالت : ما رأيت أحدا ولا انتهت حتى نيهتني فقال لها : الحقى بأهلك فتكلم الناس فيها فقال لها ابوها يا بنية ان الناس قد أكثروا فيك فاصدقيني ، فان كان الرجل في قوله صادقا سببت له من يقتله فتقطع عنك القالة ، وان كان كاذبا حاكمته الى بعض كهان اليمن فعلفت له بما يخلفون به في الجاهلية انه لكاذب فقال عتبة للفاكه : يا هذا انك قد زويت ابنتي بأمر عظيم فدحاكمني الى بعض كهان اليمن ، فخرج عتبة في جماعة من بني عبد مناف وخرج فاكه في جماعة من بني مخزوم ، وأخرجوا

معهم هنذا ونسوة معها ، فلما شارفوا البلاد قالوا : غدا نود على الكاهن  
فتغير لون هند فقال لها ابوها : اني اري ما بك فهلا كان هذا قبل خروجنا  
قالت لا والله يا ابتاه ما ذاك لكروه ، ولكن منأني بشرا بخطيء  
ويصيب فلا تأمن ان يسومني بما يكون فيه سبة على باقي عمري قال :  
اني سوف اختبره قبل ان ينظر في أمرك فأخذ حبة من حنطة فأدخلها في  
إحليل فرسه وأوكى عليها بسير ، فلما دخلوا على الكاهن قال له عتبه ما  
كان مني في طريقي قال : ثمرة في كمره قال : أحتاج الى ابن من هذا  
قال : حبة بر في إحليل مهر قال : صدقت ، فما بال حال هؤلاء النسوة؟  
فجعل يدنو من إحداهن فيضرب بمنكبها حتى أتى الى هند فضرب بمنكبها  
وقال : انهضي غير رجاء ولا فاحشة ولتدين ملكا يقال له معاوية ،  
فوثب اليها الفاكه فأخذ بيدها فتزعت يدها من يده وقالت : اليك عني !  
والله لأجهدن ان يكون ذلك من غيوك : فتزوجها أبو سفيان بن حرب  
فجاءت بمعاوية . قيل وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يعس بنفسه فسمع  
امراة تقول :

أَلَا سَبِيلٌ إِلَى خَيْرٍ فَأَشْرَبَهَا      أُمُّ هَلْ سَبِيلٌ إِلَى نَصْرِ بْنِ حَبَّاجٍ  
إِلَى فِتْيَ مَا جَدِ الْأَخْلَاقِ ذِي كَرَمٍ      سَهْلٌ الْحَيَا كَرِيمٍ غَيْرِ مِلْجَاجٍ

فقال عمر : أما ما دام عمر إماماً فلا ، فلما أصبح قال : علي ينصر بن  
الحجاج فأتى به فاذا هو رجل جميل ، فقال : اخرج من المدينة ، قال :  
ولم وما ذنبي ؟ قال : اخرج فوالله ما تساكنني ، فخرج حتى أتى البصرة  
وكتب إلى عمر رضي الله عنه :

لَعَمْرِي لَنْ سَيَّرْتَنِي وَحَرَمْتَنِي      وَلَمْ آتِ اثْمًا إِلَّا ذَا الْحَرَامِ  
وَمَالِي ذَنْبٌ غَيْرَ ظَنِّ ظَنَنْتَهُ      وَبَعْضُ تَصَادِيقِ الظُّنُونِ إِثَامٌ

وإِنْ غَنَّتِ الذَّلْفَاءُ يَوْمًا بِمُنِيَّةٍ      فبِعَضِّ أُمَانِي النَّسَاءِ غَرَامُ  
 فَظُنُّ بِي الظَّنِّ الَّذِي لَوْ أَتَيْتُهُ      لَمَا كَانَ لِي فِي الصَّالِحِينَ مُقَامُ  
 وَيَمْنَعُنِي مِمَّا تَمَنَّتْ حَفِيطِي      وَأَبَاءُ صِدْقٍ سَالِفُونَ كِرَامُ  
 وَيَمْنَعُهَا مِمَّا تَمَنَّتْ صَلَاتُهَا      وَبَيْتٌ لَهَا فِي قَوْمِهَا وَصِيَامُ  
 فَهَذَا نَحَالَانَا فَهَلْ أَنْتَ مُرْجَعِي

فَقَدْ جُبَّ مِنِّي غَارِبٌ وَسَنَامُ

قال : فرده عمر بعد ذلك لما وصف من عفته . ويروى أيضاً أن عمر ابن الخطاب رضي الله عنه كان يعس بالمدينة ذات ليلة إذ سمع امرأة تهتف وتقول :

تَطَاوَلَ هَذَا اللَّيْلُ وَأَسْوَدَ جَانِبُهُ      وَأَرْقَنِي إِذْ لَا خَلِيلَ الْأَعْبُهُ  
 فَوَاللَّهِ لَوْ لَا اللَّهُ لَا رَبَّ غَيْرُهُ      لَزُعْرِعَ مِنْ هَذَا السَّرِيرِ جَوَانِبُهُ  
 وَلَكِنَّ رَبِّي وَالْحَيَاءُ يَكْفِينِي      وَأَكْرِمُ بَعْلِي إِنْ تَوَطَّأَ مَرَاكِبُهُ

قال : فرجع عمر الى منزله فسأل عن المرأة فاذا زوجها غائب فسأل ابنته حفصة كم تصبر المرأة عن الرجل ؟ فسكتت واستحييت وأطرفت فقال : أربعة أشهر خمسة أشهر ستة أشهر ؟ فرفعت طرفها تعلم أنها لا تصبر أكثر من ستة أشهر ، فكتب الى صاحب الجيش أن يقفل من الغزو الرجال إذا أتت ستة أشهر إلى أهاليهم . وغزا رجل من الانصار وله جار يهودي فأتى امرأته واستلقى ذات ليلة على ظهره وأنشأ يقول :

وَأَشَعَّتْ غَرَّةُ الْإِسْلَامِ مِنِّي      خَلَوْتُ بِعِرْسِهِ لَيْلَ التَّامِ



أَيُّتُ عَلَى تَرَائِبِهَا وَيُضْحِي عَلَى جَرْدَاءٍ لِأَحْقَةِ الْحِزَامِ

فسمع ذلك جار له فضربه بالسيف حتى قطعه ، فبلغ ذلك عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال : أنشد الله رجلا كان عنده من هذا علم الا قام . فقام الرجل فحدثه ، فقال : أحسنت أحسنت ، وتمام الايات :

كَأَنَّ مَجَامِعَ الزُّبَلَاتِ مِنْهَا فِتْنَامٌ قَدْ جُمِعْنَ إِلَى فِتْنَامِ

[ ومنه اخبار العرب ] قيل : لما خرج امرؤ القيس بن جحدر الى قيصر ملك الروم لیسأله النصره على بني اسد لقتلهم اياه جحدر بن الحارث راسل بنت قيصر ، وأراد أن يجتدعها عن نفسها وبلغ ذلك قيصر وأراد أن يقتله فتقدم من ذلك وأمر بقميص قميص في السم وقال لامرئ القيس : البس هذا القميص فاني أحببت ان اوترك به على نفسي لحسنه وبهائه فعمل السم فد جسمه وكثرت فيه القروح فمات منها فسمي ذا القروح ، وقد كان قيل لقيصر قبل ذلك انه هجاه فمنداها يقول :

ظَلَمْتُ لَهُ نَفْسِي بِأَنْ جِئْتُ رَاغِبًا إِلَيْهِ وَقَدْ سِيرْتُ فِيهِ الْقَوَافِيَا  
فَإِنَّ أُمَّكَ مَظْلُومًا فَقَدِمًا ظَلَمْتُهُ وَبِالصَّاعِ يُجْزَى مِثْلَ مَا قَدْ جَزَانِيَا

قيل : وكان النابغة يشب بالمجردة امرأة النعمان بن المنذر وكانت أكل أهل عصرها جمالا فبلغ ذلك النعمان فهم يقتل النابغة فهرب منه وسار حتى أتى الشام والملك بها جيلة بن الأيهم الغساني ، فنزل عليه وأقام عنده ، وكتب الى النعمان :

حَلَفْتُ وَلَمْ أَتْرُكْ لِنَفْسِكَ رِيْبَةً وَلَيْسَ وَرَاءَ اللَّهِ لِلْمَرْءِ مَذْهَبٌ

لئن كنت قد بلغت عني خيانهً لمبلغك الواشي أغش وأكذبُ

قيل . وكانت امرأة شداد أبي عنتره ذكرت له أن عنتره أرادها عن نفسها فاخذه أبوه فضربه ضرب الناف ، فقامت المرأة فألقت نفسها عليه لما رأت ما به من الجراحات وبكته وكان اسمها صميه فقال عنتره :

أمن سميّة دمع العين مذرُوفُ  
لو كان ذا منك قبل اليوم مذرُوفُ  
كأنها يوم صدت ما تكلمنا  
ظي بعسفان ساجي العين مطرُوفُ  
قامت تجلّني لما هوى قبلي  
كأنها صنم يعتاد مفكُوفُ  
المال مالكم والعبد عبدكم  
فهل عذابك عني اليوم مضرُوفُ

قيل . ولما أنشد عبد الحجاج عمر بن الخطاب رضي الله عنه قصيدته التي يقول فيها :

توسدني كفاً وتنضي بمعصم  
عليّ وتحو رجلها من ورائيا  
فما زال بُردِي طيباً من ثيابها  
إلى الحول حتى أنهب البردُ باليا  
وهبت لنا ريح الشمال بقوة  
ولا بُرد إلا درعها وردائيا  
أميلُ بها ميل الرديف وأتقي  
بها الريح والشفان من عن شماليا  
رأت قتباً رثاً وأخلاق شملة  
وأسود مما يابس الناس عاريا  
تجمعن شتى من ثلاث وأربع  
وواحدة حتى كمن ثائيا  
سأيتي وسلمى والرباب وترُّبها  
وأزوى وربايا وألني وقطاميا  
وأقبان من أقصى البلاد بعدني  
الأ إنما بعض العوائد دائيا

قال عمر رضى الله عنه أنت مقتول فلما قال :

وَلَقَدْ تَحَدَّرَ مِنْ كَرِيمَةٍ مَعَشَرٍ عَرَقَ عَلَى مَتْنِ الْفِرَاشِ وَطِيبُ

وجدوه شارباً ثلثاً فعرضوا عليه نسوة حتى مرت به التي يطلبونها فأهوى إليها فقتلوه .

### ٤١ - مساوي شدة الغيرة والعقوبة عليها

حكى عن سليمان بن عبد الملك أنه كان في بعض أسفاره فسير معه قوم ، فلما تفرقوا عنه دعا بوضوء وجاءت به جارية ، فينأى هي بص الماء على يده إذ استمدها وأشار إليها مرتين أو ثلاثاً فلم تصب عليه ، فأسكر ذلك ورفع رأسه فإذا هي مصغية بسمعها مائة بجسدها إلى صوت غناء من ناحية العسكر ، فأمرها فتبعت فسمع الصوت فإذا رجل يعني فأنصت له حتى فهم ما غنى ، فدعا بجارية غيرها فتوضأ ، ولما أصبح أذن للناس فأجرى ذكر الغناء فلم يزل يخوض فيه حتى ظن القوم أنه يشتهيهم ، فأفاضوا فيه وذكروا ما جاء في الغناء والتسهيل لمن سمعه وذكروا من كان يسمعه من سرورات الناس ، فقال : هل بقي أحد يسمع منه ؟ فقال رجل من القوم : عندي رجلان من أهل الأبهة محكمان قال : فإين منزلك من العسكر ؟ فأوماً إلى ناحية الغناء فقال سليمان : ابعت اليهما ففعل فوجد الرسول أحدهما وأقبل به وكان اسمه سحير ، فسأله عن الغناء وكيف هو فيه قال : محكم قال : متى عهدك به ؟ قال : البارحة قال : وفي أي النواحي كنت ؟ فذكر الناحية التي سمع منها الصوت قال : وما اسم صاحبك ؟ قال : سنان قال : فأقبل سليمان على القوم فقال : هدر الفحل فضيحت الناقة ، ونب التيس وشكرت الشاة ، وهدل الحمام فزافت الحمامة ، وغنى الرجل فطربت المرأة ، ثم أمر به فخصي وسأل عن الغناء أين أصله ؟ قالوا : بالمدينة وهم المختشون ، فكتب إلى

عامه أن اخس من قبلك من الخنثين . وحدث الأصمعي ان الشعر الذي سمعه سليمان يتغنى به هو :

مَحْجُوبَةٌ سَمِعَتْ صَوْتِي فَأَرَقَهَا      مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ لَمَّا بَلَّهَا السَّحَرُ  
تَدْنِي عَلَى الْخَدِّ مِنْهَا مَنْ مَعْصِفَةٌ      وَالْحَلِيُّ بَادٍ عَلَى لِبَاتِهَا خَصِرُ  
فِي لَيْلَةِ الْبَدْرِ مَا يَذْرِي مُضَاجِعُهَا      أَوْجُهَهَا عِنْدَهُ أُبْهَى أَمِ الْقَمَرُ  
لَمْ يَمْنَعِ الصَّوْتِ أَبْوَابٌ وَلَا حَرَسٌ      فَذَمَعُهَا لِطُرُوقِ اللَّحْنِ يَنْحَدِرُ  
لَوْ تَسْتَطِيعُ مَشَتْ نَحْوِي عَلَى قَدَمٍ      تَكَادُ مِنْ رِقَّةٍ لِلْمَشِيِّ تَنْفَطِرُ

ثم دخل سليمان مضرب الخدم فوجد جارية على هذه الصفة فاعده تبكي ، فوجهه إلى سنان فاحضره ، ووجهت الجارية رسولا الى سنان يحذره وجعلت للرسول عشرة آلاف درهم ان سبق رسول سليمان فلما حضر انشا يقول :

اسْتَبَقَنِي إِلَى الصَّبَاحِ أُعْتَذِرُ      إِنَّ لِسَانِي بِالشَّرَابِ مُنْكَسِرٌ  
فَأَرْسِلِ الْمَعْرُوفَ فِي قَوْمِ نَكْرُ

فأمر به فخصي وكان بعد ذلك يسمى الخصي . وعن علي بن يقطين قال كنت عند موسى الهادي ذات ليلة مع جماعة من أصحابه اذا أتاه خادم فساره بشيء فنهض سريعا فقال : لا تبرحوا ، فمضى فأبطأ ، ثم جاء وهو يتنفس ساعة حتى استراح ومعه خادم يحمل طبقاً مغطىً بمنديل فقام بين يده ، فأقبل يوعده وعجبنا من ذلك ثم جلس وقال للخادم ، ضع ما معك فوضع الطبق وقال : ارفع المنديل فرفعه فاذا على الطبق رأسا جارتين لم ار والله أحسن من وجهيها قط ولا من شعورهما فاذا على رأسها الجوهر

منظوم على الشعر واذا رائحة طيبة تفوح فأعظمتنا ذلك فقال : أتدرون ما شأنها ؟ قلنا : لا ، قال بلغني أنها تحابوا فوكلت هذا الخادم بهما لينهي الي أخبارها فجاءني وأخبرني أنها قد اجتمعتا فجمت فوجدتهما كذلك في لحاف فقتلتها ثم قال يا غلام : ارفع ورجع في حديثه كأنه لم يصنع شيئاً وحدثنا ابراهيم بن اسمعيل عن ابن القداح قال : كانت للربيع جارية يقال امة العزيز فأهداها المهدي فلما رأى حسنها وجفاها وهياتها قال : هذه لموسى أصلح فوهبها له ، فكانت أحب الخلق اليه ، وولدت له بنيه الاكابر ثم ان بعض اعداء الربيع قال لموسى انه سمع الربيع يقول : ما وضعت بيني وبين الارض مثل أمة العزيز ، فقار موسى فدعا الربيع فتغدى معه وناوله كأساً فيه شراب ، فقال الربيع : فعلت أن نفسي فيها وإني أن رددتها من يدي ضرب عنقي ، فشربتها وانصرفت ، فجمع ولده وقال : اني ميت ، فقال الفضل ابنه : ولم تقول ذلك جمات فذاك قال : إن موسى سقاني شربة فانا أجد عملها في بدني ثم أوصى بماله ومات في يومه . قيل : وطرب الرشيد الى الغناء متنكراً ومعه خادمه مسرور حتى انتهى الى باب اسحق ابن ابراهيم الموصلية ، فقال يا مسرور : اقرع الباب ، فخرج اسحق ، فلما رأى الرشيد انكب على رجليه فقبلها ، ثم قال : إن رأى امير المؤمنين ان يدخل منزل عبده ، فنزل الرشيد . فدخل فرأى اثر الدعوة فقال : يا اسحق اني ارى موضع الشرب من كان عندك ؟ ما كان عندي يا امير المؤمنين سوى جاريتي كنت أطارحها ، قال : فيها حاضرتان ؟ قال : نعم قال : فاحضرها ، فدعا الجاريتين فخرحنا مع احداهما عود حتى جلسنا فأمر الرشيد صاحبة العود ان تغني فقنت :

بُنِي الْحُبُّ عَلَى الْجُورِ فَلَوْ أَنْصَفَ الْمَعشُوقُ فِيهِ لَسَمِعَ

لَيْسَ يُسْتَحْسَنُ فِي وَصْفِ الْهَوَى

عَاشِقٌ يُكثِرُ تَأْلِيفَ الْحَجَجِ

فقليلُ الحبِّ صرفاً خالصاً هو خيرٌ من كثيرٍ قد مزج

فقال الرشيد : يا اسحق لمن الشعر والغناء فيه ؟ قال : لا علم لي به  
يا أمير المؤمنين فنكس رأسه ساعة ينكت في الأرض ثم رفع رأسه ، وأخذ  
العود من حبر هذه فوضعه في حبر الأخرى ثم قال لها ، غني ، فغنت .

إِنْ يُنْسِ حَبْلُكَ بَعْدَ طَوْلِ تَوَاصُلِ خَلْقًا وَأُصْبِحَ يَبْتَكَمَ مَهْجُورًا  
فَلَقَدْ أَرَانِي وَالْجَدِيدُ إِلَيَّ بَلَى زَمْنَا بَوَصْلِكَ رَاضِيًا مَسْرُورًا  
كُنْتَ الْهَوَى وَأَعَزُّ مِنْ وَطِيءِ الْحَصَى

عندي و كنتُ بذاك منك جديراً

فقال يا اسحق لمن الشعر والغناء فيه ؟ قال : لا علم لي يا سيدي ،  
فرد المسألة على الجارية ، فقالت : استي ، قال : ومن ستك ؟ قالت :  
عليه أخت أمير المؤمنين فنكس رأسه ساعة ، ثم وثب وقال لمسرور  
خادمه : امض بنا الى منزل علي ، فلما وقف بالباب ، قال : استأذن  
يا مسرور فخرجت جارية ، فلما رأت الخليفة رجعت تبادر تعلم منها ،  
فخرجت تستقبله وتفديه ، فقال : يا علي هل عندك ما نأكل ؟ قالت :  
نعم يا سيدي ، قال : وما نشرب ؟ قالت : نعم ، فدخل وجلس ،  
فقدمت اليه الطعام فأكل حاراً ، وبارداً ، ورطباً ، ويابساً . ثم رفع  
الطعام ووضع الشراب والطيب وأنواع الرياحين ودعت جوارحها وكان عندها  
ثلاثون جارية يغبين ، فألبستهن انواع الثياب وصفتهن في الايوان وتناول  
الرشيد الشراب ، فأمر الجوارح يغبين ، ثم سقى اخته حتى أخذ الشراب  
منها واحمرت وجنتاها ، وفترت اجفانها وكانت من أجل النساء . فضرب  
الرشيد الى حبر بعض الجوارح في اخذ العود وقال : يا علي بجمياتي غني :

## نبي الحب على الجور فلو

فعلت انها داهية ، فبكت ، فصاح الرشيد ، فخرج الجواري وبقي هو وهي ، فدفعها وأخذ وسادة فجعلها على وجهها وجلس تلميحاً فاضطربت اضطراباً شديداً ، ثم بردت فبقي الوسادة عنها وقد قضت نجبتها ، فخرج وقال للخادم : اذا كان غداً فادخل وعزني ، وركب متوجها الى قصره ، فلما كان الغد عزاه سرور فبكي ، فقال :

قبرٌ عزيزٌ علينا      لو أن من فيه يُفدى  
أسكنت قرة عيني      ومهجة النفس لحداً  
ما إن أرى لي عليها      من التوجع بدءاً

ومنه ما حكى عن البهائم قال شيخ من بني قشير : كنا في نتاج فامتنع فرس من حجرة فشدنا عينه فنزا عليها ، فلما فرغ فتحنا العصاة فرأى الحجره وكانت أمه فعمد الى ذكره بأسنانه فقطعه . ومنه في حفة الغيرة قال سليمان بن داود الهاشمي لابنه : لا تكثر الغيرة على اهلك فتروى بالشر من أجلك وان كانت بريئة ، ولا تكثر الضحك فيستخفك فواد الرجل الحليم ، وعليك بخشية الله فانها غلبت كل شيء . وقال عبدالله بن جعفر لابنته : اياك والغيرة فانها مفتاح الطلاق ، وإياك وكثرة العتب فانه يورث البغضاء ، وعليك بالكحل فانه أزين الزينة ، واطيب الطيب الماء . قيل : وكان كسرى ابرويز يتعشق امرأة رجل كان من مرازبته يقال له البارجان ، وكانت تأتيه سراً فبلغ روجها ذلك فأمسك عن امرأته واجتنبها ودخل الى كسرى ذات يوم ، فقال كسرى : بلغني ان لك عين ماء عذبة ، وانك قد اجتنبتها فلا تقر بها ، ففطن ، فقال له : ايها الملك بلغني ان الأسد ينتاب تلك العين ، فاجتنبتها خوفاً منه ، فأعجب كسرى بقالته وامرات يتخذ له تاج لا قيمة له ثم

دخل كسرى دار نسائه فقامهن نصف حلين فاجتمع من الجوهر ما لا يحصى فبعث به الى امرأة البارجان بالقادسية ، ووقع ذلك الجوهر الى السائب بن الاقرع وكان على المقسم فبأه وجعل المسلمين بكتاب عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وقال بعضهم : كنت أغار على امرأتي فاشرفت علي يوماً وأنا مع جارية لي ، فلقيت منها اذى حتى حلفت ان أبيع الجارية ، فخرجت أريد شراء حوائج لي وبعي الجارية ، أتيت دكان خلال شرى الخمل فوجدته خالياً فقلت له : يا هذا تأذن لي في ملامسة جاريتي هذه في دكانك فاني أريد بيعها ، قال نعم : جعلت فداك ادخل حيث شئت فأصبت من الجارية ، فلما خرجت اذا الخلال قد كمن ناحية وهو في قميص قد أنعظ فقال : فرغت قلت : نعم ، قال : بسم الله أتأذن لي جعلت فداك ، قلت وبيك ما تريد ! قال : أفضي وطري منها ، قلت : يا بن الفاعلة حرمتي ، قال : لا يضرك شيئاً فاني اسرع . ثم وثب كأنه السبع ، فضاربتة حتى تخلصت الجارية بعد كل جهد . قال ودخل رجل من بني زهرة من أهل المدينة على قينة فسمع غناها عند مولاها ، فخرج مولاها في حاجة ثم رجع ، فاذا جاريتة على بطن الزهري فقامت مذعورة فتعدت نكبي ، فقال : ما يبكيك ؟ قالت : لأنك لا تقبل لاجله عذراً ، قال : يا زانية لو رأيتك على قفاك قلت : صريع مغلوب ، ولو رأيتك على وجهك لقلت : وعاء مكبوب انما رأيتك فارساً مصلوباً . وحكي عن ثامة انه قال المهدي : ان النساء شقن شقاً ، وان هشيمة نقت نقباً ، وكانت هشيمة امرأة ثامة فسأله المهدي ان ينزل عنها ففعل ، وأقام المهدي حتى انقضت عدتها ثم تزوجها وبني بها ثم طلقها وخرج الى بيت المقدس فلما انقضت عدتها راجعها زوجها وقال ابو طاهر أنشدني بعض الشعراء يهجو بني القعقاع :

بني القعقاعِ أكرمكم لئيمٌ      وأعظمُ مجدِكم ركبٌ حليقٌ  
وانتم في نسايتكم اتساعٌ      وفي أخلاقكم نكدٌ وضيقٌ



وعن عبد الله بن ياسين قال : كان في المهدي غزل وشدة حب للخلافة بالنساء فبلغه عن ابنة لابي عبيد الله كاتبه جمال فقال للخيزران : استزيرها ، فزارتها ، وجاءت اليها فقالت لها : هل لك في الحمام ؟ قالت : نعم ، فلما دخلت الحمام وافاها المهدي فبرزت له ولم تستتر عنه ، فقال لها المهدي : انا وليك تزوجيني نفسك ، فقالت : انا أمك ، فتزوجها ونال منها ، فلما انصرفت اخبرت اخوتها بما كان فقالوا : امسكي عنه ، فلما كان بعد مدة قالوا لها : استزيري الخيزران ، فاستزارتها ، فلما صارت اليها قالت : هل لك في الحمام ؟ قالت : نعم ، فلما دخلنا معاً ما شعرت بالخيزران الا ببني أبي عبيد الله قد عمدوا عليها فاستتوت عنهم ، فقالوا لو أردنا ان نفعل كما فعلتم مجرمتنا لعلنا ولكننا لا نستحل ، فقالت لهم : والله لو رمت ذلك لأمرت الخدم بقتلكم ، فانصرفوا ، فلما رجعت الخيزران اخبرت المهدي بذلك فكان السبب في قتل المهدي محمد بن أبي عبيد الله علي الزندقة ، وبلغه ايضاً عن عونة بنت أبي عون جمال وهيئة ، فقال للخيزران : استزيرها فاستزارتها فقالت لها الخيزران : هل لك في الحمام ؟ قالت : نعم ، فلما دخلنا ما شعرت الا بالمهدي قد وافاها فاستتوت بالخيزران وقالت : والله لئن دنوت مني لأضربن بالكرونيب وجهك ، فقال : ويحك إنما أردت ان أتزوجك ، قالت : لا سبيل الى ذلك ، فانصرف عنها ، فاخبرت أباه فقال أحسنت في فعلك .

## ٤٢ - محاسن القيادة

الحسن الجرجاني قال : حدثني منهم بن عبد الحميد الحنفي قال . خرجت من الكوفة أريد بغداد ، فلما نزلت بسط غلماننا وهيئوا غداً ، فاذا نحن برجل حسن الوجه والهيئة على برذون فاره فصحت بالغلمان فأخذوا دابة ، فدعوت بالغداً فبسط يده غير محتشم وما أكرمه بشيء الا قبله ، وكنا

كذلك إذ جاء غلمانه بثقل كثير وهيئة جميلة فتناسبتنا فإذا هو طربيع بن  
اسماعيل الثقفي ، فارتحلنا في قافلة منا لا يدرك طرفاها ، فقال طربيع :  
ما حاجتنا الى هذا الزحام وليست بنا اليهم وحشة ولا علينا خوف ، فإذا  
خلونا بالخانات والطرق كان أرواح لأبداننا ، قلت : ذلك اليك ، فنزلنا  
من الغد الحان وتغدينا والى جانبنا نهر ظليل بالشجر ، فقال : هل لك ان  
تستمتع فيه ؟ فمررنا ، اليه فلما نزع ثيابه اذا بين جنبه آثار ضرب كثير  
فوقع في نفسي منه شر فنظر الى ففطن وتبسم ، وقال : قد رأينا ذعرك  
بما ترى وحديث ذلك يجري اذا مرنا بالعشية ، فلما مرنا قلت له : الحديث  
قال : نعم قدمت من عند الوليد بن يزيد بالغناء واليسار ، وكتب الى  
يوسف بن عمر ، فلما أتته ملاً يدي خيراً ، فخرجت مبادراً الى الطائف ،  
فلما امتد بي الطريق وليس يصحبنى فيه أحد عن لي اعرابي على قعود له ،  
فحدث أحسن الحديث ، وروى الشعر ، فإذا هو راوية فأنشد فإذا هو  
شاعر ، فقلت : من أين أقبلت ؟ قال : لا أدري ، قلت : وما القصة ؟  
قال : أنا عاشق لامرأة قد أفسدت علي عيشي وقد حذرتني أهلها وجفائي  
لها أهلي وإنما أستريح بأن أنحدر الى الطريق مع منحدر وأصعد مع  
مصعد ، قلت : فأين هي ؟ قال : تنزل غداً بازائها ، فلما نزلنا أراني  
طريقاً عن يسار الطريق ، فقال : ترى ذلك الطريق ؟ فقلت : أراه ،  
قال فتري الخيم التي هناك ؟ قلت : نعم ! قال : فانها في الخيمة الحمراء ،  
فأدركتني أريجية الحدث ، فقلت : والله إني آتيها برسالتك فمضيت حتى  
انتهيت الى الخيم فإذا امرأة ظريفة جميلة كأنها مهرة عربية فذكرته لها  
فزفرت زفرة كادت تنتفض أضلاعها قالت : أوحى هو ! قلت : نعم  
تركته في رحلي وراء هذا الطريق ! قالت بأبي أنت وامي ارى لك  
وجهاً حسناً يدل على الخير فهل لك في امر ؟ قلت : فقير اليه ! قالت :  
البس ثيابي فأقم مكاني ودعني حتى آتبه وذلك عند مغربان الشمس فانك  
إذا أظلم الليل أتاك زوجي ، فقال لك يا فاجرة وباهنة ابنة الهنة فيوسعك

ثما فأوسعه صمتاً ، ثم يقول في آخر كلامه اقمعي سقاءك يا عدوة الله  
فضع القمع في هذا السقاء وإياك وهذا السقاء الآخر فانه واه ! قلت : نعم  
فأجبتني الى ما سألت فجاء الزوج على ما وصفت وقال : اقمعي سقاءك  
فحيرني الله ان تركت الصحيح وقمعت الواهي ، فيما شعر الا باللبن يتسبب  
بين رجله فعدا الي كسر الحيمة وحل متاعه وتناول رشاء من قد مدبوغ  
ثم ثناه باثنتين فجعل لا يتقي رأساً ولا وجهاً ولا رجلاً حتى خشيت أن  
يبدو له وجهي فتكون الأخرى فألذمت وجهي الارض فعمل بظهري ما  
توى ، فلما تغيب عني جاءت المرأة باكية فرأت ما بي من الشر واعتذرت  
وأخذت ثيابي وانصرفت ، قال وحدث بهذا الحديث محمد بن صالح بن  
عبد الله ابن الحسن بن علي بن أبي طالب صلوات الله عليه بسر من رأى  
سنة أربعين ومائتين وكان حمل من البادية الى المتوكل فأطلقه وكان اعرابياً  
فصيحاً فعجب منه وكان حسن الوجه نجيباً فلما ما رأيت في الفتيان مثله ، قال :  
كان منافقاً يقال له الأستر بن عبد الله وكان سيد بني هلال وأحسنهم وجهاً  
وأسخام كفاً وكان معجباً بجارية يقال لها جيداء بارعة الجمال ، فلما اشتهر أمرها  
وظهر خبرها وقع الشر بين أهل بيتيها حتى قتل بينهما القتل فافترقوا فريقين  
فلما طال على الأستر البلاء جاءني يوماً وقال : يا غير هل فيك خير ؟ قلت :  
عندي ما أحببت ، قال : تساعدني على زيارة جيداء ، قلت : بالحب  
والكرامة فانقض اذا شئت ، قال : فركبنا وسرنا يوماً وليلة والغداة حتى المساء  
فنظرنا الى أدنى سرب لهم فأئحنا رواحلنا في شعب وقعدنا هناك وقال يا غير :  
اذهب وأنشد واذكر ان يلقاك انك طالب ضالة ولا تعرض بذكرى  
بشفة ولا لسان الى ان تلقى جاريتها فلانة راعية الضأن فتقرئني مني السلام  
وتسألها عن الخبر وتعلمها بمكاني ، قال : فخرجت لا أتعدي ما أمرني به  
حتى لقيت الجارية فأبلغتها الرسالة وأعلمتها بمكانه وسألتها عن الخبر فقالت :  
هي مشدد عليها محتفظ بها وعلى ذلك فوعدكم عند الشجرات اللواتي عند  
أعقاب البيوت مع صلاة العشاء فانصرفت فأخبرته ثم قدنا رواحلنا حتى

أتينا الموعد في الوقت الذي وعدتنا فيه فلم نلبث الا قليلا حتى اذا جيداء  
 تمشي فدنت منا فوثب اليها الأستر فتصافحا وسلم عليها ووثبت موابيا عنها  
 فقالا : أقسمنا عليك الا رجعت ، فوالله ما بيننا من ريبة ولا قبيح نخلو  
 به دونك فانصرفت اليها وجلست معها ، فقال الاشر : ما فيك حيلة  
 يا جيداء فتزود منك الليلة ؟ قالت : لا والله ما الى ذلك سبيل الا ان  
 أرجع الى الذي تعلم من البلاء والشر ! فقال : لا بد من ذلك ولو  
 وقعت السماء على الارض ، قالت : فهل بصاحبك خير ؟ قلت : بلى ،  
 وهل الخير الا عندي ؟ فأسألي ما بدالك فاني منته اليه ولو كان في ذلك  
 كله ذهاب نفسي فألبستي ثيابها وأخذت ثيابي ثم قالت : اذهب الى  
 خبائي فادخل في ستري فان زوجي يأتيك مع العتمة فيطلب منك القدح  
 ليحلب فيه فلا تعطه من يدك فكذلك كنت أفعل فيحلب ثم يأتيك بالقدح  
 ملأنا لبنا فيقول : هاك فلا تأخذه منه حتى يطيل عليك نكدك ثم خذ  
 أو ذره حتى يضعه ثم يستبد بردائه ولست تراه حتى يصبح فذهبت ففعلت  
 ما أمرتني به حتى جاء بالقدح فيه اللبن فأطلت نكدي عليه ثم أهويت  
 لآخذه فاخلفت بدي ويده وانكفأ القدح فاندفق منه اللبن فقال : ان هذا  
 الطماح مفرط وضرب يده الى جانب الحياء فاستخرج سوطا فضرني مقدار  
 ثلاثين سوطا حتى جاءت أمه وأخواته فانتزعوني منه ولا والله ما فعلوا  
 ذلك حتى زالمتني روحي وهممت أن أوجره بالسكين فلما خرجوا عني وهو  
 معهم فعدت كما كتب الله فما لبثت ان جاءت أم جيداء ، فحدثتني وهي  
 تحسبني ابنتها فألتمتها بالسكوت وتغطيت بشوبي دونها فقالت : يا بنيت اتقي  
 الله ولا تهرضي للكروه من زوجك فذلك أولى بك ، ثم خرجت من  
 عندي فقالت : سأرسل اليك أختك تونسك وتبيت الليلة عندك فلم ألبث  
 أن جاءت الجارية تبكي وتدعو على من ضربني وانا لا أكلها ثم اضطجعت  
 الى جانبي فلما استمكنت منها شددت يدي على فمها وقلت : يا هذه تلك  
 أختك مع الاشر وقد قطع ظهري بسببها وأنت أولى من ستر عليها

فاختاري لنفسك ولها فوالله لئن تكلمت لتكونن فضيحة شاملة ثم رفعت يدي عن فيها فاهتزت مثل القصبه من الروع وباتت معي ونلت منها الشهوة النامة ورافقتني أصليح رفيق رافقته ولم أذق شيئاً أذ بما ذقت منها قط فلم نزل نتحدث وتضحك مني وبما بليت به حتى برق النور وجاءت جيداء فلما رأتنا ارتاعت وقالت : من هذا عندك ؟ قلت : أخنك ، قالت : وما السب ؟ قلت : هي تخبرك فانها عالمة به وأخذت ثيابي وأتيت صاحبي فأخبرته بما أصابني وكشفت له عن ظهري فاذا فيه ما الله به عليم ، فقال : لقد عظمت منك عندي ووجب شكرك وخاطرت بنفسك فلا حرمني الله مكافأتك وعن رجل من بني عامر أنه خرج وهو غلام ما بقل وجهه وكان ذا جمال وهيئة صاحب غزل فهجم على قوم يتحملون وقد شدوا أثقالهم وبرزوا واذا امرأة جميلة قد تخلفت على حمل لها لاصلاح شأنها قال : فوقفت عليها ، فاذا هي أحسن خلق الله وجهاً وأغزله وأملعه فتلافينا كلاماً غير كثير ، فقالت : أسألك شيئاً فهل لك به علم ؟ قلت : سلي : ، فقالت : أيها أحسن جردة الرجل ام المرأة ، قلت : الرجل قالت : بل المرأة فان أحببت ان تعلم ذلك علمته ، قلت : وكيف أعلمه ؟ قالت : أتجرد لك من ثيابي وأرميها عني ثم أمشي حتى أبلغ الأكمة ثم أقبل حتى آتيك فتعطيني عهد الله وميثاقه لتفعلن كما فعلت ، فقلت : لك عهد الله إن فعلت لأفعلنه ، قال فألقت ثيابها عن أحسن ما نظرت اليه قط ، بياضاً ونظافة وحنناً ، فلما انتهت الي قالت : الوفاء ، قلت : الوفاء ونعمة عيني فخلعت ثيابي وأنا كأهبي الفتيان وأهياهم حتى مضيت بعد الغاية ، فلما انتصف لي المدى سمعت خرخرة جملي فاذا هي قد جالت على ظهره لابساً ثيابي متنكبة فوسي قد لزمت المحجة ، فناديتها فلم تعرج علي ، ولبست ثيابها وتخمرت بنهارها ، وركبت بعيرها وزجرتها ، فسانبت بي أثر الحي وأخذت شق الوحشي حتى ما اراها وجعلت أكف عن الجمل اذ خشيت ان الحق الظعن حتى روأتي من بعيد وجعلوا ينادون ويحك اقبلي ! وأنا

صامت لا أتكلم ولا أتقدم ، فلما طال عليهم أموري ، بعثوا بجارية لهم مولدة فأقبلت تعدو حتى أتتني ونشطت خطام الجمل من يدي وأنا متبرقع أحسن الناس وجهاً وعيناً . فنظرت الجارية في وجهي ساعة . ثم قالت لقد أميت حديدة الطرف وقادت الجمل حتى أنت الحي ، فقالت أم الجارية : يا بنية لقد استحييت من الناس بما دعوتك العشية ثم تأملت ونظرت وسائر النساء . وقالت إحداهن : والله انه لرجل فطن وأنزلني العجوز وأدخلتني السر ، وقالت : من أنت لا افلحت ؟ قلت : بل ابنتك لا افلحت ولا انجحت ، وقصصت عليها قصتها ، فقالت : نشدتك الله الا اعرتني نفسك هزيعاً من الليل فانا كنا على ان نبي بابنتي صاحبة الجمل الليلة وما في الحي رجل غير زوجها ، وهو انسان فيه لومة ولا بد من ان أدخلك عليه فانك غلام امرء فلا ينكرك ولا اراه أقوى منك ان اعتركتما فلك عندي يد بيضاء واقبلت وأخت لابنتها وخالتها فألبسني ثوب العرس وطيبني : ثم دافن بي نحو الرجل بعيد العتمة وقالت أمها : أنا لك الفداء نجسد ساعة بالامتناع فانه منصور عنك . وستأتيك الكافرة فأدخلتني على مثل الأسد الا ان به لومة كما قالت فاعتركتنا حتى أعيا وكف عني وطال لي الليل حتى سمعت خرخرة جملي ، فلم ألبث الا هنيهة حتى جاءت أمها وخالتها وهي معها فجعلتها مكاني وفتشت عن سرها فاذا هي قد ظلت مع انسان كانت تهواه . وأتيت ثيابي فنهضت مبادرا لا ألوي على شيء حذراً بما لقيت . قال وملك النعمان بن المنذر أربعين سنة فلم ترم منه سقطة غير هذه : وهو أنه ركب يوماً فبصر بجارية قد خرجت من الكنيسة فأعجبته لجمالها فدعا بعدي بن زيد وكان نديمه ووزيره ، فقال له : يا عدي لقد رأيت جارية لئن لم اظفر بها انه الموت ، ولا بد من أن أتلف أو تلتطف لي حتى تجمع بيني وبينها ، قال : ومن هي ؟ قال : سألت عنها فقيل : هي امرأة حكيم بن عمرو رجل من أشرف الحيرة ، قال : فهل أعلمت أحداً قال : لا قال : فاكتمه فاذا أصبحت فجدد الحكم كرامة وبراً . فلما أذن

للناس بدأ به وأجلسه معه على سريره وكساه ، فاستعظم الناس ذلك ، فلما أصبح بدأ أيضاً بالأذن له وجهه فأنكر الناس ذلك . فقالوا : ما هذا إلا لأمر فصنع به ذلك أياماً . ثم قال له عدي : ايها الملك عندك عشر نسوة فطلق إحداهن ثم قل له فليتزوجها ففعل فلما دخل عليه قال : يا حكم ما كانت نفسي تسمع بهذا الولد فتزوج فلانة فقد طلقها فخرج حكم الى عدي فقال : يا ابا عويمر ما صنع الملك بأحد ما صنع بي وما أدري بما أكاويه . قال له عدي : طلق امرأتك كما طلق لك امرأته ففعل وحظي بها عدي عنده وعلم حكم أنه قد مكر به في امرأته . وفيه يقول الشاعر :

ما في البرية من أنثى تعاد لها إلا الذي أخذ النعمان من حكم

وحدث الفضل بن العباس عن الزبير بن بكار عن محمد بن بشير الخارجي قال : قدم علينا رجلان من اهل المدينة يصيدان ومعهما نسوة والفساطيط مضروبة ، وكان سليمان بن عبدالله الاسمي وابن أخ له مقبين بناحية الروحاء . فأرسل النسوة الى سليمان وابن أخيه أما لكما حاجة في الحديث؟ فرد الرسول ان يكن لنا فيه حاجة فكيف لنا بذلك مع ارواجكن ؟ فقلن اذا خرج ازواجنا لصيد وقد بلغنا أن لكم صاحباً يعرف من طلب الصيد مالا يعرفه غيره فلو طرحهم شيئاً من ذكره لاسرعوا اليه وتخلقتم وتحدثتم ما سئتم يعني به محمد بن بشير ، فمضى اليه سليمان وابن أخيه فقال يا أبا محمد : أرسل الينا النسوة بكدا وكذا وسألوني أت أخرجك الى الصيد ، فقلت : لا والله لا أفعل ولا أتعب ولا أنصب وأنتم تتلمون وتتحدثون انا اذا أشد حبا وأكثر صيابة وشوقاً فارسلنا الى النسوة بقالتي ، فارسلن إلي رسول وعاهدني لئن أخرجتهم ليجعلن بي حتى أخلو معهن ليلة حتى أصبح فصرت اليهم وذكرت لهم الصيد فخرجوا معي معها زلت أهدتهم بالصدق حتى أخذت في الكذب بما يضارع الصدق حتى أفنته فأقت معهم ثلاثة أيام

وليالها ، ثم انصرفوا من أن غير أن اصطدنا شيئاً ، فقلت في ذلك .

إِنِّي انْطَلَقْتُ مَعِيَ قَوْمٌ ذَوُو حَسَبٍ      مَا فِي خَلَائِقِهِمْ زَهُوٌّ وَلَا حَقٌّ  
 أَنِّي لَا أُعْجَبُ مِنْهُمْ كَيْفَ أَخَذَهُمْ      أَمْ كَيْفَ آفَكَ قَوْمًا مَا بِهِمْ رَهَقٌ  
 أَظَلُّ فِي الْأَرْضِ الْهَيْبِمْ وَأَخْبِرُهُمْ      أَخْبَارَ قَوْمٍ وَمَا كَانُوا وَلَا يُخَلِّقُوا  
 وَلَوْ صَدَقْتُ لَقَلَّتِ الْقَوْمُ قَدْ دَخَلُوا      حِينَ انْطَلَقْنَا وَإِنِّي سَاعَةَ انْطَلَقُوا  
 فَلَوْ أَجَاهِدُ مَا جَاهَدْتُ دُونَكُمْ

فِي الْمُشْرِكِينَ لِأَدْرَكَتُ الْأُولَى سَبَقُوا  
 إِنْ كُنْتُ أَبْدَأُ جَارِي مِنْ حَلَائِقِكُمْ      وَالذَّهْرُ ذُو عَنَفٍ أَيَّامُهُ طُرُقُ  
 فَإِنَّ كُلَّ جَدِيدٍ عَائِدٌ خَلْقًا      فَلَنْ يَمُودَ جَدِيدًا ذَلِكَ الْخَلْقُ

قال فظفر أصعابي بالحديث والمغازلة وأنا بالجهد والخيبة مع أتم القيادة والتعب وكذب المحادثة . وحدثنا وهب بن سليمان عن عمه الحسن بن وهب قال : خرج محمد بن عبد الملك الزيات من عند الواثق ومزيد بن محمد بن أبي الفرج الهاروني وكيل عبدالله بن طاهر فاذا بجارية حسناء في منظر لها فلما بصرت به ورأت موكبه وكان جميلا ظريفا أومأت إليه السلام وأومأت بيدها إلى صدرها فأعجب بها فلما صار إلى منزله دخلت إليه فرأته بخلاف ما عهدت وكان لا يكتسني شيئاً فقلت : مالي أراك مدلها يا أبا الحسن : قال : رأيت شيئاً أنا فيه مفكر ثم أنشأ يقول :

وَأَبَائِي مُنْخَضٌ      أَوْمَى إِلَيْهَا بِيَدِهِ  
 أَوْمَى بِهَا يُخْبِرُنِي      وَرَاحَتُهُ فِي كَبِدِهِ



أَنَّ الضَّنَى فِي جَسَدِي يُخْبِرُنِي عَنْ جَسَدِهِ  
فَلَيْسَ لِلْحَاسِدِ إِلَّا خِصْلَةٌ مِنْ حَسَدِهِ

ثم شرح لي القصة ، ثم انصرفت من عنده ووافيت مولى الجارية فسألته  
أن يبيعه فقال اشتريتها للامير عبد الله بن طاهر وليس الى بيعها من سبيل  
فلم أزل به حتى اشتريتها بخمسين ألف درهم ووجهت بها اليه وكتبت اليه :

هَذَا مُحِبِّكَ مَطْوِيٌّ عَلَى كَعْبِهِ  
لَهُ يَدٌ تَسْأَلُ الرَّحْمَنَ رَاحَتَهَا  
عَبْرَتِي مَدَامَعُهُ تَجْرِي عَلَى جَسَدِهِ  
مِمَّا بِهِ وَيَدٌ أُخْرَى عَلَى كَعْبِهِ

فقبلها وحسن مرقعها عنده فولاني خراج ديار ربيعة فأصبت فيها ألف  
ألف درهم قال السجستاني : أرق الرشيد ذات ليلة فوجهه الى عبد الملك  
الاصمعي والى الحسين الخليل فاحضرها وشكا اليها مداومة نومه وشدة  
أرقه وقال لها : عللاني بأحاديثكما وابدأ أنت يا حسين ، قال : نعم يا أمير  
المؤمنين خرجت في بعض السنين منحدرأ الى البصرة ومتمدحاً لآل سليمان  
فقصدت محمد بن سليمان بقصيدتي فقبلها وأمرني بالمقام ، فخرجت ذات يوم  
الى المربد وجعلت المهالبة طرقي فأصابني حر وعطش فدنوت من باب دار  
كبير لاستسقي فاذا أنا بجارية أحسن ما يكون كأنها قضيب يتثنى وسناء  
العينين زجاء الحاجبين مهفهفة الخصر حاسرة الرأس مفتوحة الجربان عليها  
قيص لاذجلناري ورداء عدي فدلت شدة بياض بدنها حمرة قيصها  
تتلاً من تحت القيص بثديين كرماتين وبطن كطي القباطي وعكن مثل  
القراطيس لها جمرة جمدة بالمسك محشوة ؛ وهي يا أمير المؤمنين متقلدة خرزاً  
من ذهب والجوهر يزهر بين ترائبها وعلى صحن جبينها طرة كالسبع  
وحاجبان مقرونان وعينان كحلوان وخدان أسيلان وأنف أفنى تحتة نغرة

كاللؤلؤ وأسنان كالدرد وقد غلب جربانها سواد المسك والغالية ودابر العود  
الهندي على لبتها عبق الخلوق وهي والهة حيرى واقفة في الدهليز وجائية  
تخطر في مشيتها قد خالط صرير نعلها أصوات حلخالها كأنها تخطر على اكباد  
محبها فهي كما قال الأفوه الأودي :

ليسَ منها ما يُقالُ لها      كَمَلتْ لو أنْ ذَا كَمَلَا  
كلُّ جزءٍ منْ محاسِنِها      كَأَنَّ منْ حُسنِها مَثَلَا  
لو تَمَنَّتْ في بَراعتِها      لَمْ تَجِدْ في حُسنِها بَدَلَا

فهبتها والله يا أمير المؤمنين ثم دنوت منها لاسلم عليها فاذا الدار ،  
والدهليز ، والشارع قد عبت بالمسك فسلمت عليها فردت السلام بلسان  
منكسر ، وقلب حزين محرق فقلت لها : يا سيدتي اني شيخ غريب أصابني  
عطش فأمرني لي بشربة من ماء تؤجري ، قالت : اليك عني يا شيخ فاني  
مشغولة عن سقي الماء وادخار الاجر ! فقلت لها : يا سيدتي لأية علة :  
قالت لأنني عاشقة من لا ينصفني وأريد من لا يريدني ومع ذلك فاني ممتحنة  
برقباء فوق رقباء قلت لها : يا سيدتي هل على بسيط الارض من تريدينه  
ولا يريدك قالت : انه لعمرى على ذلك الفضل الذي ركب الله فيه من  
الجمال والدلال ، قلت لها : يا سيدتي فما وقوفك في الدهليز ، قالت : هو  
طريقه وهذا أوان اجتيازه . قلت لها : يا سيدتي هل اجتمعتما في خلوة في  
وقت من الاوقات أم حب مستحدث ؟ فتنفست الصعداء وأرخت دموعها  
على خديها كطل على ورد ، وأنشأت تقول :

وَكنا كغُصْنِي بانهِ وَسَطَ رَوْضَةٍ      نَشْمُ جَنائِلِ اللذاتِ في عيشَةٍ رَغْدِ  
فَأُفردَ هَذَا النُّعْنَ منْ ذاكِ قاطِعٍ      فِيا منْ رأى فَرْدًا يَحِنُّ إلى فَرْدِ

قلت لها : يا هذه ما بلغ من عشقك هذا الفتى ، قالت : أرى الشمس على حائظهم أحسن منها على حائظ غيرهم وربما أراه بفتة فابهت وتهرب الروح عن جسدي وأبقى الأسبوع والأسبوعين بغير عقل ، قلت لها : عزيز علي وأنت على ما بك من الضنا وشغل القلب بالهوى والنحل الجسيم وضعف القوى ما أرى من صفاء اللون ورقية البشر فكيف لو لم يكن بك من الهوى شيء أراك كنت ممتنة في أرض البصرة ، قالت : كنت والله يا شيخ قبل محبتي لهذا الغلام تحفة الدلال والجمال والكمال ولقد فتنت جميع ملوك البصرة وفتنتني هذا الغلام ، فقلت : يا هذه ما الذي فرق بينكما ؟ قالت : نواب الدهر ، وأوابد الحدثان ولحديشي وحديثه شأن من الشأن وأنيك أمري ! اني كنت افصدت في بعض أيام النيروز فأمرت فزين لي وله مجلس بأنواع الفرش وأواني الذهب ونضدنا الرياحين والشقائق والمنشور وأنواع البهار ، وكنت دعوت لحبيبي عدة من متظرفات البصرة فيهن من الجوارى جارية شهران وكان شراؤها عليه من مدينة عمان ثمانمائة ألف درهم ، وكانت الجارية ولعت بي وكانت أول من أجابت الدعوة وجاءتني منهن ، فلما حصلت عندي رمت بنفسها علي تقطعتني عضا وقرصا ، ثم خلونا نتمرز القهوة الى أن يدرك طعامنا ويجتمع من دعونا فتارة هي فوقى ، وتارة أنا فوقها ، فحملها السكر على ان ضربت يدها على تكتي فجعلتها ونزعت هي سراويلها وصارت بين فخذي كمصير الرجال من النساء ، فيينا نحن كذلك إذ دخل علي حبيبي وقد الترق قرطي بخلخاله فلما نظر الينا اشماز لذلك وصدف عي وعنها صدوف المهرة العربية اذا سمعت صلاح اللجم وعض على أنامله وولى خارجا ، فانا يا شيخ منذ ثلاث سنين أسل سخيمته واستعطفه فلا ينظر إلي بعين ولا يكتب إلي بحرف ولا يكلم لي رسولا ، قلت لها : يا هذه أمن العرب هو أم من العجم ؟ قالت : هو من جلة ملوك البصرة ، قلت من أولاد نياها أو من أولاد تجارها ، قالت : من عظيم ملوكها ، قلت لها : أشيخ هو أم شاب ؟

فنظرت الي شزرا وقالت : انك لأحق أقول : هو مثل القمر ليله البدر  
أمرد أجرد وطرة رقعاء كحنك الغراب تعاوه شقرة في بياض عطر لباس  
ضارب بالسيف طاعن بالرمح لاعب بالنرد والشطرنج ضارب بالعود والطنبور  
يفني وينقر على أعدل وزن لا يعيبه شيء إلا انحرافه عني لا نقصا لي منه  
بل حقدأ لما رأني عليه قلت : يا هذه وكيف صبرك عنه ؟ فأنشأت  
تقول :

وَجُفُونُ عَيْنِي سَاجِفَاتٌ تَدْمَعُ	أَمَّا النَّهَارَ فَمُسْتَهَامٌ وَاللَّيْلَ
حَتَّى الصَّبَاحِ وَمُقَاتِي لَا تَجْعُ	وَاللَّيْلَ قَدَّارَعِي النُّجُومَ مُفَكَّرًا
فِي خَلْطِ عَيْنِيهِ سِهَامٌ تَصْرَعُ	كَيْفَ اصْطَبَارِي عَن غَزَالِ شَادِنِ
وَكَأَنَّ جَبْهَتَهُ سِرَاجٌ يَلْمَعُ	وَجْهٌ يُضِيءُ وَحَاجِبَانِ تَقْوَسَا
فِي وَجْنَتَيْهِ كَأَنَّه مُسْتَجْمَعُ	وَبِيَاضُ وَجْهِ قَدَّاشِيبَ بَحْمَرَةٍ
وَالْعَصْنُ فِي قَنَوَائِهِ يَتَرَعَّرَعُ	وَالْقَدُّ مِنْهُ كَالْقَضِيبِ إِذَا زَهَى
كَمَثَالِ بَدْرِ بَعْدَ عَشْرِ أَرْبَعُ	تَمَّتْ خَلَائِقُهُ وَأُكْمِلَ حُسْنُهُ

قلت لها : يا سيدتي ما اسمه وأين يكون ؟ قالت : تصنع به ماذا ؟  
قلت : أجهـد في لقائه وأتعرف الفضل بينكما في الحال . قالت : على  
شريطة ، قلت وما هي ؟ قالت : تلقانا إذا لقيته ، وتحمل لنا البه رقعة  
قلت : لا أكره ذلك قالت : هو ضمرة بن المغيرة بن المهلب بن أبي صفرة  
يكنى بابي شجاع وقصره في المربد الاعلى وهو أشهر من أن يخفى ثم  
صاحت في الدار يا جواري دواة وقرطاساً ! وشمرت عن ساعدين كأنها  
طوماراً فضة ثم حملت القلم وكتبت : بسم الله الرحمن الرحيم سيدي توكي  
الدعاء في صدر رقعتي بنبيء عن تقصيري ، ودعائي ان دعوت يكون

هجنة ، فلولا أن باوغ المجهود يخرج عن حد التقصير لما كنت لما تكلفته خادمتك من كتب هذه الرقعة معنى مع إياسها منك وعلها بتركك الجواب ، سيدي فجد بنظرة وقت اجتيازك في الشارع الى الدهليز تحي بها أنفسا مينة أسرى ، واخطط بخط يدك بسطها الله بكل فضيلة رقعة فاجعلها عوضا من تلك الخملوات التي كانت بيننا في الليالي الخاليات التي أناذاكرتها ، سيدي ألت لك محبة وبك مدقة ؟ فان رجعت مولاي الى الاشبه بك وأنقذتني من عوارض التلف كنت لك خادمة ولك شاكرة ، فلما فرغت من الكتاب يا أمير المؤمنين ناولته اياي فقلت لها : ياسيدي قد وجب حفاك علي ولزمتك حرمتي لطول وقوفي عليك وكنت قد سألت شربة ماء ، قالت : أستغفر الله ما فهمنا عنك ، ثم صاحت في الدار أخرجن الينا شرابا من ماء وغير ماء ، فما كنت الا أن أقبل ثلاثون وصيفة بأيديهن الطامسات والجلمات والأفداح والأفداح ملووة ماء وثلجا وبقاعا وشرابا فشربت الماء ثم قلت : ياسيدي مع قدرتك على هذا من استواء الحال وكثرة الخدم والعبيد والجراري فلم لا تأمرين احدي الجراري أن تقف مراعية للغلام حتى اذا مر أعلمتك فتخرجين اليه ؟ قالت : لا تغلط يا شيخ فتمثلت :

عَبَالَةَ عُنُقِ اللَّيْثِ مِنْ أَجْلِ أَنَّهُ إِذَا رَامَ أَمْرًا قَامَ فِيهِ بِنَفْسِهِ

ثم انصرفت عنها يا أمير المؤمنين ، فلما أصبحت غدوت على محمد بن سليمان فوجدت مجلسه محتفلا بالملوك وأبناء الملوك ورأيت غلاماً قد زان المجلس وفاق من فيه حسناً رجحالا قد رفعه الأمير فرفقه فسألت عنه فقيل : ضمرة بن المنيرة فقلت : في نفسي بالحقيقة حل بالمسكينة ما حل هو والله قاتلها فيما أرى ، ثم قمت فتصدت المربرد ووقفت على باب داره فاذا هو قد ورد في موكب جليل فوثبت اليه وبألت في الدعاء والثناء ثم دنوت منه وفاوضته في الذي بيني وبينها وناولته الرقعة فلما قرأها ضحك ثم قال : يا شيخ قد استبد لنا بها فهل لك في ان تنظر الى البديل ؟ قلت : نعم ، فصاح

في الدار يا جوارى اخرجن الينا لذيذا فما كان الا أن طلعت جارية وضيئة  
الكمين زاهدة الشدين تمشي مشية مستوحل ترتج من دقة خصرها على كبر  
عجزها ذات فيخذين وعجيزتين تحتطفان الانفس اختطافا على رأسها بطيخة من  
الكافور مكتوب على جبينها .

آه من الحُبِّ آه ما أقتل الحُبِّ وأضناه

ودوت ذلك مكتوب :

عِيَارَةٌ مَيَّاسَةٌ فِي الْخَطَى رَخِيمَةٌ الدَّلُّ صَيُودٌ لِلرِّجَالِ

وقد كتبت بالغاية على عصابتها ثلاثة أسطر وهي :

إِذَا غَضِبْتُ رَأَيْتَ النَّاسَ قَتَلِي وَإِنْ رَضَيْتَ فَأَرْوَّاحُ تَعُودُ  
لَهَا فِي عَيْنِهَا لِحْظَاتُ سِحْرِ نَمِيتُ بِهَا وَنُحْيِي مَنْ تُرِيدُ  
وَتَسْبِي الْعَالَمِينَ بِمُقَلَّتِيهَا فَكُلُّ الْعَالَمِينَ لَهَا عَبِيدُ

فناولها الرقعة وقال : اقرئي وأجيبى صاحبك ، فلما قرأت الرقعة اصفرت  
وعرفت ومزقتها وضربت بها في وجه الغلام وغابت في الستر ، فقال لي :  
أما أنت يا شيخ فاستغفر الله بما مشيت فيه ، قلت : بل انت استغفر الله من  
هجرانك اياها وتركك اتيانها ، والله ما ارى لها في البشر نظيراً ، قال :  
لا أفعل ولو أنها في حسن يوسف وكمال حواء ، فخرجت يا أمير المؤمنين وأنا  
أجر ذيلي حتى وردت عليها فاستأذنت ودخلت فبدأت بي ، فقالت : ما  
وراء الشيخ ! قلت البؤس واليأس قالت : لا عليك فأثن الله والقدر ، ثم  
أمرت لي بخمسمائة دينار وعشرة أثواب وخرجت من عندها وأنا تمتدح  
لآل سليمان فلم يكن لي والله إلا معرفة خبرها في العام الذي عدت فيه إلى  
البصرة ، فوردت عليها فوجدت على بابها أمراً ، ونهياً ، وأسباباً لا تكون

الا على باب والخلفاء ، فاستأذنت فدخلت فاذا فوق رأسها ثلاثون رجلا من  
 شيوخ وشبان وخدم وقوف بسيوفهم ، فلما نظرت الي عرفتي ووثبت  
 الي وقبلت رأسي وقالت : يا شيخ الحمد لله الذي جعل العبيد بالصبر ملوكا ،  
 وجعل الملوك بالتيه عبيداً ، إن الذين تراهم وقوفاً أصحاب ضمرة يسلمون  
 سخيمتي ، ويسألونني الرجوع له ، والله لا نظرت اليه في وجهه ولو أنه في  
 حسن يوسف وكال حواء فسجدت يا أمير المؤمنين شامة بضمرة وتقربا الي  
 الجارية فقال بعض حجاب ضمرة : مهلا يا شيخ فمن طاب محضره طاب  
 مولده ثم انصرفوا ، فناولتني خريطة فيها أوراق فقالت : هذا أول ما  
 ورد علينا منه ، فاذا ثوب خز أبيض يقق مكتوب فيه بآء الذهب : بسم  
 الله الرحمن الرحيم لولا تغاضي عليك أدام الله حياتك لوصفت شطراً من  
 غدرك ولبسطت سوط عتي عليك وحكمت سيف ظلامي فيك ، إذ كنت  
 الجانية على نفسك والمظهرة لسوء العهد وقلة الوفاء المؤثرة علينا غيرنا فخالفت  
 هواي وفرشت نفسك لما على حالتي جد وهزل وصحو وسكر ، والمستعان  
 الله على ما كان من سوء اختيارك . وقد ضمنت رقعتي هذه أبيات شعر  
 أنت المنفضة بالنظر اليها وهي :

قَطَعَ قَلْبِي فَرَأَيْتُكُمْ قَطَعَا      وَكِدْتُ أَقْضِي لِبَيْتِكُمْ جَزَعَا  
 مَا تُكْجَلُ الْعَيْنُ بِالرُّقَادِ وَلَا      يَنَامُ جَنْبِي فِي اللَّيْلِ مُضْطَجِعَا  
 لَا عَيْشَ لِي مُذْنَاتٌ وَلَا وَجَدْتُ      عَيْنَايَ فِي الْأَرْضِ قَطُّ مُتَّسِعَا

قلت لها : أفلا تحدثيني كيف مليت عنه وابتلي ؟ قالت : كيف لا  
 أحدثك افتصدت تفاحة جارية محمد بن سليمان فدعينا الي خورنق لمحمد ابن  
 سليمان فلما طعمنا دعت لنا بالشراب ، فبينما نحن كذلك إذا بجراقة سلطانية  
 قد ورت وفيها عدة من أبناء الملوك وفيهم هذا العيار ولا علم لي بمكانه ،  
 وكنت حملت العود وغنيت :

أَبْلَى فُؤَادِي وَشَفَّنِي الْآرَقُ      وَالذَّمْعُ مِنْ مُقْلَتِي يَسْتَبِقُ  
مِنْ حُبِّ ظِيِّ أَغْنَى ذِي دَعَجٍ      وَقَلْبُهُ لِلشِّفَاءِ مُنْتَظَبِقُ

فلما وجبت العتمة انصرفنا وأبطأت الجارية ، وأنا في هؤلاء القوم من عنده يسلون مخيبي ، ويستعطفونني عليه ثم انصرفت عنها يا أمير المؤمنين ودخلت الحمام من ساعتى ، فما كان الا أن دخلت حتى أتاني غلامي وقال : جماعة من جة الناس قد طرقتا دارك يطلبونك ، فلبست ثيابي وخرجت مسرعاً فاذا بضمرة قد كبس داري في عدة من الرؤساء فقال : والله لا بوحنا حتى تنفق علينا الخمسة دينار التي أخذتها من الجارية سيدتي ، قلت : اي والله بالسمع والطاعة ، ثم جذبني الى نفسه فلم يزل يناظرني في أمرها حتى أقبل المساء ، ثم انصرف الى رحله ، فلما كان من الغد وردت له رقعة مع خادم وكبس فيه ألف دينار واستزارني فقبلت ذلك وصرت معه اليه ، فلما نظر الى تنحي عن مقعده وأقعديني ثم قال : هذا قد أعددت له لليروز لسيدتي هدية ، وأنت أولى من تجشم مع الخادم اليها ، قلت : السمع والطاعة ، ثم صاح في الدار هاتوا الهدية فاذا مائة تخت من ثياب وصندوق من ذهب مقفل عليه ، قال لي : في التخت والصندوق مبلغ ثلاثين ألف دينار وأنت أولى من تفضل بالايصال فصرنا اليها واستأذنا فلما مثلنا بين يديا أنكرتني ، وقالت : من الشيخ ؟ قلت : الخليل شاعر العراق ، ومعى هدية عبدك ضمرة ، فصاحت في الدار : مالك ، فاذا جارية كأنها الظبية المنفلتة من الشبكة ، قالت لها : خذي هذه الهدايا وفرقيها على جواري الدار ثم قالت : أبطمع الخنوص أن يجتمع معى بعد قبولي الهدية في ثلاثين سنة ؟ قلت : لها العفو عند المقدرة يعدل عتق رقبة ، قالت : ففي خمس عشرة سنة ، قلت : لها انقصها أولى بك ، قالت : ففي ثلاث سنين ، قلت : لها حطة أخرى وقد اجتمعنا ، قالت لا : والله لا آكل ولا أشرب حتى آتية وأمرت أن يسرج لها وبادرت الى باب ضمرة مبشراً فما وصلت أو



سمعت صلاح اللبم فاذا هي قد سبقني في جوارها وخدها ؛ فدخلت  
فاذا هما يتعانقان ويتعانقان فقلت : يا سيدي ما أنتما إلى شيء أخرج منكما  
إلى خلوة ، قالا : هو ذاك فانصرفت عنها ، ثم بكرت عليها ؛ فاذا هي  
في المرقد الأول جالسة عليها جبة وشيء مطير ، وهي تعصر الماء عن  
ذوائبها ، وتصلح قرونها فاستجيتني ، وقالت : لا تفكرن في ريبة ،  
فوالله ما صلينا البارحة حتى بعثت إلى عبد الرحمن بن أبي إيلي القاضي  
فزوجت نفسي سيدي ، ولكن صر إليه فانه في المرقد الثاني ، فصعدت  
إليه ، فلما نظر إلى وثب إلي وقبل بين عيني ، وقال : يا شيخ قد جمع  
الله بيني وبين سيدي بك ، ثم دعا بدواة وقرطاس وكتب إلى ابن نوح  
الصيرفي في ثلاثة آلاف دينار فرجعت إليها ، فقالت : بماذا برك سيدي ؟  
فاقرأتها الرقعة ، فقالت : نعجل إليك مثلها فدعت بال وطيبار ووزنت  
ثلاثة آلاف دينار ودعت بعشرة أبواب من ثياب مصر وقالت : هذه  
وظيفتك علينا كل عام ، فخرجت من عندها وأخذت رفقوي من آل  
سليمان وانصرفت إلى العراق ، وكان الرشيد متكئاً فاستوى جالساً وقال :  
أوه يا حسين ! لولا أن ضمرة سبقني إليها لكان لي ولها شأن من الشأن .  
( ومنه مع الشعراء ) قال : استأذنت بنت أم عبد الملك بن مروان في  
الحج فأذن لها ، وكتب إلى الحجاج يأمره بالتقدم إلى عمر بن أبي ربيعة  
أن لا يذكرها في شعره ، فلما بلغ عمر مقدمها لم يكن له همه إلا أن  
يتبها بأجل ما يقدر عليه من الحلال والثياب ، وضربت لها قبة في المسجد  
الحرام فكانت تكون فيها نهارة فاذا أمت تحولت إلى منزلها لتنظر إليه  
وتجلس بأزاء القبة ، وقد خبر عمر بشأنها فاذا أرادت الطواف أمرت  
جوارها فيسترها بالمطاريف ، فكانت تتطلع إلى عمر كثيرا وكانت تسأل  
من دخل عليها عنه رجاء أن يكون قد قال شيئاً فلم يفعل حتى قضت  
الحج ورحلت ونزلت من مكة على أميال ، فأقبل راكب من مكة  
فسأله من أين أقبلت ؟ فقال : من مكة قالت : عليك وعلى فرقة أنت

منها لعنة الله قال : ولم يا بنته عبد الملك ؟ قالت : قدمنا مكة فأقمنا  
أشهرًا فما استطاع الفاسق عمر بن أبي ربيعة أن يزودنا من شعره أبياتا كنا  
نلهو بها في سفرنا هذا ، قال : فلعله قد فعل ، قالت : فاذهب اليه  
واسأله ولك في كل بيت تأتيني به منه عشرة دنانير . فاقبل الرجل وأتى  
عمر بن أبي ربيعة فاخبره الخبر . فقال له : قد فعلت ولكن أحب أن  
تكتم علي . قال : افعل ثم أنشده :

راعَ الفؤَادَ تفرَّقُ الأحبابِ  
فظلَّتْ مُكْتَتِبًا أَكْفَكِ عِبْرَةٌ  
لَمَّا تَنَادَوْا لِلرَّحِيلِ وَقَرَّبُوا  
كَادَ الْأَسَى يَقْضِي عَلَيْكَ صَبَابَةً  
قَالَتْ سَعِيدَةٌ وَالْدُمُوعُ ذَوَارِفٌ  
لَيْتَ الْمُغِيرِيَّ الَّذِي لَمْ تَجْزِهِ  
كَانَتْ تَرُدُّ لَنَا الْمُنَى أَيَّامَنَا  
أَيَّامَ نَكُتُمْ وَدَنَا وَنَوَدُهُ  
أُخْبِرْتُ مَا قَالَتْ فَبِتُّ كَأَنَّمَا  
فَبَعَثْتُ جَارِيَتِي وَقَلْتُ لَهَا اذْهَبِي  
أُسْعَيْدُ مَا مَاءُ الْفُرَاتِ وَطَيْبُهُ  
بِالَّذِ مِنْكَ وَإِنْ نَأَيْتِ وَقَلَّمَا  
إِنْ تَبَدَّلِي لِي نَائِلًا أَشْفِي بِهِ  
يَوْمَ الرَّحِيلِ فَهَاجَ لِي أَطْرَابِي  
سَخًّا تَفِيضُ كَوَابِلِ الْأَسْرَابِ  
بُرْلَ الْجَمَالِ لِطَيْبَةٍ وَذَهَابِ  
وَالْوَجْهُ مِنْكَ لِبَيْنِ الْإِفْكِ كَابِي  
مِنْهَا عَلَى الْخَدَّيْنِ وَالْجِلْبَابِ  
فِيمَا أَطَالَ تَصَيْدِي وَطِلَابِي  
إِذْ لَا نَلَامُ عَلَى هَوَى وَتَصَابِي  
سِرًّا مَخَافَةَ مَنْطِقِ الْمُغْتَابِ  
يُزْمِي الْحِشَا بِنِوَاغِدِ النَّشَابِ  
قَوْلِي لَهَا فِي خَفِيَّةٍ وَقَرَابِ  
مِنِّي عَلَى ظَمَأٍ وَطَيْبِ شَرَابِ  
تَرْغِي النِّسَاءُ أَمَانَةَ الْغِيَابِ  
سَقَمَ الْفؤَادِ فَقَدْ أَطَلَّتِ عَذَابِي

وَعَصَيْتُ فَيْكَ أَقَارِبِي فَتَقَطَّعْتُ      بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ عُرَى الْأَسْبَابِ  
فَبَقِيْتُ كَالْمُهْرِيْقِ فَضْلَةَ مَائِهِ      فِي حَرِّ هَاجِرَةٍ لِلنَّعْرِ سَرَابِ

ثم أتى إليها بالابيات فأعجب بها وأمرت جوارها بحفظها ، ثم وفيت له بما وعدت وسلمت إليه في كل بيت عشرة دنانير . وقال : أخبرنا محمد بن خلف قال : أخبرني أبو بكر العامري قال : حدثني موسى بن عمر بن أفلح مولى فاطمة بنت الوائد بن عبد شمس بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم . قال : حدثني بلال مولى ابن أبي عتيق قال : قام الحارث بن عبد الله بن عباس بن أبي ربيعة من الحج فأثاه ابن أبي عتيق . فقال : كيف تركت أبا الخطاب ؟ فقال : هجرت الثريا عمر فقال :

مَنْ رَسُولِي إِلَى الثُّرَيَّا فَنِي      ضِغْتُ ذَرْعًا بِهِجْرَهَا وَالكِتَابِ  
سَلَبْتَنِي مَجَاجَةَ الْمِسْكِ عَقْلِي      فَسَلَوْهَا بَمَا يَحْمِلُ اغْتِصَابِي  
أُبْرَزُوهَا مِثْلَ الْمَهَابَةِ تَهَادِي      بَيْنَ خَمْسِ كَوَاعِبِ أَتْرَابِ  
وَهِيَ مَمْكُورَةٌ تُخَيِّرُ مِنْهَا      فِي أَدِيمِ الْخُدَيْنِ مَاءُ الشَّبَابِ  
وَتَكْنُفْنَهَا كَوَاعِبُ بِيضُ      وَاضِحَاتُ الْخُدُودِ وَالْأَقْرَابِ  
فِي سِخَابٍ مِنَ الْقَرْنِ نَقْلِ وَالدُّرِّ      نَفِيسِ وَاهَا لَهُ مِنْ سِحَابِ  
قَلْتُ لِمَا ضَرَبَنَ بِالسَّجْفِ دُونِي      لَيْسَ هَذَا لَوْ دَنَا بِشَوَابِ  
فَتَبَدَّتْ حَتَّى إِذَا جُنَّ قَلْبِي      حَالَ دُونِي وَلَا تُدَّ بِالنِّيَابِ  
حِينَ شَبَّ الْقَتُولَ وَالْعُنُقَ مِنْهَا      حُسْنُ لَوْنٍ يَدْفُ كَالزُّرْيَابِ  
ذَكَرْتَنِي بِهَيْجَةِ الشَّمْسِ لَمَّا      طَاعَتْ فِي دُجْنَةٍ وَسِحَابِ

دُمِيَّةٌ عِنْدَ رَاهِبٍ وَقَسْبِسٍ      صَوَّرُوهَا فِي مَذْبَحِ الْمِحْرَابِ  
فَارْجَحَنْتَ فِي حُسْنِ خَلْقِ عَمِيمٍ      تَتَهَادَى فِي مَشِيهَا كَالْحَبَابِ  
ثُمَّ قَالُوا نُحِبُّهَا قَلْتُ بِهِرًا      عَدَدَ الرَّمْلِ وَالْحَصَا وَالْتِرَابِ

وقال لغلامه : انطلق بكتابي هذا الى ابن ابي عتيق بالمدينة فادفعه اليه فأقبل الغلام بالكتاب حتى دفعه اليه ، فلما قرأه قال : والله انا رسوله اليها فسار حتى قدم مكة لا يعلم به أهله ، فأتى منزله فوجاه غائبا ، فانطلق غلام عمر الى عمر ، فقال : انت رجلا قدم وهو يطلبك من شأنه وهيئته كذا ، قال : ويحك ذلك ابن ابي عتيق اذهب اليه فقل له : ان مولاي ياتيك الآن ، وكان عمر على فرسخين بل على رأس ثلاثة أميال من مكة ، فأتاه الغلام فأخبره ، فقال : اسرج لي أنت برذون عمر فان دابتي قد تعبت وكلت فأسرجه له فركب وأتى الحمى ، فصهل البرذون وسمعت الثريا صهيله ، فقالت : لجواريا هذا هو برذون الحثيث عمر . ثم دعت ببغلة لها فوضعت عليها رحلها ، فخرجت فاذا هي بان ابي عتيق ، فقالت : مرحبا بعمي ما جاء بك يا عم ، قال : أنت والفاسق جئتما بي ، قالت : أما والله لو بغيرك تحمل علينا ما أجبناه ، ولكن ليس لك مدفع أمر ربنا نحوه ، فأقبل حتى انتهى الى عمر فخرج عمر اليه وقبل يده ثم قال : انزل جعلني الله فداك ، فقال : ماء مكة علي حرام حتى أخرج منها ، ثم دعا ببغلة فركبها وانصرف الى المدينة وخلا عمر بالثريا . وحدث الزبير بن بكار عن ابي محرم عن ابراهيم بن قدامة قال : قال عمر بن ابي ربيعة ألا أحدثك حديثا حلوا قال : قلت نعم ، قال : بينا أنا جالس إذ جاءني خالد الخريت ، فقال : يا أبا الخطاب هل لك في هند وصواحبها فقد خرجن الى نزهة ، قلت : وكيف لي بذلك ؟ قال : تلبس لبسة أعرابي ، وتعلم عمامته ، وتترك مركبه كأنك ناقد ضالة ، قال : ففعلت وجئت حتى وقفت عليهن أنشد

ضالتي فقلن : انزل ، فنزلت وقعدت أحادثهن وأغازهن ، فلما رمت  
 النهوض قالت لي هند : اجلس لاجلست أنت ألا ترى أنك وقفت علينا  
 غريباً ونحن والله وقفنا على غربتك نحن بمثنا خالداً وخذعناه وأطعمناه في  
 أنفسنا حتى جاء بك فقال خالد : صدقن والله خدعني وخذعناك فجلست  
 وتحدثنا فأنشدتهن ، فقالت هند : يا سيدي لقد رأيتني منذ أيام وقد  
 أصبحت عند أهلي فأدخلت رأسي في جيبتي ونظرت إلى هني ، فإذا هو  
 ملء الكف ومنية المئمني ، فناديت يا عمراه يا عمراه ، قال عمر : فقلت  
 يا لبيك يا لبيك يا لبيك ثلاثاً ، ومددت في الثالثة صوتي فضحكت ،  
 وحادثتهن ساعة ثم ودعتهن وانصرفت فذلك قولي :

عَرَفْتُ مَصِيفَ الْحَيِّ وَالْمُتَرَبِّعَا      يِطْنِ حُلَيَّاتِ دَوَارِسَ بَلَقَمَا  
 إِلَى السَّفْحِ مِنْ وَادِي الْمُنَمِّسِ بَدَّلْتُ  
 مَعَالَهُ وَبَلَاءً وَنَكْبَاءَ زَعَزَعَا  
 لِهِنْدٍ وَأَتْرَابِ لِهِنْدٍ إِذِ الْهُوَى      جَمِيعٌ وَإِذَا لَمْ تَخْشَ أَنْ يَتَّصَدَّعَا  
 وَإِذْ نَحْنُ مِثْلُ الْمَاءِ كَانَ مِزَاجُهُ      إِذَا صَفَّقَ السَّاقِي الرَّحِيقَ الْمُشْعَشَعَا  
 وَإِذْ لَا تُطِيعُ الْكَاشِحِينَ وَلَا نَرَى  
 لَوَاشٍ لَدَيْنَا يَطْلُبُ الصَّرْمَ مَطْمَعَا

وقال عمر : ما رأيت يوماً غابت عواذله ، وحضرت عواذره بأحسن  
 من يومنا ، ولا صبرة كصبوتنا ، ولا قيادة كقيادة خالد ، ولا أملح ،  
 ولقد وصفت ذلك في شعر ، فقلت في تمام ما تقدم :

أَتَانِي رَسُولٌ مِنْ ثَلَاثِ حَرَائِرِ      وَرَابِعَةٍ يَزُكُّو لَهَا الْحُسْنَ أُجْمَعَا

فقلتُ لِطُرَيْبِ بْنِ فِي الْحُسْنِ إِنَّمَا  
لَيْنَ كَانَ مَا حَدَّثْتَ حَقًّا لِمَا أَرَى

كَمِثْلِ الْأُولَى أَطْرَيْتَ فِي النَّاسِ أَرْبَعًا  
وَهَيَّجْتَ قَلْبًا كَانَ قَدْ وَدَّعَ الصَّبَا  
فَقَالَ تَعَالَ أَنْظِرْ فَقُلْتُ فَكَيْفَ لِي  
فَقَالَ اكْتَفِلْ ثُمَّ التَّمَّ وَأَتِ بَاغِيَا  
فَإِنِّي سَاخَفِي الْعَيْنَ عَنْكَ وَلَا تُرَى  
فَأَقْبَلْتُ أَهْوَى مِثْلَ مَا قَالَ صَاحِبِي  
فَلَمَّا تَوَاقَفْنَا وَسَلَّمْتُ أَشْرَقَتْ  
تَبَاهُكُنَّ بِالْعِرْفَانِ لِمَا عَرَفْتَنِي  
فَلَمَّا تَنَازَعْنَا الْأَحَادِيثَ قُلْنَا لِي  
فَمَا جِئْتَنَا إِلَّا عَلَى وَفْقِ مَوْعِدِ  
رَأَيْنَا خَلَاءَ بَنِ عَيْوَنٍ وَمَجْلِسًا  
وَقُلْنَا كَرِيمٌ نَالَ وَصَلَ كَرَامَتِهِ  
وَفِيهِنَّ هِنْدٌ تُكْمِلُ الْوَهْمَ وَالْمُنَى

قال : ولما أنشد عمر بن أبي ربيعة ابن أبي عتيق قصيدته التي فيها

يقول :

فَأَتَتْهَا طِبَّةٌ عَالِمَةٌ      تَخَاطَبُ الْجِدَّ مِرَارًا بِاللَّعِبِ  
تَرْفَعُ الصَّوْتُ إِذَا لَأَتْ لَهَا      وَتُرَاحِي عِنْدَ سَوْرَاتِ الْغَضَبِ

قال ابن أبي عتيق : امرأتي طالق ان لم يكن الناس في طلب مثل هذه منذ قتل عثمان يجعلونها خليفة فلم يقدروا عليها وأنت تريدنا قوادة ، قال : ولما هجا كثير بني ضمرة فقال :

وَيُحْشَرُ نُورُ الْمُسَامِينِ أَمَامَهُمْ      وَيُحْشَرُ فِي أَسْتَاهِ ضَمْرَةٌ نُورُهَا

اشتدت بنو ضمرة عليه وعلى عزة ، وأرادوا قتله ، ووضعوا له العيون فمكت شهراً لا يصل اليها فالتقى جميل وكثير . فشكى أحدهما الى صاحبه ما يلقي ، فقال جميل : أنا رسواك الى عزة فأخبرني بما كان بينكما ، قال آخر ما لقيتها بالطلعة مع أتواب لها قال : فأنام جميل وهو ينشد ذردا له ففطنت عزة ، فقالت تحت الطلعة التمس ذوداً هناك ، فانصرف جميل فأخبر كثيراً ، فلما كان في بعض الليل أتيا الطلعة وأقبلت عزة وصاحبة لها فتحدثا ملياً ، وجعل كثير يري عزة تنظر الى جميل ، وكان جميلاً ، وكثير دسها . فغضب كثير وغار عليها وقال لجميل : انطلق بنا قبل أن يصبح علينا الصبح . فانطلقا فعند ذلك يقول :

رَأَيْتُ ابْنَةَ الشُّبَلِيِّ عَزَّةً أَصْبَحَتْ      كَمَا حَتَّطِبَ مَا يَلْقَى بِاللَّيْلِ يَحْتَبِ  
وَكَأَنْتِ تُمْنِينَا وَتَرَعَمُ أَتْنَا      كَبِيضِ الْأَنْوَقِ فِي الصَّفَا الْمُتَغَيَّبِ

ثم قال كثير لجميل : متى عهدك ببشينة ؟ قال : في أول الصيف بوادي الدم ومعها جوارها يغسلن ثياباً . فخرج كثير حتى أناخ بهم وهو يقول :

وَقَلْتُ لَهَا يَا عَزُّ أُرْسِلِ صَاحِبِي      عَلَى بُعْدِ دَارِ وَالرَّسُولِ مُوَكَّلُ

بَانَ تَجْمَلِي بَيْنِي وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا وَإِنْ تَأْمُرِينِي بِالَّذِي فِيهِ أَفْعَلُ  
 أَمَا تَذَكُرِينَ الْعَهْدَ يَوْمَ لَقَيْتِكُمْ  
 بِالسُّفْلِ وَادِي الدَّوْمِ وَالثَّوْبُ يُنْفَسِلُ

فعلت بثينة ما أراد فصاحت اخساً اخساً فقال عمها : ما دهاك يا بثينة  
 قالت : ان كلباً يأتينا من وراء هذا التل فيأكل ما يجد ثم يرجع ،  
 فرجع كثير وقال لجميل : قد وعدتك التل فدونك ، فخرج جميل وكثير  
 حتى اتها الى الدومات ، وقد جاءت بثينة فلم تزل معه حتى برق  
 الصبح ، وكان كثير يقول : ما رأيت مجلساً فسط أحسن منه . عمر بن  
 شبة عن اسحاق بن ابراهيم الموصلي قال : حدثني شيخ من خزاعة قال :  
 ذكرنا ذا الرمة وعندنا عصمة ابن مالك الفزاري وهو يومئذ ابن عشرين  
 ومائة سنة ، فقال اباي فاسألوا عنه كان من أطرف الناس خفيف العارضين  
 آدم حلوا المضحك اذا أنشد اختصر ، وأتاني يوماً فقال : ان مبة منقرية ،  
 وان بني منقر أخبت حي وأعلمه بأثر ، فهل عندك من ناقة تزورها  
 عليها ؟ قلت : أي والله عندي اثنتان قال : فسرنا فخرجنا حتى أشرفنا  
 على الحي وهم خلوف ، فعرف النساء ذا الرمة فعدلن بنا الى بيت مي  
 وأنحنا عندهن فقلن لذي الرمة : أنشدنا يا أبا الحارث ، فقال أنشدهن  
 فأنشدتهن قوله :

نَظَرْتُ إِلَى أَطْعَامِ مَيٍّ كَمَا نَهَا  
 ذُرَى النَّخْلِ أَوْ أَثْلَ تَمِيدِ ذَوَائِبِهِ  
 فَأَشْعَلَتِ النَّيْرَانَ وَالصَّدْرُ كَاتِمٌ  
 بِمَغْرُورِ قِ تَمَّتْ عَلَيْهِ سِوَا كِبِهِ  
 بَكَى وَامِقٌ جَاءَ الْفِرَاقُ وَلَمْ تَجْلُ  
 جَوَائِلَهَا أَسْرَارُهُ وَمَعَاتِبُهُ

فقال ظريفة منهن إبكي اليوم ، فررت فيها حتى انتهيت الى قوله :



إِذَا سَرَحْتَ مِنْ حُبِّ مَيِّ سَوَارِحٍ عَلَى الْقَلْبِ آبَتُهُ جَمِيعًا عَوَازِبِهِ

فَقَالَتِ الظَّرِيفَةُ : قَتَلْتَهُ قَتْلَكَ اللهُ فَقَالَتْ : مَا أَصَحُّ وَهَنِيئًا لَهُ فَتَنْفَسُ  
ذُو الرِّمَّةِ تَنْفَسًا كَادَتْ حَرَارَتُهُ تَسَاقُطُ لِحْيِي ، ثُمَّ مَرَرْتُ فِيهَا حَتَّى انْتَهَيْتُ  
إِلَى قَوْلِهِ :

وَقَدْ حَافَتُ بِاللَّهِ مَيَّةٌ مَا الَّذِي أَقُولُ لَهَا إِلَّا الَّذِي أَنَا كَاذِبُهُ  
إِذَا فَرَمَانِي اللهُ مِنْ حَيْثُ لَا أَرَى وَلَا زَالَ فِي أَرْضِي عَدُوٌّ أَحَارِبُهُ

فَالْتَفَتْتُ مَيِّ إِلَى ذِي الرِّمَّةِ فَقَالَتْ : وَيْحَكَ خَفَّ عَوَاقِبُ اللهِ . ثُمَّ  
أَنْشَدْتُ إِلَى أَنْ انْتَهَيْتُ إِلَى قَوْلِهِ :

إِذَا نَازَعْتِكَ الْقَوْلَ مَيَّةٌ أَوْ بَدَا لَكَ الْوَجْهُ مِنْهَا أَوْ نَضَا الدَّرْعُ سَالِبُهُ  
فِيَا لَكَ مِنْ خَدِّ أَسِيلٍ وَمَنْطِقِ رَخِيمٍ وَمِنْ خَلْقٍ يُعْمَلُ جَاذِبُهُ

فَقَالَتْ تِلْكَ الظَّرِيفَةُ : أَمَّا الْقَوْلُ فَقَدْ نَازَعْتِكَ وَالْوَجْهَ فَقَدْ بَدَا لَكَ فَمِنْ لَنَا  
بِأَنَّ يَنْضُو الدَّرْعَ سَالِبُهُ . فَقَالَتْ لَهَا مَيِّ : قَاتِلْكَ اللهُ مَا أَنْكَرَ مَا تَجِيئِينَ  
بِهِ الْيَوْمَ ، فَتَحَادَثْنَا سَاعَةً ثُمَّ قَالَتْ تِلْكَ الظَّرِيفَةُ : مَا أَحْوَجَ هَذِينَ إِلَى الْخَلْوَةِ  
فَنَهَضْتُ وَسَائِرُ النِّسَاءِ فَصَرْتُ إِلَى بَيْتٍ قَرِيبٍ مِنْهَا حَيْثُ أَرَاهَا ، فَمَا ارْتَبْتُ  
بِشَيْءٍ وَلَا رَأَيْتُ أَمْرًا كَرِهْتُهُ ، فَلَبِثْتُ سَاعَةً ثُمَّ أَتَانِي وَمَعَهُ قَارُورَةٌ وَثَلَاثُ  
قَلَانِدٍ : فَقَالَ : هَذَا طِيبٌ زُوْدْتَنَاهُ مَيِّ ، وَقَلَانِدٌ اتَّخَفْتِكِ بِهَا ابْنَةُ الْجُودِيِّ  
فَكُنَّا نَخْتَلِفُ إِلَيْهَا حَتَّى انْقَضَى الْمَرْبَعُ وَدَعَانَا الصِّيفُ فَرَحَلُوا قَبْلَنَا ، وَأَتَانِي  
ذُو الرِّمَّةِ فَقَالَ : قَدْ ظَعَنْتُ مَيِّ فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا الدِّيَارُ وَالنَّظَرُ إِلَى الْآثَارِ ، فَأَخْرَجَ  
بِنَا إِلَى فَيْخَرَجَتٍ مَعَهُ حَتَّى إِذَا وَقَفْنَا عَلَيْهَا أَنْشَأَ يَقُولُ :

أَلَا فَاسْلَمِي يَا دَارَ مَيِّ عَلَى الْبَلِيِّ وَلَا زَالَ مِنْهُلًا بِجِرْعَاتِكَ الْقَطْرُ

حتى أتى على آخرها ، ثم انهملت عيناه بعبرة : فقلت له ما هذا ؟ فقال :  
اني جليد وان كان مني ما ترى فما رأيت أحسن شوقاً وصبابة وعزاء  
منه . وعن سليمان راوية ابي نواس قال : كنت مع ابي نواس أسير حتى  
انتهينا الى درب القراطيس ، فخرج من الدرب شيخ نصراني وخلفه غلام  
كانه غصن بان يتثنى كاحسن ما رأيت اقال : يا سليمان أما ترى الدرّة خلف  
العبرة ثم قال : هل لك أن تأخذ مني رقعة فتوصلها اليه ؟ قلت : بلى ،  
فكتبها ودفعتها الي فاوصلتها اليه ، فاذا أملح غلام وأخفه روحاً فقال : من  
صاحب الرقعة ؟ قلت : أبو نواس : قال أين هو ؟ قلت على باب درب  
القراطيس قال : فيلقف مكانه حتى أروح وكان في الرقعة :

تَمُرُّ فَاسْتَحْيِيكَ أَنْ أَتَكَلَّمَا  
وَيَهْتَزُّ فِي ثَوْبِكَ كُلَّ عَشِيَةٍ  
فَحَسْبُكَ أَنْ الْجِسْمَ قَدْ شَفَّهُ الْهَوَى  
الْبَيْسَ عَجِيبًا عِنْدَ كُلِّ مُوَحِّدٍ  
فَلَوْ لَا دُخُولُ النَّارِ بَعْدَ تَنْصَرٍ  
عَبَدْتُ مَكَانَ اللَّهِ عَيْسَى بْنِ مَرْيَمَا  
وَيَشْدِيكَ زَهُوُ الْحُسْنِ عَنْ أَنْ تُسَلِّمَا  
قَضِيبٌ مِنَ الرِّيحَانِ أَضْحَى مُنْعَمَا  
وَأَنْ جُفُونِي فِيكَ قَدْ ذَرَفَتْ دَمَا  
غَزَالٌ مُسِيحِي يَعَذُّبُ مُسَلِّمَا

وحدثنا الجمار قال : كنت يوماً على باب عندي عدي الدراع فعمر بي  
ابو نواس شديها بالمجنون ، فاذا خلفه غلام كأنه مهر عربي فقلت له مالك ؟  
فقال :

إِنَّ الرِّزِيَّةَ لَا رَزِيَّةَ مِثْلُهَا  
عَوَزُ الْمِسْكَانِ وَقَدَّتْهَا الْمَرْكَبُ

فعدلت به وبالغلام ، فأقاما سائر يومها . قال : وكان عبيد الله بن

يجي يتعشق غلاماً من دار المتوكل يقال له . رشيق ، فلا يصل اليه حتى طال ذلك عليه ، وكان أبو الاخطل يخلفه في المركب وينبسط اليه فقال له أبو عبيد الله يوماً : يا أبا الاخطل من لي برشيق فقال : الصغر الصغار والبيض الصعاج ، وجعل عبيد الله يلقي رشيقاً في الدار فيخلو به ويساره ويعطيه مائة دينار في كل لقيه الى ان علم رشيق بما في نفس عبيد الله ، وكان يتعذر عليهما الاجتماع لقضاء الوطر واللذة ، فركب أمير المؤمنين يوماً ومعه أبو الاخطل فطلب عبيد الله وتعمد أبو الاخطل رشيقاً فرده اليه ، فلما ظفر به في منزله خالياً قضى حاجته منه وركب يريد أمير المؤمنين مسرعاً ، فوصل الى المركب وقد تصبب عرقاً فقال أبو الاخطل :

لا خيرَ عندِي في الخليلِ ينامُ عن سهرِ الخليلِ  
قولوا لأَكْفَرِ من رأيتُ لكلِّ معروفِ جليلِ  
هلْ تشكرنَ لي الغداً      ة تَلطُّفي الكَفي الرُّسولِ  
إذْ نحنُ في صيدِ الجبا      لِ وأنتِ في صيدِ السُّهولِ

( ما قيل فيه من الشعر )

وتَمَشَّبتَ في الجميلِ فأسرَعَتِ وإنْ كنتِ تأتي جَميلاً  
إنْ منْ مَدُّ لِقِيَادَةِ رِجلاً      أعريُّ بأنْ يكونَ نَبيلاً

آخر :

أهواءُ الأتلافِ وملاءةُ الأختلافِ  
ليسَ يقرأ من كتابِ السوءِ إلاَّ لإيلافِ

وقال آخر :

إِنَّ الرِّقَاشِيَّ مِنْ تَكَرُّمِهِ      بَلَغَهُ اللهُ مُنْتَهَى هَمِّهِ  
يَبْلُغُ مِنْ بَرِّهِ وَرَأْفَتِهِ      مُحْمَلَانُ أَضْيَافِهِ عَلَى حُرْمِهِ

(ومن محاسن ذلك) حدثنا علي بن الحسين بن علي بن عثمان بن علي ابن الحسن قال : كانت ضمير جارية مولدة لميمونة بنت الحسن بن علي بن زيد ، فأدبتها وعلمتها الغناء فبرعت فيه ، وكانت من أحسن الناس وجهاً وبدناً ، وأبرعهم غناءً وضرباً ، فأعطيت بها مولاتها عشرة آلاف دينار ، فلما أرادت أن تبيعها وأحضر المال بككت وقالت : يا سيدتي وربيتيني واتخذتيني ولداً ، ثم تريدن بيعي فاتغرب عنك ولا أرى وجهك قالت : أشهد الله ومن حضر أنك حرة لوجه الله ، فلما ماتت ميمونة خطبها آل أبي طالب وغيرهم فغلب عليها جعفر بن حسن بن حسين ، فتزوجها وأحبها حباً شديداً ، فقدم بها البصرة فقال علي بن الحسين وكان يجالسها ويسمع غنائها : فأردت الخروج الى الرضي بخراسان فودعت جعفرًا وخرجت فاقمت بالاهواز أياماً أنهياً للخروج على طريق فارس فورد علي كتاب جعفر أنه قد وقع بينه وبين ضمير شر ، وأنها قد أغلظت له حتى تناولها ضرباً ، وأنها على مفارقتها وسألني القدوم لاصح بينها فقال علي بن الحسين وكانت لي حاجة بالرضي وكنت أرجو لذلك في وجهي منه ومن المأمون الغني ، فلما قرأت كتابه لم أعط صبراً حتى انصرفت راجعاً الى البصرة فبحثت الى جعفر فأوقعت به شتاً وعدلاً ثم أرسلت اليها : أقسمت عليك بحقي الا رجعت فخرجت مرهءاء شعثة ومسخة الثياب حتى جلست بينها ، فاقبل جعفر يعطيني من نفسه لها كل ما أريد وهي ساكنة ثم قلت : يا جارية هات العود فاخذته فأصلحت منه حتى تغنت وهي تبكي ودموعها تكف .

أُرْتَجِي خَالِقِي وَأَعْلَمُ حَقًّا أَنَّهُ مَا يَشَاءُ رَبِّي كَفَانِي  
لَا تَلْمِئِي وَارْفُتِي خَلْبِي بِشَانِي إِنَّهُ مَا عَنَّاكَ يَوْمًا عَنِّي

قال علي بن الحسين : فوالله ما رأيت أحسن منها ولا أرق من غنائها بهذا الصوت فما برحت حتى اصطلحنا وأهتني والله عن الغنى . فأقمت بالبصرة . وعن الكلبى قال : بينا عمر بن أبي ربيعة يطوف بالبيت في حال نسكه ، فإذا هو بشاب قد دنا من شابة ظاهرة الجمل ، فألقى إليها كلاما فقال له عمر : يا عدو الله في بلد الله الحرام وعند بينه تصنع هذا فقال : يا عمه انها ابنة عمي وأحب الناس الي ، واني عندها لكذلك ، وما كان بيني وبينها من سوءه قط أكثر مما رأيت قال : ومن أنت ؟ قال : أنا فلان بن فلان قال أفلا تتزوجها ؟ قال : أهي علي أبوها قال : ولم ؟ قال : يقول : ليس لك مال فقال : اصرف والتني فلقية بعد ذلك فدعا ببعلته فركبها ، ثم أتى عم الفتى في منزله فخرج اليه فرحا بمجيئه ورحب وقرب فقال : ما حاجتك يا أبا الخطاب ؟ قال : لم أرك منذ أيام فاشتقت اليك قال : فانزل فانزله وألطفه فقال له عمر في بعض حديثه : إني رأيت ابن أخيك فأعجبني تحركه وما رأيت من جماله وشبابه قال له : أجل ! ما يغيب عنك أفضل مما رأيت قال : فهل لك من ولد ؟ قال : لا الا فلانة قال : فما يندمك أن تزوجه إياها ؟ قال : أنه لا مال له قال : فان لم يكن له مال فلك مال قال : فاني أضن به عنه قال : لكني لا أضن به عنه ، فزوجه واحكم قال : مائة دينار قال : نعم فدفعها عنه ، وتزوجها الفتى ، وانصرف عمر الى منزله فقامت اليه جارية من جواريه فأخذت رداءه وألقى نفسه على فراشها وجعل يتقلب ، فأتته بطعام فلم يتعرض له فقالت : أظنك والله قد وجدت بعض ما كان يعرض لك من حكم النساء فلا تكتمها فقال هات الدواء فكتب :

تقولُ وليدتي لما رأني  
 أراك اليومَ قد أحدثت شوقاً  
 وكنت زعمت أنك ذو عزاء  
 بعيشك هل أتاك لها رسول  
 فقلت شكاً إليّ أخٌ محبٌ  
 وذُ القلبِ المصابِ ولو تعزى  
 فقصّ عليّ ما يلقى بهندي  
 فكتم من خلةٍ أعرضت عنها  
 أردت فراقها فصبرت عنها  
 طربتُ وكنت قد أقصرتُ حيناً  
 وهاج لك الهوى داءٌ دفيناً  
 إذا ما شئت فارقت القرينا  
 يسرك أم لقيت لها خدينا  
 كبعض زماننا إذ تعلمينا  
 مشوق حين يلقى العاشقيننا  
 وأشبه ذلك ما كنا لقينا  
 وكنت بودها دهرأضنيننا  
 ولو جنّ الفؤادُ بها جنونا

قال : وقال عمر بن أبي ربيعة بينا أنا خارج محرماً إذ أتتني جارية  
 كأنها دمية في صفاء اللجين في ثوب قصب كفضيب على كتيب فسلمت علي  
 وقالت : أنت عمر بن أبي ربيعة فتى قريش وشاعرها ؟ قلت : أنا والله  
 ذاك قالت : فهل لك أن أريك أحسن الناس وجهاً ؟ قلت : ومن لي  
 بذلك قالت : أنا والله لك بذلك علي شريطة قلت : وما هي ؟ قالت :  
 أعصبك وأربط عينيك وأقودك ليلاً قلت : لك ذلك قال : فاستخرجت  
 معجراً من قصب عجرتني به وقادتني حتى أتت مضرباً ، فلما توسطته فتحت  
 العجارة عن عيني فإذا أنا بمضرب ديباج أبيض مزور بجمرة مفروش بوشى  
 كوفي وفي المضرب ستارة مضروبة من الديباج الأحمر عليها قنايل ذهب  
 ومن ورائها وجه لم أحب أن الشمس وقعت على مثله حسناً وجمالاً ،  
 فقامت كالجملة ، وقعدت قبالي ، وسلمت علي فخيل لي أن الشمس تطلع

من جبينها وتغرب في شقائق خدها قالت : أنت عمر بن أبي ربيعة فتى قريش وشاعرها ؟ قلت أنا ذلك يامنتهى الجمال قالت أنت القائل .

بينما يَنْمَتَنِي أَبْصَرْتُ نَسِي      دُونَ قَيْدِ الْمَيْلِ يَعْذُو بِي الْأَفْرُ  
قالت الكُبرى أما تَعْرِفُنَ ذَا      قالت الوُسْطَى لِي هَذَا عُمَرُ  
قالت الصغرى وَقَدْ تَيَّمَّتْهَا      قد عَرَفْنَاهُ وَهَلْ يَخْفَى الْقَمَرُ

قلت : أنا والله قائلها يا سيدتي قالت : ومن هؤلاء قلت يا سيدتي والله ما هو عن قصد مني ولا في جارية بعينها ، ولكنني رجل شاعر أحب الغزل وأقول في النساء قالت : يا عدو الله يا فاضح الحرائر أنت قد فشا شعرك بالحجاز ، وأنشده الخليفة والامراء ، ولم يكن في جارية بعينها يا جواربي أخرجته فخرجت الوصائف فاخرجتني ودفعتني الى الجارية فعجرتني وقادتني الى مضربي فبت ببلية كانت أطول من ستة ، فلما أصبحت بقيت هائلا لا أعقل ما أصنع ، فما زلت أرقب الوقت ، فلما كان وقت المساء جاءتني الجارية وسلمت علي وقالت : يا عمر هل رأيت ذلك الوجه قلت : أي والله قالت : فتعجب أن أريكه ثانية ؟ قلت : اذا تكلمت فتكونين أعظم الناس علي منة ، فقالت : عى الشريطة فاستخرجت المعجر وعجرتني وقادتني فلما توسطت المضرب فتحت العصابة عن وجهي ، فاذا أنا بمضرب ديباج أحمر مدور ببياض مفروش بفرش أرمني فقعدت على ثرقة من تلك النارق فاذا أنا بالشمس الضاحية قد أقبلت من وراء الستر تتمايل من غير مكر فقعدت كالخجلة فسلمت علي ، وقالت : أنت عمر بن أبي ربيعة فتى قريش وشاعرها ؟ قلت : أنا ذاك ، قالت أنت القائل :

وإنا هِدَةٌ لِلتَّادِيَيْنِ قُلْتُ لَهَا أَنْكِي      على الرَّمْلِ فِي دَيْمُومَةٍ لَمْ تَوَسِدِ  
فَقَالَتْ عَلَيَّ اسْمُ اللَّهِ أَمْرُكَ طَاعَةٌ      وَإِنْ كُنْتُ قَدْ كَلَّفْتُ مَا لَمْ أَعُودِ

فما زلتُ في ليلٍ طويلٍ مُلتمَّماً      لذينةِ رُضابِ المسكِ كالمُتَشهِّدِ  
 فلما دنا الإصباحُ قالتُ فضحتني      فقم غيرَ مطرٍ ودوإنِ شئتُ فازدَدِ  
 فما زددتُ منها وانشحتُ بِمِرطِها      وقلتُ لعيني أسفحاً الدَّمعَ من غَدِ  
 فقامتُ تُعفى بالرداءِ مكانها      وتطلبُ شذراً من جنانِ مُبددِ

قلت : أنا قائلها قالت : فمن الناهدة الثديين ؟ قلت : يا سيدتي قد سبق في الليلة الاولى والله ما هو مني قصد ، ولا في جارية بعينها ، ولكني رجل شاعر أحب الغزل وأقول في النساء قالت : يا عدو الله انت قد فشا شعرك بالحجاز ورواه الخليفة وتزعم أنه لم يكن في جارية بعينها يا جواربي ادفعنه فوثبت الجواربي فاخرجتني ودفعتني الى الجارية فعجزتني وقادتني الى مضربي فبت في ليلة كانت أطول من الليلة الاولى ، فلما اصبحت أمرت بخلوق فضرب لي وبقيت ارقب الوقت هائماً ، فلما كان وقت المساء جاءني الجارية فسلمت علي وقالت : يا عمر هل رأيت ذلك الوجه ؟ قلت : أي والله قالت : أفتحب ان أريكه الثالثة قلت : اذا تكورين أعظم الناس علي منة قالت : على الشريطة ؟ قلت : نعم فاستخرجت المعجر وعجزتني به وقادتني حتى أتت بي المضرب ، فلما توسطته فتحت العصابة عن عيني فاذا أنا في مضرب ديباج أخضر مدنر بجمرة مقروش بنجر أحمر واذا أنا بالشمس الضاحية قد أقبلت من وراء الستر كحور الجنان فسلمت علي وقالت : انت عمر بن ابي ربيعة فتى قريش وشاعرها ؟ قلت : أنا ذاك ، قالت : انت القائل :

نعب الغراب بيين ذات الدملج      ليت الغراب بيئتها لم يشحج  
 ما زلت أتبعهم وأتبع عيسهم      حتى دُفعتُ إلى ربيعة هو دَج



قالت وعيش أخِي وحُرْمَةِ والِدِي      لأنَّهِنَّ الحَيَّ إِنَّمَا تَخْرُجُ  
فلتَمْتُ فإِذَا أَخَذْتُ بِقُرُونِهَا      شَرِبَ التَّزْيِيفِ بِرَدِّ مَاءِ الحَشْرَجِ  
فتناوَأْتُ كَفِّي لِتَعْرِفَ مَسْهَا      بِمُخَضَّبِ الأَطْرَافِ غَيْرِ مُشْنِجِ

قلت : أنا قائلها ، قالت : يا عدو الله انت الذي فضحتنا ونفسك وجهي من وجهك حرام ان عدت الي يا جواربي أخرجه ! فوثب الي الوصائف وأخرجني ودفعتني الي الجارية فمجرتني وقادتني ، وقد كنت عند خروجي من مضربي ضربت يدي بالخلوق وأسدت عليها ردائي ، فلما صرت الي باب مضربها أخرجت يدي ووضعتها على جانب المضرب وضعا بينا ، فلما أصبحت صحت بغلماني وعبيدي ولي ألف عبد من أتاني بخبر المضرب الذي ضرب فيه بكذا وكذا فهو حر لوجه الله ، فلما كان في وقت المساء أتتني وليدة سوداء ، فقالت : قد عرفت المضرب ، وهو لومة أخت عبد الملك بن مروان فأعنتها وأمرت لها بمائتي دينار ، وأمرت بمضربي فقلع وضرب بجذاه مضربها وكتب بالخبر الي عبد الملك بن مروان ، فكتب اليها بالرجل ، فركبت هودجها وركبت فرسي ، فزاحمتها في بعض الطريق فأشرفت علي من هودجها ، فقالت : اليك عنى أبا الرجل ! قلت : خاتم أو قميص أذكرك به ، فقالت لبعض جواربها : ألقى اليه قميصا من قميصي فأخذته وأنا أقول :

فلا وأيكَ ما صوتُ الغواني      ولا شربُ التي هي كالقصوصِ  
أردتُ برحلتِي وأريدُ حظًّا      ولا أكلَ الدجاجِ ولا الغبيصِ  
قميصٌ ما يُفارِقني حَيَاتِي      أنيسٌ في المُقامِ وفي الشُّخُوصِ

وجعلت أنزل بنزولها وأركب بركبها حتى كنا من الشام على ثلاث

مراحل : فاستقبلها عبد الملك في خاصته فدخل اليها ، ثم قال : يا رملة ألم  
 أنك ان تطوفي بالبيت الا ليلاً يحفك الجوارى ، ويحف الجوارى الخدم ،  
 ويحف الخدم الوكلاء ، لئلا يراك عمر بن ابي ربيعة ، قالت : والله وحياة  
 امير المؤمنين ما رأني ساعة قط فخرج من عندها فبصر بمضربي ، فقال :  
 لمن المضرب قيل لعمر بن ابي ربيعة ، قال : علي به فأثبته بلا رداء ولا  
 حذاء فدخلت عليه وسلمت عليه فقال : يا عمر ما حملك على الخروج من  
 الحجاز من غير إذني ، قلت : شوقا اليك يا امير المؤمنين وصياحة الى  
 رؤيتك فأطرق ملياً بنكت في الارض بيده ، ثم رفع رأسه فقال : يا عمر هل  
 لك في واحدة ؟ قلت : وما هي يا امير المؤمنين قال : رملة ازوجكها ،  
 قلت : يا امير المؤمنين وان هذا لكائن ، قال : أي ورب السماء ، ثم  
 قال قد زوجتك فادخل اليها من غير أن تعلم فدخلت عليها فقالت : من  
 أنت هبلتك امك فقالت : يا سيدي انا المعذب في الثلاث فارتحلت وأنا  
 عديتها فأنشأت أقول :

أَعْمَرِي لَقَدْ نَلْتُ الَّذِي كُنْتُ أُرْتَجِي  
 وَأَصْبَحْتُ لَا أَخْشَى الَّذِي كُنْتُ أُحْذَرُ  
 فَلَيْسَ كَمِثْلِي الْيَوْمَ كَسْرَى وَهَرْمَزُ  
 وَلَا الْمَلِكُ النُّشْمَانُ مِثْلِي وَفَيْصَرُ

فلم أزل معها بأحسن عيش وغبطة .

٤٣ - محاسن الديب

الاصمعي قال : اخبرني رجل من بني أسد أنه خرج في طلب أبل قد

ضلت فيينا هو يسير في بلاء وتعب ، وقد امسى في عشية باردة اذ رفعت له اعلام قال : فقصدت بيتاً منها فاذا انا بامرأة جميلة ذات جزالة فسلمت فردت علي السلام ثم قالت : ادخل فدخلت فبسطت لي ومهدت واذا في حجرها صبي أطيب ما يكون من الولدان . فيينا هي تقبله اذ اقبل رجل امام الابل دميم المنظر ضئيل الجسم كأنه بعرة دمامة واحتقاراً ، فلما بصربه الصبي هس اليه وعدا في تلاقئه فاحتمله وجعل يقبله ويفديه . فقلت : في نفسي اظنه عبداً لها ، فجهاني ووقف بباب الخيمة وسلم فرددت عليه السلام ، فقال : من ضيفكم هذا ؟ فاخبرته فجلس الى جانبها وجعل يداعبها فطفقت انظر اليها تارة واليه أخرى أتعجب من اختلافها كأنها الشمس حسناء ، وكأنه القرد فيجاً ، ففطن لنظري ، وقال : يا أخا بني أسد أتري عجيباً ؟ قال تقول أحسن الناس وجهاً . وأقبح الناس وجهاً فليت شعري كيف جمع بينهما ؟ أخبرك كيف كان ذلك ، قلت : ما أحوجني إلى ذلك ، قال : كنت سابع إخوتي كلهم لو رأيتني معهم ظننتني عبداً لهم ، وكان أبي وإخوتي كلهم أصحاب إبل وخيل ، وكنت من بينهم مطروحاً لكل عمل دني للعبودية تارة ولرعي الابل أخرى ، فيينا أنا ذات يوم تعب مكتئب اذ ضل لنا بعير فتوجه إخوتي كلهم في بغائه فلم يقدروا عليه ، فأتوا أبي وقالوا : ابعث فلاناً ينشد لنا هذا البعير ، فدعاني أبي وقال : اخرج فانشد هذا البعير ، فقلت : والله ما أنصفتني ولا بنوك أما إذا الابل درت ألبانها وطارت ركوبها فأنتم جماعة أهل البيت أربابها واذا ندت ضلالها فأننا باغيها ، فقال : قم يا لكع فاني أراه آخر يومك فغدوت مقهوراً خلق الثياب حتي أتيت بلاداً لا أنيس بها فطفقت يومي ذلك أجول في القفر ، فلما أمسيت رفعت لي أبيات فقصدت أعظم بيت منها فاذا امرأة جميلة نحيلة للسودد والجزالة ، فبدأتني بالتحية وقالت : انزل عن الفرس وأرح نفسك فأتتني بعشاء فتعشيت ، وأقبلت هذه تسخر مني وتقول : ما رأيت كالعشبة أطيب ريحاً منك ولا أنظف ثوباً ولا

أجمل وجهاً ، فقلت : يا هذه دعيني وما أنا فيه فاني عنك في شغل شاغل ، فأبت علي ، وقالت : هل لك أن تلج على السجف اذا نام الناس فأغراني والله الشيطان ، فلما شبت من القرى وجاء أبوها واخوتها فضجعوا أمام الحية قت ووكزته برجلي ، قالت : ومن أنت ؟ قلت : الضيف ، قالت : لا حياك الله اخرج عليك لعنة الله ، فعلت أني لست في شيء من أمرها فوليت راجعاً ، فواثبني كلب لهم كأنه السبع لا يطاق ، فأراد أكلي فأنشب أنيابيه في مدرعة صوف كانت علي وجعل يمزقني فردني القهقري وتعذر علي لخلاص ، فأهويت انا والكلب من قبل عقبي في بئر أحسن الله الى ابيه لا ماء فيها ، فلما سمعت المرأة الواغية أنت بجبل فأدلته وقالت : ارتق لعنك الله ، فوالله لولا ابيه يقتص أثري غدا لوددت أنها قبرك فأعتنقت الحبل ، فلما كدت ان اتناول يدها قضى ان تهور ما تحت قدميها ، فاذا انا ، وهي والكلب في قراره البئر بئر أيما بئر ؟ انا هي حفرة لا طي لها ولا مرقاة ككأشد بلية بنا عضا ، الكلب ينبع من ناحية ، وهي تدعي بالويل والشبور من ناحية ، وأنا منقبع قد برد جلدي على القتل من ناحية ، فلما أصبحت ايتها فقدتها فلما لم ترها اتت اباه فقالت : يا شيخ أعلم ان ابنتك ليس لها أثر بحس ؟ وكان أبوها عالماً بالآثار تابعاً لها ، فلما وقف على شفير البئر ولي راجعاً فقال لولده : يا بني أنعلون ان اختكم وضيغكم وكلبكم في البئر ؟ فبادروا كالسباع ، فمن بين آخذ حجراً وآخذ سيفاً أو عصا ، وهم يومئذ يريدون ان يجعلوا البئر قبوري وقبرها ، فلما وقفوا على شفير البئر قال ابوهم : ان قتلتم هذا الرجل طولبتم بدمه وان تركتموه افتضحتم وقد رأيت ان ازوجها إياه ، فوالله ما يقدر لها في نسب ولا في حسب ، ثم قال لي : افيك خير ؟ فلما شممت روح الحياة وثاب الي تقلي قلت : وهل الخير كله الا في ، فهات اختكم ؟ فقال : مائة بكرة وبكرة ، وجارية وعبد ، فقلت لك ذلك وان شئت فازدد ، فأخرجت اولاً ، والكلب

ثانياً ، واخرجت ثالثاً فأثبت ابي ، فقال : لا أفلحت فأين البعير ؟ قلت : اربع عليك أيا الشيخ ! فانه كان من القصة كيت وكيت . قال : أفعل والله ولا أخذ لك ، فدعا بالابل فعد منها مائة بكرة وبكرة وسقناها مع جارية وعبد وأخذت منه هذه غرة نفسها قال : والله كذلك ، وجعلت تصدف عن حديث زوجها صدوف المهرة العربية سمعت لجامها ، وربما قالت لا أطاب الله خبرك .

### (ضده مساوي الديب)

قال : وقيل لخراش الأعرابي حدثنا ببعض هنالك ، قال : خرجت في بغاء ذود لي فدفعت في عشية سانية الى أخبية كثيرة ، فضافوا وحيوا ورحبوا ، فلما أردت النوم أقاموا فتاة لهم من موضع مبيتها ، وجهلوني مكانها لئلا أتأذى بالغم ، واني لمضطجع اذا أنا بيد انسان يجامشي وييد في الظلمة مؤانتي ففعدت ، فاذا أنا برجل يد يده ومعه علبة فيها أرنب مشوية ، فأخذتها وجعلتها في شيء كان معي ، ثم مد يده ثانياً فناولته يدي فأقبضني على غرمول كمثل الوند ، فلم أنفر منه ولم أره وحشة وجردت ما عندي ، وتناوات يده فأقبضته على مثل ما أقبضني عليه ففطن ، ورمى بلحفة خز كانت عليه ووشب مذعوراً ، فنفرت الابل وهاجت الغنم ، وكادت أغشى لما لي من الضحك وأخفيت ما بي وكنته ، فلما أصبحت ركبت راحلتي ، ومعني الملحفة ، والعلبة ، والأرنب . فلما امتد الضحى اذا أنا بابل فأخذت نحرها ، فاذا شاب حسن الهيئة فلمت عليه فرد السلام ثم قال : ان كان معك ما نأكل فصب من هذا الوطب فأخرجت العلبة ، فلما رآها عرفها وقال : انك هو ، قلت : وما هو قال : صاحب البارحة ، قلت : نعم ان كنت اياه ، قال ؟ الحمد لله الذي أتى بك لو لم تأت لظننت

اني أوسوس ، وذلك اني لصاحبة الستر عاشق ، وتعلم ما فعلت وفعلت  
البارحة ، ولا تطيقت له حتى ابتلاني الله بك البارحة ، وجعلت أقول  
حين أقبضني عليه أتواها نحولت رجلا ، واني اني شك من امري حتى  
أتاني الله بك ، فأكلت انا وهو الأرنب وشربنا من اللبن وصرنا اصدقاء  
الأصمعي قال : أتى خالد بن عبد الله أعرابي فأضافه واحسن اليه وبذل له  
صحن الدار ، فلما كان في بعض الليل اشرف عليه يتعاهد منه ما كان  
يتعاهد من ضيفه ، فاذا هو قد دب على جارية وهو على بطنها فأعرض  
عنه ، فما لبث الأعرابي ان فرغ وقام يمسح فيثلته ، فضربته عقرب ،  
فصاح واستغاث ، وأشرف خالد عليه وهو يقول :

وداري إذا نام سُكَّانُهَا      تُقِيمُ الحُدُودَ بِهَا العُقْرَبُ  
إذا غفلَ النَّاسُ عنِ دِينِهِمْ      فَإِنَّ عَقَّارِ بَنَّا تَغْضَبُ

قال : وكان اعرابي ضيفاً لقوم فنظر الى جارية جميلة فدب اليها ،  
فاذا عجوز في صحن الدار تصلي فعاد الى فراشه ، ثم عاودها فنبع الكلب ،  
ثم عاد اليها ، فاذا القمر قد طلع فأنشأ يقول :

لَمْ يَخْلُقِ اللهُ خَلْقًا كُنْتُ أَكْرَهُهُ      إِلَّا العَجُوزَ وَعَيْنَ الكَلْبِ والقَمَرَ  
هَذَا يَصِيحُ وهذا يُسْتَضَاءُ بِهِ      وَهَذِهِ شَيْخَةٌ قَوَّامَةُ السَّحَرِ

وقال : وشرب سعيد بن حميد البصري عند راشد فدب على غلامه ،  
فكتب اليه سعيد :

ما سَمِعْنَا مِنْ قَبْلِهَا بِأَدِيبٍ      بَارِعِ الظُّرْفِ ماجِدِ قَمَقَامِ  
ضَلَّ عَنْهُ وَهُوَ المَهْدَبُ عِلْمًا      فَتَكَاتُ الكُثُوسِ بِالأَحْلَامِ

له مَوْلَايَ سَيِّدِ الْحُكَّامِ  
 رَانَ عَيْبٌ فِيهَا أَتَى مِنْ أَثَامِ  
 مَوْنٍ فِي الظَّرْفِ مِنْهُ وَالْإِسْلَامِ  
 بِاجْتِمَاعٍ مِنْ مَعْشَرِ النَّدَامِ  
 مِنْهُ الشُّكْرُ مِنْ قَبِيحٍ وَذَامِ  
 لِكَ وَالْمُتْرَعَاتِ مِنْ كُلِّ جَامِ  
 فَتَقَانِي بَطْرَفِهِ وَالْمُدَامِ  
 لَمْ لَقَدْ حَدَّثَ عَنْ سَبِيلِ الْكِرَامِ  
 ثُمَّ ثَبِتُ بَعْدَهُ بِغَرَامِ  
 نَا بِسُكْرِ أَوْ حَالِمًا فِي مَنَامِ  
 وَلَوْ دُمْتُ عَائِشًا أَلْفَ عَامِ  
 مَا لِي كَانٍ مِنْ شَدِيمِ الْكَلَامِ

أُتِيَ مَا جَاءَ مِنْ حَدِيثِ رَسُولِ اللَّهِ  
 مَا عَلَى مُنْقَلٍ مِنَ النَّوْمِ وَالسُّكْرِ  
 ثُمَّ أُتِيَ الَّذِي بِهِ حَكَمَ الْمَاءُ  
 أَيُّهَا مَا جَدِ أَرَادَ مُرُورًا  
 فَعَلَيْهِ طِيُّ الْبِسَاطِ بِمَا قَدْ  
 حُلَّتْ بَيْنِي وَبَيْنَ عَقْلِي بِأَرْطَا  
 ثُمَّ وَكَلَّتْ فِي الْعُرْفِ رَشِيقًا  
 ثُمَّ بَاكَرْتَنِي بِعَتَبِكَ وَاللَّوْ  
 وَتَفَضَّيْتَنِي قَدْتُ عَمْرًا  
 هَلْ رَأَيْتَ الْإِلَهَ بِأَخْذٍ مَجْنُونِ  
 لَنْ تَرَانِي مُعَاشِرًا لَكَ مَا عَشْتِ  
 أَوْ تُتْرَى تَائِبًا وَتَسْتَغْفِرَ اللَّهُ

فاجابه راشد فقال :

وَنَجِيبَ الْأَخْوَالِ وَالْأَنْعَامِ  
 لَمْ يَكُنْ عَنْ حَقِيقَةٍ فِي الْكَلَامِ  
 بِمِلَامٍ عَلَيْكَ فِي الدُّوَامِ  
 تِ قَبِيحًا وَلَا أُرْتَكَابَ الْأَثَامِ

يَا أَبَا جَنْفَرٍ سَلِيلَ الْعَمَالِي  
 إِنْ يَكُنْ قَدْ أَتَاكَ عَنِّي مَرْحٌ  
 أَوْ أَكُنْ فِيهِ كَالَّذِي كَانَ يَفْدُو  
 إِنْني عَالِمٌ بِأَنَّكَ لَمْ تَأْ

هُوَ ذَنْبُ الْمُدَامِ لَا ذَنْبُ خَلِيٍّ      لَمْ يَزَلْ حَافِظًا لِعَوْدِ الذَّمَامِ  
 ثُمَّ ذَنْبُ الْعُيُونِ يَا بْنَ حَمِيدٍ      فَلَهُ الذَّنْبُ بَعْدَ إِسْتِغْرَامِ  
 قَعْدَا فِي طَرِيقِ أُبْرُكٍ حَتَّى      عَرَّضَاهُ لِلظَّنِّ وَالْإِتْهَامِ  
 فَتَغَمَّدَ أَخَاكَ بِالصَّفْحِ فَالِصَّفْءِ      حِ دَلِيلٌ عَلَى سَجَايَا الْكِرَامِ  
 إِنِّي تَائِبٌ وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ      لِمَا كَانَ مِنْ شَنِيعِ الْكَلَامِ

ما قيل في ذلك من الشعر :

فَمَا أَعْيُنٌ عَشْرٌ عَلَى سَاقِ رَجَسٍ      تَضَاحِكُ عَيْنَ الشَّمْسِ بِالْمَقْلِ الصُّفْرِ  
 بِأَحْسَنَ مِمَّنْ زَارَنِي بَعْدَ هَجْعَةٍ      يَمِيسُ هُوَيْنًا فِي الظَّلَامِ عَلَى دُعْرِ

قال : ودب رجل على قينة في مجلس فغنت :

مَازَا يُشَوِّشُ طَرَّتِي      يَا قَوْمُ فِي وَقْتِ السَّعَرِ  
 مَازَا يُعَالِجُ تِكَّتِي      وَيَلَاهُ عَدَنِي السَّوَرِ

وقال علي بن حمزة :

مَتَوَرَّدُ الْخَدَّيْنِ مِنْ خَجَلٍ      مَتَخَاذِلُ الْأَعْضَاءِ مِنْ كَسَلِ  
 خَاضَ الدُّجَا وَالشُّوقُ يَجْمَلُهُ      وَأَتَاكَ بِمِشْيِ غَيْرِ مُنْتَعَلِ  
 مَا رَاعَنِي إِلَّا تَدَافِعُهُ      كَالْفَصْنِ بَيْنَ الصَّدْرِ وَالْكَفَلِ



وقال عمر بن ابي ربيعة الخزومي :

قالت وأبشثها سرِّي وُبجَّتْ بهِ  
ألسنتُ تُبصِرُ مَنْ حَوَّلِي فقلتُ لها  
قد كُنتَ عِنْدِي تَحِبُّ السَّرْفَاسَتِرَ  
عَطِي هَوَاكَ وَمَا أَلْقَى عَلَيَّ بَصَرِي

#### ٤٤ - محاسن الباه

حكى عن عالج جارية ، كشوح انها حدثت مولاتها انها كانت تغتسل كل يوم فسألته عن ذلك ، فقالت : يا هذه انه يجب على المرأة ما يجب على الرجل بعد احتلامه ، قالت : أو تحتلين ؟ قالت : إنه لا تأتي علي ليلة لا اجامع فيها الا واحتم ، قالت : فكيف يكون ذلك ؟ قالت : أرى كان رجلا جامعني ، ولقد رأيت ليلة كأنني مررت بدكان أبي مالك الطحان وبغل له واقف قد أدلى ورماني تحته واوجه فاحتمت ، ثم انتهت وانا أجد معكة في مراق بطني ولذة في سويداء قلبي وكان هذا البغل اذا أدلى حك الارض برأس أيره وضرب به في بطنه فتوى الغبار يتطاير عن يمينه وشماله . قال : وكانت مهدية بنت جبير التغلبية تقول : ما في بطن الرجل بضعة أحب الى المرأة من بضعة تناط بعقد الحمالين ومنفرج الرجلين حدثني جهم قال : قلت لأمرأة من كلب ما أحب الاشياء من الرجال الى النساء قالت : ما يكثر الاعداد ، ويزيد في الاولاد حربية في غلاف تناط بحقوي رجل جاف ، اذا غافس أوهى ، واذا جامع أنجى قال . وقال ابو ثامة لامرأة من زبيد وهي تبكي عند قبر من الميت قالت : كان يجمع بين حاجبي والساق ويهزني هز الصارم الاعناق ، ووالله لولا ما ذكرته لك . ما استهلت بالدموع عيناى وقد كذبتك امرأة تبكي على زوجها تغير ما أعلمتك . قال

وركب الرشيد حماراً مصرباً وطاف على جواربه ، فقالت له واحدة : يا مولاي ما أكثر ما تركب هذا الحمار ، قال : لانه يسب طيفور ، قالت : فمن يسب طيفور يركب ، قال : نعم قالت ففي حرام طيفور ، قال : فنزل ووقعها وأنشد في مثله :

نَظَرْتُ إِلَيْهَا حِينَ مَرَّتْ كَأَنَّهَا      عَلَى ظَهْرِ عَادِيٍّ فِتَاةٌ مِنَ الْجِنِّ  
وَنِي نَظَرْتُ لَوْ كَانَ يُجْبِلُ نَاطِرُهُ      بِنَظَرَتِهِ أَنْتَى لَقَدْ حَبَلْتُ مَنْسِي

### ضده في مساوي العنين

قال بعضهم : تزوج العجاج امرأة يقال لها : الدهناء بنت مسحل فلم يقدر عليها ، فشكت ذلك الى أهلها فسألوه فراقها فأبى وقال لايبها : تطلب لابنتك الباه ، قال : نعم عسى أن تزق ولداً ، فان مات كان فرطا وان عاش كان قرة عين فقدموه الى السلطان فاجله شهراً ثم قال :

قَدْ ظَنَنْتِ الدَّهْنَاءَ وَظَنَّ مِسْحَلُ      أَنَّ الْأَمِيرَ بِالْقَضَاءِ يُعْجِلُ  
عَنْ كَسَلَاتِي وَالْحِصَانُ يَكْسَلُ      عَنِ السُّفَادِ وَهُوَ طَرَفٌ هَيْكَلُ

ثم أقبل على امراته فضها الى صدره فقالت :

تَنَحَّ لَنْ تَمْلِكَنِي بَضْمٌ      وَلَا بِتَقْبِيلٍ وَلَا بِشَمِّ  
إِلَّا بَزَعِاعٍ يُسَلِّي هَمِّي      يَسْقُطُ مِنْهُ فَتَخِي فِي كَمِّي

يَطِيرُ مِنْهُ حَزَنِي وَغَمِّي

ابن ابي الدنيا أن أعرابياً أخبره أن امرأة منهم زفت الى رجل فعجز

عنها فتذاكر الحي امر الضعفاء من الأزواج عن الباه وامرأة الاعرابي تسمع فتكلمت بكلام ليس في الارض أعف منه ، ولا أدل على عجز الرجل عن النساء فقالت متمثلة :

تَبَيْتُ الْمَطَايَا حَائِدَاتٍ عَنِ الْهُدَى

إِذَا مَا الْمَطَايَا لَمْ تَجِدْ مَنْ يُقِيمُهَا

الرقاشي قال : حدثني أبو عبيدة قال : سمعت ناساً من الحجاز يقولون : تزوج رجل منا امرأة فعجز عنها الا أنه اذا لامها ابتأر فيها فقصي ان حملت ، وما مكثت الا ان رأس ولدها ، فجلس في المجلس فقال له قائل : لقد جئت من بلل قليل ، قال : جئت من بلل لو أصاب مفيض أمك لكان كما قال الشاعر :

رَطَبُ الطُّبَاعِ إِذَا حَرَكْتَ جَوْهَرَهُ      وَجَدْتَ أَعْضَاءَهُ غَرَّقِي مِنَ الْبَلَلِ  
وَلَمْ أَهْجِنَهُ إِلَّا أَنَّهُ رَجُلٌ      قَلَّتْ سَلَامَتُهُ مِنْ جَانِبِ الْكَفَلِ

الهلاي قال : رأيت وافر بن عصام يسأري المهدي ، فحدثه بحديث فضحك ، فقلت له : حدثني ما حدثت به المهدي قال سألتني ما عندك للنساء ؟ فقلت : ما لمن عندي الا حديث ابن حرم ، قال : وما حديثه ؟ قلت : عمر حتى بلغ الثمانين ، فتزوج ابنة عم له ، فلما أهديت اليه فعد بين شقيها ، فاكل وأراق على بطنها ، فأقبل عليها كالمعتذر ، فقال : هذا خير من الزناء ، قالت : كل ذلك لا خير فيه . قال : وشكت امرأة زوجها ، وأخبرت عن عجزه انه اذا سقط عليها انطبق والنساء يكرهن وقوع الرجل على صدورهن فقالت : زوجي عيايا طباقاه وكل داء له داء وقيل في ذلك :

جَزَاكَ اللهُ شَرًّا مِنْ رَفِيقٍ      إِذَا بُلِّغْتَ مِنْ رَكْبِ النَّسَاءِ  
رَمَاكَ اللهُ مِنْ عِرْقٍ بِأَفْعَى      وَلَا عَافَاكَ مِنْ جَهْدِ الْبَلَاءِ  
أُجِينَا فِي الْكَرِيهَةِ حِينَ تَلْقَى      وَنَعْظًا حِينَ تَغْبُرُ فِي الْخَلَاءِ

### ٤٥ - محاسن النيروز والمهرجان

قال الكسروي : كان اول من ابدع النيروز ، وأسس منازل الملوك ، وشيد معالم السلطان ، واستخرج الفضة والذهب والمعدن ، واتخذ من الحديد آلات ، وذال الخيل وسائر الدواب واستخرج الدر ، وجلب المسك والعنبر وسائر الطيب ، وبني القصور ، واتخذ المصانع ، واجرى الانهار كبا خسرو ابن ابرويز جهان وتفسيره حافظ الدنيا بن ارفغشد بن سام بن نوح عليه السلام ، وكان الاصل فيه انه في النيروز ملك الدنيا وهو اقاليم إيران شهر ، وهي ارض بابل ، فيكون النيروز في اول ما اجتمع ملكه واستوت اسبابه فصارت سنة ، وكان في ملكه ألف سنة وخمسين سنة ، ثم قتله البيوراسف ، وملك بعده ألف سنة الى أفريدون بن أثفيان وفيه يقول حبيب :

وَكَأَنَّهُ الضَّحَّاكُ فِي فَتَكَاتِهِ      بِالْعَالَمِينَ وَأَنْتَ أَفْرِيدُونُ

فطلب البيوراسف وملك بعده ألف سنة وخمسين سنة وامره بأرض المغرب وكبله وسجنه بجبل دنياروند ، واستوفى عدة ما كتب الله له من عمره ، واتفق لأفريدون سجن البيوراسف يوم النصف من مهرماه ومهرروز فسمى ذلك اليوم المهرجان ، فالنيروز لجم والمهرجان لأفريدون ، والنيروز أقدم من المهرجان بألفي وخمسين سنة ، وقسم جم ايام الشهر ، وجعل الخمسة

الأيام الأولى للأشرف وبعدها خمسة أيام نيروز الملك يجب فيها ويصل ،  
ثم بعدها خمسة أيام لخدم الملك ، وخمسة أيام لخواص الملك ، وخمسة  
لجنده ، وبعدها خمسة أيام للرعاع فذلك ثلاثون يوماً ، وابتدع المهرجان  
افريدون لما أسر البيوراسف روزمهر ، وكانت الملك اذا لبس زينته ولزم  
مجلسه في هذين اليومين آتاه رجل رضي الاسم مختبر باليمن طلق الوجه  
ذلق اللسان ، فيقوم قبالة الملك ، ويقول ائذن لي بالدخول فيسأله من أنت  
ومن اين جئت واين تريد ومن سار بك ومع من قدمت وما الذي معك ؟  
فيقول : جئت من عند الاعمين ، وأريد الاسعدين ، ومار بي كل منصور ،  
واسمي خجسته اقبلت معي السنة الجديدة ، وأوردت الى الملك  
بشارة وسلاماً ورسالة فيقول الملك : ائذنوا له فيقول له الملك : ادخل  
ويضع بين يديه كوباً من فضة قد جمع في نواحيه أرغفة قد خبزت من أنواع  
الحبوب من البر والشعير والدخن والذرة والحمص والعدس والارز والسمسم والباقي  
واللوبيا ، وجمع من كل صنف من هذه الحبوب سبع حبات فجعل في جوانب الخوان  
ووضع في وسطه سبعة من قضبان الشجر التي يتفاهل بها وباسمها ويتبرك بالنظر اليها  
كالخلاف والزيتون والسفرجل والرمان ، منها ما يقطع على عقدة ، ومنها على عقدتين  
ومنها على ثلاثة ، ويجعل كل قضيب باسم كورة من الكور ، ويكتب في مواضع  
ابزود واوزاند واوزون وبروار وفراخي وفراهيه تأويله . زاد ويزيد وزيادة  
ورزق وفرح وسعة — ويوضع سبع سكرجات بيض ودراهم بيض من ضرب سنته  
ودينار جديد وضفت من أسبند ، ويتناول ذلك كله ، ويدعو له بالخلود  
ودوام الملك والسعادة والعز ، ولا يؤامر يومه في شيء استفاقاً من أن  
يبدو منه ما يكره فجرى على سنته ، وكان اول ما يقدم اليه صينية ذهب أو  
فضة عليها سكر أبيض وجوز هندي مقشر رطب وجامات فضة أو ذهب ،  
ويبتدىء باللبن الحليب الطري منه قد أنقع فيه تمر طري ، فيتناول  
بالتارجيل تمرات ويتحف من أحب منه ويدوق ما أحب من الحلوى ، وكان  
يرفع في كل يوم من أيام النيروز باز أبيض ، وكان بمن ييمن بابتدائه

في هذا اليوم لقمة من اللبن الصرف الطري والجن الطري ، وكان جميع ملوك فارس يتبركون بذلك وكان يسرق له في كل يوم نيروز مساء في جرة من حديد أو فضة ويقول : استرق هذا الاسعدين ويتحمل الايمن ، وجعل في عنق الجرة قلادة من يواقيت خضر منظمة في ملك الذهب بمدود فيها خرز من زبرجد أخضر ، ولم يكن يسرق ذلك الماء الا الابكار من أسافل دارات الارحاء وصنائع الغنى ، فكان متى اجتمع النيروز في يوم السبت أمر الملك لرأس الجالوت بأربعة آلاف درهم ، ولم يعرف له سبب أكثر من ان السنة جرت منهم بذلك فصارت كالجزية ، فكان يبني قبل النيروز بخمسة وعشرين يوماً بي صحن دار الملك اثنتا عشرة اصطوانة من لبن ، تزرع اصطوانة منها برأ ، واصطوانة شعيراً ، وأخرى أرزاً ، وأخرى عدساً ، وأخرى باقلي ، وأخرى دخناً ، وأخرى ذرة ، وأخرى لوبيسا ، وأخرى حمصاً ، وأخرى سمساً ، وأخرى ماشاً ، ولم يكن يحصد ذلك الا بغناء وترنم وهو ، وكان يوم السادس من يوم النيروز ، واذا حصد بثر في المجلس ، ولم يكسر الى روز مهر من ماه فرور دين ، وانما كانوا يزرعون هذه الحبوب للتفاؤل بها ، ويقال : أجودها نباتاً وأشدّها استواء دليل على جودة نبات ما زرع منها في تلك السنة ، فكان الملك يتبرك بالنظر الى نبات الشعير خاصة وكان مؤدب الرماة يناول الملك يوم النيروز قوساً وخمس نشابات ، ويناول الملك قيمه على دار الملكة أتوجه ، فكان فيما يعني بين يدي الملك ، غناء المحاطبة ، وأغاني الربيع ، وأغاني يذكر فيها انباء الجبابرة وتوصف الانواء ، وأغاني أفريز ، والخسرواني ، والمآذراستاني ، والفهلبد وكان أكثر ما يعني المعجم الفهلبد مع أيام كسرى أبرويز ، وكان من أهل مرو ، وكان من أغانيه مديح الملك وذكر أيامه ومجالسه وفتوحه ، وذلك بمنزلة الشعر في كلام العرب يصوغ له الالحان ، ولا يمضي يوم الا وله فيه شعر جديد وخراب بديع ، وكان يذكر الاغاني التي يستعطف بها الملك ويستميجه لمرآزبته وقواده ويستشفع لمذنب . وان حدثت حادثة

أو ورد خبر كرهوا انهاء اليه قال فيه شعراً وصاغ له لحناً كما كان فعل حين نفق مركوبه شبديز ولم يجسروا على انهاء ذلك فغنى بها وذكر أنه ممدود في آريه ماد قوائمه لا يعتلف ولا يتحرك فقال الملك : هذا قد نفق اذا قال : أنت قلت ذلك أيها الملك وكان يضطر بأشعاره أن يتكلم بالذي يكره عما له أنت يستقبلوه به .

( العلة في صب الماء ) ذكروا أن العلة في صب الماء : أنه كان أول من تكلم في المهدي قبل المسيح زوين طهباسب ، وكان مات أبوه على فحط شديد قد شمل الاقاليم ، فتكلم ودعا الله تبارك وتعالى ، فسقي الناس الغيث ، وأخصبت أرضهم ، وعاشت مواشيهم ، فجعلوا صب الماء فيه سنة . وقد حكى أيضاً عن أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين صلوات الله عليه أنه قال في ذلك : ان ثماً من بني اسرائيل أصحابهم الطاعون فخرجوا من مدينتهم هارين الى أرض العراق ، فبلغ كسرى خبرهم فأمر أن يبني لهم حظيرة يجعلون فيها لترجع أنفسهم اليهم ، فلما صاروا في الحظيرة ماتوا وكانوا أربعة آلاف نفس ، ثم ان الله تبارك وتعالى أوحى الى نبي ذلك الزمان : ان رأيت محاربه بلاد كذا فجارهم ببني فلان فقال : يارب كيف احاربهم بهم وقد ماتوا : فأوحى الله اليه : اني احببهم لاجارب بهم وتظفر بعدوك ، فأمر الله عز وجل ليلة صب الماء بأصبحوا أحياء فهم الذين قال الله تعالى فيهم «أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أُنحِيَاهُمْ» قال : هؤلاء قوم أصحابهم محبة من الازل فحطوا زماناً فهزلوا وأجدب بلادهم ففیشوا في هذا اليوم برثة من مطر فعاشوا وأخصبت بلادهم فجعله الفرس سنة .

( صفة الايام ) قال كسرى : يوم الريح للنوم ، ويوم الغيم للصيد ، ويوم المطر للهو والشرب ، وقال غيره : يوم السبت يوم مكر وخديعة ، والاحد يوم غرس وبناء ، ويوم الاثنين يوم سفر وطاب رزق ، والثلاثاء يوم حجامه ، والاربعاء يوم ضحك ونحس ، والخميس يوم الحج ، والجمعة

يوم مسجد ونساء وكساء .

( في البرد ) سئل بعض الحكماء عن البرد آية أئد . فقال : اذا أصبحت السماء نقيه ، والارض نديه ، والريح شامية .

## ٤٦ - محاسن الهدايا

قال : وكتب الناس في الهدايا فأكثروا من الكلام المنثور والشعر الموزون وكل يكتب ويقول بمقدار عقله وعلمه حتى قالوا : انها قرابة وصلة كالرحم الماسة والقرابة القريبة وكلحمة النسب ، وأكثروا من الشفيح لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : ( تهادوا وتحابوا ) ، وقيل : الهدية تفتح الباب المصمت ، وتسل سخيمة القلب . وروى عن عائشة أنها قالت : اللطفة عطفة وتزرع في القلوب المحبة . قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل الهدية ويثيب عليها ما هو خير منها . وقال عليه الصلاة والسلام ( لو أهدى إلى ذراع لقبلت ولو دعيت إلى كراع لأجبت ) . وقال عليه الصلاة والسلام ( الهدية رزق من الله عز وجل فمن أهدى إليه شيء فليقبله ) وقال صلى الله عليه وسلم ( نعم الشيء الهدية أمام الحاجة ما أرضي الغضبان ولا أستعطف ولا أستميل الهاجر ولا توفي المحذور بمثل الهدية والبر ) وقال الله عز وجل « وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانُ قَالَ أَتُمَدُّونَنِي بِمَالٍ فَمَا آتَانِي اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا آتَاكُم بَلْ أَنْتُمْ بِهَدْيِكُمْ تَفْرَحُونَ » وروى أن عاملا لعلي رضي الله عنه قدم من بعض الاطراف فأهدى إلى الحسن والحسين سلام الله عليهما ولم يهد إلى ابن الحنفية فقال متمثلا :

وَمَا شَرُّ النَّالِثَةِ أُمَّ عَهْرٍ بِصَاحِبِكَ الَّذِي لَا تَصْبِحِينَا

فأهدى العامل إليه كما أهدى إلى اخويه . وروى عن أمير المؤمنين علي



عليه السلام أن قوماً من الدهاقين أهدوا إليه جامات فضة فيها الاخبصة فقال : ما هذا ؟ قالوا : يوم نيروز ، فقال : نيروزنا كل يوم فأكل الخبيص ، وأطعم جلساءه ، وقسم الجامات بين المسلمين ، وحسبها لهم في خراجهم . وقيل : إن جلساء المهدي إليه شركاؤه في الهدية ، والهدية تجلب المودة وتزرع المحبة ، وتنفي الضغينة ، وتركها يورث الوحشة ويدهو إلى القطيعة ، والهدية تصير البعيد قريباً ، والعدو صديقاً ، والبغض ولياً . والثقل خفيفاً . والمبد حراً ، والحر عبداً ، وفيها قول الشاعر .

مَمِّنْ صَدِيقٍ وَإِنْ أَبَدَى مَوَدَّتَهُ      يَوْمًا بِأَنْجَحَ فِي الْحَاجَاتِ مِنْ طَبَقِ  
إِذَا تَقَنَّعَ بِالْمَنْدِيلِ مُنْطَلِقًا      لَمْ يَخْشَ نَبْوَةَ بَوَّابٍ وَلَا فَلَاقِ  
لَا تُكْثِرَنَّ فَإِنَّ النَّاسَ مَذْخُلِقُوا      لِرَغْبَةِ كُلِّ مَا يُعْطُونَ أَوْ فَرَقِ

وقال آخر :

إِذَا أَرَدْتَ قَضَاءَ الْحَاجِ مِنْ أَحَدٍ      قَدِمَ لِنَجْوَاكَ مَا أَحْبَبْتَ مِنْ سَبَبِ  
إِنَّ الْهَدَايَا لَهَا حَظٌّ إِذَا وَرَدَتْ

أُحْظَى مِنَ الْإِبْنِ عِنْدَ الْوَالِدِ الْحَدِيبِ

وقد قيل : كل يهدي على قدره . وذكروا أن سليمان بن داود عليها السلام بينما هو يسير بالريح إذ أتى على عش قنبرة . فيها فراع لها فأمر الريح فهدات عن العش ، فلما نزل وافق يومه ذلك النيروز ، فجاءت تلك القنبرة حتى رفرفت على رأس سليمان وألقت في حجره جرادة فقبل له في ذلك فقال : كل يهدي على قدره : وكان بما تهدبه ملوك الامم إلى ملوك فارس طرائف ما في بلادهم ، فمن الهند الفيلة والسيوف والمسك والجلود ، ومن تبت والصين المسك والحريو والسك والاوراني ، ومن السنك الطواويس

والبيغا ومن الروم الديباج والبسط ، وكان القواد والمرازبة والاساورة يهدون النشاب والاعمدة المصمتة من الذهب والفضة ، والوزراء والكتاب والخاصة من قراباتهم جامات الذهب والفضة المرصعة بالجواهر وجامات الفضة الملوحة بالذهب ، والعظماء والاشراف البزاة والعقبان والصقور والشواهين والفهود والسروج والآلما ، وربما أهدي الرجل الشريف سوطاً فقبله ، وكانت الحكماء يهدون الحكمة ، والشعراء الشعر ، واصحاب الجواهر الجواهر ، وأصحاب نتاج الدواب الفرس الفاره والشهري النادر والحمار المصري والبغال المهاليج ، والظرفاء قرب الحرير الصيني بملوءة ماورد ، والمقاتلة القسي والرماح والنباب ، والصياقلة والزرادون نصول السيوف والدروع والجواشن والبيض والاسنة ، وكانت نسوة الملك تهدي إحداهن الجارية الناهدة والوصيفة الرائقة والاخري الدرة النفيسة والجوهرة المشنة وفص خاتم وما لطف وخف ، واصحاب البز الثوب المرتفع من الخز والوشي والديباج وغير ذلك ، والصيارقة نقر الذهب والفضة وجامات الفضة بملوءة دنانير ، وأوساط الناس دنانير ودرهم من ضرب سنتهم مودعة أترجة أو سفرجلة أو تفاحة ، والكتاب واقف يكتب كل مهـد وجائزة كل من يجيزه الملك على هديته ليودع ذلك ديوان النيروز .

ومن الهدايا التي لم يسمع السامعون بمثليها هدية ابرويز إلى ملك الروم بعقب محاربة بهرام جوبين وقد شارف الروم ، فأنفذ رسولا يستنجده وبعث اليه مائة غلام من ابناء الأتراك مختارين في صورهم ونفوسهم في آذانهم أقرطة الذهب معلق فيها حب الدر على مراكب بسروج الذهب منظمة باليواقيت والزمرد ، وبعث معه بمائة من عنبر فتحها ثلاثة أذرع مكالة المستدار بالدر لها ثلاث قوائم من ذهب : احداها ساعد أسد مع كفه ، والاخري ساق وعل مع ظلفه ، والثالثة كف عقاب في كف الاسد ياقوتة خضراء ، وبين ظلفي الوعل ياقوتة حمراء ، وفي كف العقاب قبيجة من اللازورد عيناها ياقوتتان حمراوان تتوقدان حمرة ، وفي وسط

المائدة جام من جزع يائي فاخر فتحه شبر في شبر ملوء يواقيت حمرا وسفط ذهب فيه مائة درة كل درة مثقال ومائة لؤلؤة كل لؤلؤة مثقال ومائة خاتم من ذهب مرصع بالجواهر مشبك الاعلى حشوه مسك وعنبر ، ووصل رسل ابرويز الى ملك الروم بهذه الهدية فأنجده وأرسل اليه عشرين ألف فارس بالسلاح الشاك ، وبعث اليه بألفي ألف دينار لارزاق جنده وألف ثوب منسوج وعشرين جارية من بنات ماوك الصقلية بأقبيية الديباج المطير في آذانهم أقرطة الذهب المزينة بالدر والياقوت وعلى رؤسهن أكلمة الجواهر ، وأنفذ اليه عشرين مركبا على كل مركب صليب تحت كل صليب ألف فارس وألف برذون وألف شهري وألف بغلة وألف نجيب بسروج مذهبة وأكف مذهبة ولجم من ذهب مصبوب وبرادع مذهبة وجلال وبرافع ديباج منسوج بالذهب واللؤلؤ وأوفر البنغال من السندس والاستبرق والذهب واللؤلؤ ، وبعث اليه مساحة جريب أرض من ذهب فيه نخيل من ذهب سعفه الزمرد وطلعه اللؤلؤ وشماريخه الياقوت الاحمر وكربه الجزع ، وبعث اليه ألف ألف لؤلؤة كل لؤلؤة ألف دينار ، وبعث اليه ألف ألف درهم مثاقيله ألف ألف دينار خسرواني وأتى به وأعتمر اليه من التقصير ، فقابله ملك الروم عامه المتبل يوم النيروز بفارس من ذهب على شهر من فضة عينا الشهري جزع أبيض محقق بسواد وناصيته وعرفه وذنبه شعر اسود بيد الفارس صولجان من ذهب والى جانبه ميدان من فضة في وسط الميدان كرة عقيق احمر يحمل الميدان ثوران من فضة والشهري يبول الماء فاذا بال انخط الصولجان على الكرة فمر بها الى أقصى الميدان فتحرك بحركاتها الثوران والميدان ويركض الفارس على عجل تحت حوافر الشهري . فاما أهل الاسلام فلم يسمع بثل هدية حسان النبطي الى هشام بن عبد الملك ، فانه أهدى اليه وإلى أمهات أولاده هدايا كثيرة من الكساء والطر والجواهر وغيرها فامتكرتها هشام وقال : بيت المال أحق بهذا ، ثم أمر فنودي عليها فبلغت مائة ألف دينار ، فبعث حسان اثنائها وقال :

يا أمير المؤمنين قد طابت الآن هذه مائة ألف دينار تحمل الى بيت المال، فأقبل هديتي فقبها ونادى على مناديه حسان سيد ووالي أمير المؤمنين قد طابت الآن هذه واستلمع المأمون من أبي سلمة ذكر هدية لطيفة قال : أهدي الى أمير المؤمنين خواناً من جزع ميلا في ميل فقال المأمون : او قبضت الهدية ؟ قيل : نعم قال : أفهي في داري أم داري فيها ؟ قال : بل هي في مندبل فدعي بهديته فاذا خوان من جزع عليه ميل من ذهب قد صنع من مائة مثقال بطول الخوان وعرضه فاستلمعه وقبله . واهدت أسماء بنت داود الى أسماء بنت المنصور مائة مركن من فضة فيها انواع اللخالغ والريحان المطيب ، ومائة جفنة مطيبة ، وانواع من الأطعمة والاشربة ، وعشراً من الوصائف في قد واحد فقومت هديتها فبلغت خمسين ألف دينار . وبعث الحسن بن وهب الى المتوكل بجام من ذهب فيه ألفا مثقال من العنبر وكتب اليه :

يا إمام الهدى سَعِدْتَ مِنَ الدَّهْرِ بِرُكْنٍ مِنَ الإِلهِ عَزِيزِ  
وَبِظِلِّ مِنَ النِّعَمِ مَدِيدِ      وَبِحِرْزِ مِنَ اللَّيَالِي حَرِيدِ  
لَا تَزَلُ أَلْفَ حِجَّةٍ مَهْرَجَانِ      أَنْتَ تُفْضِي بِهِ إِلَى النَّيْرُوزِ  
وَنَعِيمِ الذُّمِّ مِنَ نَظَرِ المَعْشُوقِ مِنْ بَعْدِ نَبْوَةِ وَنُشُوزِ

قال خالد المهلبى : أهديت الى المتوكل في يوم نيروز ثوب وشي منسوج بالذهب وشمة عنبر عليها فصوص جوهر مشبك بالذهب ودرعا مضاعفة وخشبة بخور نحو القامة وثوباً بغدادياً يقطع ثوباً فأعجبه حسنه ثم دعا به فلبسه ، وقال : يا مهلبى انما لبسته لأسرك به فقلت : يا أمير المؤمنين لو كنت سوقة لوجب على الفتيان تعلم الفتوة منك فكيف وأنت سيد الناس ، وأحسن من جميع ما تقدم ذكره قول عبدالله العباسي والى الحرمين فانه قال : هذا يوم يهدى فيه الى السادة والعظماء ، والواجب أن أهدي إلى

سيدي الأكبر ، ثم دعا بعشرة آلاف دينار فقسها على أهل الحرمين ، فكانت فكرته في هذا أحسن من فعله .

( اللطيف في الهدايا ) كتب سعيد بن حميد إلى بعضهم : النفس لك والمال منك غير أنني كرهت أن أخلي هذا اليوم من سنة فأكون ممن القهرين ، أو أدعي أن في ملكي ما يعني بحقك فأكون من الكاذبين . وقد وجهت إليك بالسفرجل لجلالته ، والسكر لحلاوته ، والدرهم لنفاقه ، والدينار لعزه ، فلا زلت جليلاً في العيون ، هيبياً في القلوب ، حلواً لآخوانك كحلاوة السكر ، عزيزاً عند الملوك ، لا تحسن أفئنتهم إلا بك ، ولا زلت نافعاً كنفاق الدرهم . وأهدى أحمد بن يوسف إلى إبراهيم بن المهدي وكتب إليه : الامراء أعزك الله تسهل سبيل الملاطفة في البر ، فأهديت هدية من لا يحتشم إلى من لا يفتن مالا ، فلا أكثره تبجحاً ولا أقله ترفعاً .

( هدايا النيروز ) قال : كتب الحسن بن وهب إلى المتوكل في يوم نيروز بهذه الرقعة : أسعدك الله يا أمير المؤمنين بكر الدهور ، ونكامل السرور ، وبارك لك في أقبال الزمان ، وبسط بين خلافتك الآمال ، وخصك بالمزيد ، وأبهجك ، بكل عيد ، وشد بك أزر التوحيد ووصل لك بشاشة أزهار الربيع المونق ، بطيب أيام الحريف المنقدق ، وقرب لك التمتع بالمهرجان والنيروز ، نداوم بهجة ايلول وغموز ، وبمواقع تمكين لا يجاوزه الأمل ، وغبطة اليها نهاية ضارب المثل ، وعمر يبلألك الاملاء . وفسح لك في القدرة والمدة ، وأمتع برأفتك وعدلك الأمة ، وسربلك العافية ، ورداك السلامة ، ودرعك العز والكرامة ، وجعل الشهور لك بالاقبال متصدية . والأزمنة إليك راغبة متشوقة ، والقلوب نحوك سامية ، تلاحظك عشقاً وتندفد نحوك طرباً وشوقاً ، وكتب في آخره :

فَدَاكَ الزَّمَانُ وَأَهْلُ الزَّمَانِ      إِمَامَ الْهُدَى بِكَ مُسْتَبْشِرِينَا

قد أقروا إليك مقالدهم  
ولا زلت زينا لأعيادنا  
يعزُّ بدواتك الصالحون  
فيا ربُّ مشكلة أبرقت  
بصدق عزيمة مستبصر  
وسمت النصارى بشيطانها  
وكم فعماءك في المشركين  
وكتب آخر :

المهرجان لنا يوم نسر به  
وأنت فيه لنا بدر يضي كما  
وكتب آخر :

يوم تظمه الأشراف والعجم  
أن السماء بيد الليل تبتم  
يد جديد وأنت جدته  
لا زال طول الزمان يجمعه

وقيل للمازني : أي هؤلاء أظرف في شعره الذي يقول :

فأنت علي أعظم منه حقا  
لكان جليله لك مستدقا  
وكننت لذاك مني مستحقا  
بجعلت فذاك للنيروز حق  
ولو أهديت فيه جميع ملكي  
فأهديت الثناء بنظم شهر

أم الذي يقول :

دَخَلْتُ السُّوقَ أَتْبَاعُ      وَأَسْتَطْرِفُ مَا أَهْدِي  
فَمَا اسْتَطَرَفْتُ لِلْإِهْدَا      إِلَّا طُرْفَ الْحَمْدِ  
إِذَا نَحْنُ مَدَخْنَاكَ      رَعَيْنَا حُرْمَةَ الْمَجْدِ

أم الذي يقول :

وَكَمْ مِنْ مُرْسِلٍ لَكَ قَدْ أَنَانِي      بِمَا يُهْدِي الْخَلِيلَ إِلَى الْخَلِيلِ  
فَأُظْهِرْتُ السُّرُورَ وَقُلْتُ أَهْلًا      وَسَهْلًا بِالْهَدْيَةِ وَالرُّسُولِ

فقال : أشعرهم جميعهم ، وأظرفهم الذي يقول :

فَوَاللَّهِ لَا أَتَفَكُّ أَهْدِي شَوَارِدًا      إِلَيْكَ يُحَمِّلُنَ الشَّنَاءَ الْمُبْجَلَا  
أَلَذُّ مِنَ السَّلْوَى وَأَطْيَبَ نَفْحَةً      مِنَ الْمِسْكِ مَفْتُونًا وَأَيْسَرَ مَحْمَلَا

وبعث سعيد بن حميد الى أحمد بن أبي طاهر قارورة ما ورد وكتب اليه

وَزَائِرَةٌ حُورِيَّةٌ فَارِسِيَّةٌ      كَنَشَرَ حَبِيبٌ حَادَ يَوْمًا عَنِ الصَّدِّ  
تَرُدُّ رَيْعًا فِي مَصِيفٍ بِنَفْحَةٍ      إِذَا فَقَدَتْ وَرَدًا تَتُوبُ عَنِ الْوَرْدِ  
حَكَى نُشْرَهَا مِنْهُ خَلَائِقَ نُشْرِهِ

كَنَشَرَ نَسِيمَ الرُّوضِ فِي جَنَّةِ الْخُلْدِ  
وَشَبَّهْتُهَا فِي صَفْوِهَا بِصَفَائِهِ

لِإِخْوَانِهِ فِي الْقُرْبِ مِنْهُ وَفِي الْجَمْدِ

وَأَهْدَتْ لَنَا مِنْهُ النَّسِيمَ نَسِيمَةً

وَإِنْ كَانَتْ إِذَا حَالَتْ يَدُومُ عَلَى عَهْدِ

وعن اسحاق بن ابراهيم الموصلي قال : دار كلام بين الامين وبين ابراهيم بن المهدي قال : فوجد عليه الامين هجره ، فوجه اليه ابراهيم بوصيفة مغيرة مع عبد هندي ، فأبى الامين أن يقبلها فكتب اليه :

هَتَكَتِ الضَّمِيرَ بَرْدُ اللَّطْفِ وَكَشَفْتَ هَجْرَكَ لِي فَأَنْكَشَفْتُ

فَإِنْ كُنْتُ تَحْقِدُ شَيْئًا مَضَى فَمَهَبْتُ لِلْخِلَافَةِ مَا قَدْ سَلَفْتُ

وَجَدْتُ لِي بِعَفْوِكَ عَنْ زَاتِي فَبِأَفْضَلِ تَأْخُذُ أَهْلَ الشَّرَفِ

فرضى عنه ودعاه للمنادمة .

( هدايا الفصد ) قال ابن حمدون النديم : افتصد المأمون ، فأهدى اليه ابراهيم بن المهدي جارية معها عود ورقعة فيها :

عَفَوْتَ وَكَانَ الْعَفْوُ مِنْكَ سَجِيَّةً

كَمَا كَانَتْ مَعْقُوداً بِمَفْرَقِكَ الْمُلْكُ

فَإِنَّ أَنْتَ أَتَمَمْتَ الرَّضَى فَهُوَ الْمُنَى

وَإِنَّ أَنْتَ جَارَيْتَ الْمُسِيءَ فَذَا الْهَلْكُ

فقال المأمون : خرف الشيخ يوم مثل هذا يذكر الثواب والآخرة فلم يقبل الوصيفة واغتم ابراهيم وكتب اليه مع الوصيفة :

لَا وَالَّذِي تَسْجُدُ الْجِبَاهُ لَهُ مَا لِي بِمَا دُونَ تَوْبِهَا خَيْرٌ



ولا يفيتها ولا همتُ بها ما كان إلا الحديثُ والنظرُ

فقال المأمون : نعم الآن أقبلها فقبلها . قال أبو القاسم بن أبي داود : كنت عند أحمد بن محمد العلوي وقد اقتصد ، فخرج بعض الخدم ومعه طبق من فضة عليه تفاح طيب مكتوب حواليه بالذهب :

سُرَّ الغدَاةَ بوجهِكَ اللَّغَبُ وَجَرَى يَمْنِ فَصَادِكَ الطَّرَبُ

وتداعت العيدانُ في زَجَلٍ وتناوَلت راحاتِهَا النُّخَبُ

فاشربْ بهذا الجَامِ يامَلِكِي شربًا حَئِينًا إِنَّهُ عَجَبُ

وأَجَلٌ لِمَنْ قَدْ خَفَّ في لَظْفٍ مِنْ زَوْرَةٍ يُخْشَى وَيُتَقَبُ

فقال للخادم : اخرجها إلى الستارة ، فخرجت وخلا ليلته بها . وقيل : اقتصد المعتصم وأهدت إليه شمائل صينية شقيق عليها قدح أسبل عليها مندبل مطيب مكتوب عليه بالعنبر في كل ربع منه بيت شعر :

خَضَبَ الخَلِيفَةُ كَفَّهُ مِنْ فَصْدِهِ بِدَمٍ يُجَاكِي عَبْرَةَ المُشْتَاقِ

تَاهَ الفِصَادُ فَمَا يُقَامُ لَتِيهِهِ إِذْ صَارَ مُفْتَصِدًا أَبُو إِسْحَاقِ

وتوافت العيدانُ عندَ حُضُورِهِ قَبَّ البُطُونِ ذَوَابِلُ الأُغْنَاقِ

مَلِكُ إِذَا خَطَرَ الشَّرَابُ بِبَالِهِ لَبِسَ الشَّرُورُ غَلَاثِلَ الإِشْرَاقِ

فلما قرأه أمر بإحضار إسحاق بن إبراهيم الموصلِي ، وأمره أن يجعل له لحنا ، وأمر مسرورا بإخراجها من وراء الستارة ، ثم لم يزل إسحاق يردد هذه الأبيات حتى أحكمتها شمائل وغنت ، فكان سفظ الدر يتناثر من فيها ، وأمر لاسحاق بمال ، وللبجارية بخمس وصائف وخمسة آلاف دينار . المبرد قال : أهدى يزيد بن الرشيد يوم فصد جام بلور

وشمامات غالية ، وكتب اليه : يا أمير المؤمنين تغاءلت في الشرب في  
الجام بجمام النفس ، ودوام الانس ، والغالية للغلو في السرور ، ولازدياد  
من الخير والحبور وقلت :

ذمُّ الفَصْدِ مِنْ يَدِكَ العَالِيَةِ	يُدَاعِي لِحَيْمِكَ بالعَافِيَةِ
كَسَالِ الدَّهْرِ ثَوْبًا مِنْ الأَرْجُوَانِ	بِدِيْعِ الطَّرَازِينِ والحَاشِيَةِ
وَعَصْفَرِ صَفْحَةٍ وَجْهِ الرَّبِيعِ	بِصَبْغٍ مِنْ أَسْرَارِهِ الجَارِيَةِ
فَكَمْ رَوْضَةٍ نَشَرَتْ وَشِيهَا	وَزَهْرَةَ رَوْضٍ غَدَتْ زَاهِيَةً
إِمَامٌ أَسَالَ دَمَ المُكْرَمَاتِ	فَشَجَّجَ أَقْتَالَهَا الحَامِيَةَ
فَلَا زَالَ فِي عَيْشَةٍ رَاضِيَةٍ	وَدَامَتْ لَهُ النِّعْمَةُ الكَافِيَةَ

قال اليزيدي : افتصد المأمون فأهدت اليه رباح أترجة عنبر عليه  
مكتوب بماء الذهب :

تَعَالَجَ مَنْ هَوِيَتْ بِفَصْدِ عِرْقِ	فَأَضْحَى السَّقْمُ فِي خَلَعِ الخُضُوعِ
وَجَاءَتْ تُحْفَةٌ الأَحْبَابِ تَسْعَى	بِوَرْدٍ فَائِضٍ فَيُضِ الدَّمُوعِ

فقال المأمون لليزيدي : وبجك ما تقول فيمن كتب هذين البيتين ؟  
قال : يكافأ بالدنيا وما استدق منها ، فأمر لها بمال كثير ووصلني ببعضه.  
قال : وافتصد عبدالله بن طاهر فأهدى له أبو دلف جميع ما أصاب في  
السوق من الورد وكتب اليه :

تَضَاحَكَ الوَرْدُ فِي وَجْهِ فَقَلْتُ لَهُ	لِمَ ذَا فَقَالَ أَبُو العَبَّاسِ مُفْتَصِّدُ
فَقُمْتُ أَطْلُبُ مَا أَهْدِيهِ مِنْ طَرْفِ	لِلْفَصْدِ فِي السُّوقِ حَتَّى خَانِي الجَلْدُ

يَوْمُ الْفِصَادِ لَهُ أَزْرٌ مُطَيَّبَةٌ      مَحْجُوبَةٌ لَا يَرَاهَا الْجَرْدُ وَالزَّرْدُ  
فَأَشْرَبَ عَلَى الْوَرْدِ مَسْرُورًا بَطْلَعَتِهِ      يَا بَنَ الْكِرَامِ فَأَنْتَ السَّيِّدُ النَّجْدُ

قال عمرو بن بانه : اعتل المصم ، فأشار عليه بختيشوع بالفصد وأنا عنده ، فأخرجت إليه هدايا الفصد ، وكان فيها أخرج طبق صندل مكتوب عليه بجزع كما يدور عليه شمامات سلك وعنبر فأمر بقراءة ما عليه فإذا هو :

فُصِدَ الْإِمَامُ لِعِلَّةٍ فِي جِسْمِهِ      فَشَفَى الْإِلَهُ الشَّقَمَ بِالْفَصْدِ  
وَجَرَى إِلَى الطُّشْتِ الشَّقَمُ مُبَادِرًا      وَجَرَى الشِّفَاءُ إِلَيْهِ بِالسَّعْدِ  
يَا مَالِكَا مَلِكَ الْعِبَادِ بِجُودِهِ      إِسْلَمَ سَلِمْتَ بَعِيشَةَ رَغْدِ

فقال يا عمرو : من بلومني على حب هذه الجارية ، والله ما أراها الا تزايدت في عيني ، وخلقيت أن تعجب فان لها همة ، فولدت له غلاماً وكانت آثر جواربه عنده واحظاهن لديه . وأخبرنا ابراهيم القاريء قال : كنت عند المأمون فاحتاج إلى الفصد فقال له الاطباء : البلد بارد فقال : لا بد لي منه ، نفصدوه فلما كان وقت الظهر حضروا فراموا فبجر العرق ، فاذا هو قد التحم ، فشدوا الرباط وفيهم متعا يدق فما ظهر الدم ، فقال لهم المأمون عقروتموني نجاوا الرباط وعلى رأسه بختيشوع وابن ماسويه فقال : ما تقولون ؟ قالوا : ما تدري ما تقول ؟ قال : فأشاروا هناك أن جلالة الخليفة ربما أدهشت الحاذق بالصناعة والمتقدم في الرياسة ، فاعتزلوا ناحية وابطنوا عليه فقال لاسود كان على رأسه : أدن فمض الجرح ، ففعل ، فثار الدم فقال : أدع هؤلاء الحاكة ، فجاءوا وشهدوا خروج الدم ، قال : أين كنتم ؟ قال ابن ماسويه : لو فعل جالينوس ما زاد عليه . قال : واقتصد أحمد بن عيسى بالري وهو أميرها فكذب اليه جعفر الشيباني :

فَصَدَّتْ بِأَرْضِ الرَّيِّ طَابَ لَكَ الْفَصْدُ

وَفَارَقَ نَجْمَ النَّخْسِ طَالِعُكَ السَّعْدُ

فَأَعْبَبَكَ الْحُسْنَى الَّتِي لَا مَدَى لَهَا      وَلَا زَالَ بُرْدِيكَ الْجَلَالَةُ وَالْحَمْدُ

تَوَرَّدَتْ الدُّنْيَا بِفَصْدِكَ مِثْلَ مَا

بِفَصْدِكَ يَا بْنَ الْمُصْطَفَى صَحِيحُ الْوَرْدُ

فَلَا أَبْصَرْتَ عَيْنَاكَ مَا عِشْتَ شَانِيًا      وَمِنْ كُلِّ مَا تَهْوَاهُ لَا خَانَكَ الْعَهْدُ

وفي مثله :

يَا فَاصِدًا مِنْ يَدٍ جَلَّتْ أَيْدِيهَا      وَنَالَ مِنْهُ الَّذِي يَرْجُوهُ رَاجِيهَا

يَدُ النَّدَى هِيَ فَارٌ مُفَقٌّ لَا تُرِقُ دَمَاهَا      فَإِنَّ آمَالَ طُلَّابِ النَّدَى فِيهَا

قال : وكتب الحمدوني الى الفضل بن جعفر وقد اقتصد :

أَلَا يَا طَيْبَ الْفَصْدِ هَلْ أَنْتَ عَالِمٌ

بِمَا صَنَعْتَ كِفَاكَ فِي كَفِّ ذِي الْمَجْدِ

أَسَلْتَ دَمًا مِنْ سَاعِدٍ يَنْتَنِي بِهَا

حَيَاءُ نَدَى فَاقْصِدْ بِذَرْعِكَ فِي الْفَصْدِ

فَدَوَّأَيْتَ كَفًّا تَعْلَمُ النَّاسُ أَنَّهَا      دَوَاءٌ مِنَ الْأَمْحَالِ فِي الزَّمَنِ النَّكْدِ

وَلَمَّا أَتَانَا الْخَبْرُونَ بِفَصْدِهِ      أَرَدْتُ بَأَنْ أَهْدِي عَلَى قَدْرِ مَا عِنْدِي

وَشَاوَرْتُ فَاسْتَصَعِبَتْ أَلِي وَجِيرَتِي      فَلَمْ أَرَ أَمْرِي مِنْ تَنَاءٍ وَمِنْ حَمْدِ

وقال آخر :

تُوْنِقُ مِنْ تَنَائِكَ فِي الْهَدَايَا  
فَلَمْ أَرَ كَالدُّعَاءِ أَنْتُمْ نَفْعًا  
وَأَكْثَرْتُ الدُّعَاءِ وَقَلْتُ رَبِّي  
غَدَاةَ أُرِدْتَ فَصَدَّ الْبَاسِلِيْقِ  
وَأَجْمَلَ فِي مَكَاْفَاءِ الصِّدِيْقِ  
يَقِيْكَ سُرُوْرَ آفَاتِ الْعُرُوْقِ

وقال آخر :

عَلَى طَيْبِ أَيَّامِ التَّمَتُّعِ بِالْوَرْدِ  
فَصَدَّتْ فَأُصْحِبْتَ السَّلَامَةَ فِي الْفَصْدِ  
وَلَا زِلْتَ لَا زَالَتْ مِنْ اللَّهِ أَنْعَمُ  
عَلَيْكَ قَرِيْبَ الْعَيْنِ مُغْتَبِطَ الْحَسْدِ  
أَقْدَرْتُ مِنْ جَهْدِي طُرْفَةً وَهَدِيَّةً  
إِلَيْكَ فَكَانَ الشُّكْرُ أَكْثَرَ مَا عِنْدِي

وقال آخر :

أَيُّهَا الْفَاصِدُ الْعَلِيْلُ الصَّحِيْحُ  
إِنِّ مَنْ عَلَقَ الدَّرَاعَ مِنَ النَّعْمِ  
أَيُّهَا الْفَاصِدُ أَلْمَنَّا لَهُ الْوَرْدُ  
بِأَيِّ ذَلِكَ الْجِرَاحِ الْجَرِيْحُ  
مَدِّ إِلَى الْجِيْدِ ذَاكَ شَيْءٌ مَلِيْحُ  
وَفِي وَجْنَتَيْهِ وَرْدٌ يَلُوْحُ

وقال آخر :

أَيُّهَا السَّيِّدُ الَّذِي فَصَدَّ الْعَرَقُ  
كَمْ تَمَنَيْتُ أَنْ أَكُونَ طَبِيْبًا  
وَأَرْحَى دُونِي ذُبُولَ الشُّرُوْرِ  
وَمُنَى الصَّبِّ تُرْهَاتُ الْغُرُوْرِ

وقال آخر :

أَجْمِلُ جُعَاتُ فِدَاكَ بِالْجَانِدِ  
 لَوْ عَايَنْتُ عَيْنَاكَ مُضْطَرِبِي  
 وَتَحْشَمِي عِنْدَ الطَّيِّبِ كَأَنَّهُ  
 كَالنَّارِ مَبْضَعُهُ يُقَلِّبُهُ  
 حَتَّى أَعْتَزَمْتُ عَلَى مُحَاجَزَةٍ  
 مَا كَانَ مِنْ أَلْمٍ شَعَرْتُ بِهِ  
 إِذْ سَالَ مُنْبَعِنًا سَوَابِقُهُ  
 فَسَلِمْتُ وَالرَّحْمَنُ سَلَّمَ نِي  
 مَا بَعْدَ طَبَّاحِي لِفَتْخَرِي  
 نَصَبَ الْقُدُورَ بِنَفْسِهِ كَرَمًا  
 فَأَجَادَ صَنَعَتَهَا وَعَجَّلَهَا  
 وَنَيْدُنَا صَافٍ وَمَجْلِسُنَا  
 فَهَلُمَّ وَاحْضِرْ غَيْرَ مُحْتَشِمٍ  
 لَا تَجْمَعَنَّ عَلَيَّ مُحْتَسِبًا  
 وَامْنُنْ عَلَيَّ بِأَجْمَلِ الرَّدِّ  
 وَتَفَرُّدِي بِالْمَدِّ وَالشَّدِّ  
 مَوْلَى يُرِيدُ عَقُوبَةَ الْعَبْدِ  
 وَيُدِيرُ مَقَلَةَ حَازِمِ الْجَلْدِ  
 وَصَدَدْتُ عَنْهُ أَيَّمَا صَدِّ  
 إِلَّا كَمَا وَقَعَ شَرْطَةُ الْجَلْدِ  
 كَالنَّارِ خَارِجَةً مِنَ الزُّنْدِ  
 ذُو الْمَنِّ وَالْآلَاءِ وَالْحَمْدِ  
 فَخَرُّ لِمَنْ قَبْلِي وَمَنْ بَعْدِي  
 لِنُصِيبَ شَهْوَتَنَا عَلَى عَمْدِ  
 مِنْ غَيْرِ مَا تَبَّ وَلَا جَهْدِ  
 فِي الطَّيِّبِ يَحْكِي جَنَّةَ الْخُلْدِ  
 وَاجْعَلْ غَدَاكَ سَيِّدِي عِنْدِي  
 ضَعْفَ الْعَالِيلِ وَوَحْشَةَ الْفَرْدِ

٤٧ - محاسن الوصائف المغنيات

قال الأصمعي : بعث إلي هرون الرشيد وهو بالرقعة فحملت إليه ؛ فأنزلتني

الفضل بن الربيع ، ثم أدخلني عليه وقت الغروب ، فاستدنانني وقال : يا عبد الملك وجهت اليك بسبب جاريتين اهديتنا الي وقد اخذتا طرفا من الادب احببت ان تبرز ما عندهما وتسير علي الصواب فيهما ، ثم امر باحضارهما فحضرت جاريتان ما رأيت مثلها قط فقلت لاحداهما : ما عندك من العلم ؟ قالت : ما أمر الله في كتابه ثم ما ينظر فيه الناس من الأشعار والابخار ، فسألتها عن حروف القرآن ، فأجابتنني كأنها تقرأ في كتاب الله ثم سألتها عن الأشعار والابخار والنحو والعروض ، فبها فصرت عن جوابي في كل فن أخذت فيه فقلت لها : فانشدينا شيئا فانشدت :

يَا غِيَاثَ الْبِلَادِ فِي كُلِّ مَحَلٍّ      مَا يُرِيدُ الْعِبَادُ إِلَّا رِضَاكَ  
لَا وَمَنْ شَرَّفَ الْإِمَامَ وَأَعْلَى      مَا أَطَاعَ الْإِلَهَ عَبْدٌ عَصَاكَ

فقلت : يا امير المؤمنين ما رأيت امرأة في نك رجل مثاها ، وخبرت الأخرى فوجدتها دونها ، فأمر ان تصنع تلك الجارية لتحمل اليه في تلك الليلة ثم قال لي : يا عبد الملك انا ذجر وأحب أن تسمعي حديثا مما سمعت من أعاجيب الزمان ففرج به فقلت : يا امير المؤمنين كان لي صاحب في بدو بني فلان ، وكنت أغشاه وأتحدث معه وقد أتت عليه ست وتسعون سنة وهو أصح الناس ذهنا وأقوام بدنا ، فغبت عنه ثم أتته فوجدته ناحل البدن كاسف البال ، فسألته عن سبب تغيره . فقال : قصدت بعض القرابة فألفيت عندهم جارية قد طلت بالورس بدنها وفي عنقها طبل تنشد عليه :

مَحَايِسُهَا سِيَّامٌ لِلْمَنَايَا      مُرِّيْشَةٌ بِأَنْوَاعِ الْخُطُوبِ  
تَرَى رَيْبَ الْمَنُونِ بَيْنَ سَهْمَا      تُصِيبُ بِنَصَاهِ مُنْخِ الْقَاوِبِ

فقلت :

قَفِي شَفَتِي مِنْ مَوْضِعِ الطَّبْلِ تَرْتَمِي  
 كَمَا قَدْ أُنْجَتِ الطَّبْلُ فِي جِيدِكَ الْحَسَنِ  
 فَهَبْنِي عُرُوداً جَوْفُهُ تَحْتَ مَتْنِهِ يُتَمَعْنِي مَا بَيْنَ نَحْرِكَ وَالذَّقَنِ

فلما سمعت شعري رمت بالطبل في وجهي ودخلت الحيمة ، ووقفت حتى حبت الشمس على مفرقي ولم تخرج ، فانصرفت قريح القلب ، فهذا التغير من عشقي لها ، فضحك الرشيد حتى استلقى وقال : ويلك يا عبد الملك ابن ست وتسعين يعشق ! فقلت : قد كان هذا ، فقال : يا عباس اعط عبد الملك مائة ألف درهم ورده الى مدينة السلام ، فانصرفت ثم أتاني خادم فقال : أنا رسول ابنتك - يعني الجارية - تقول لك : ان امير المؤمنين قد امر لها بمال وهذا نصيبك ، فسدفع الي ألف دينار ولم تزل تواصلني بلبر الواصل حتى كانت فتنة محمد وانقطع خبرها وأمر الفضل لي بعشرة آلاف درهم . علي بن الجهم لما أفضت الخلافة الى المتوكل أهدى اليه الناس على أقدارهم ، فأهدى اليه ابن طاهر جارية أدبية تسمى قبيجة تقول الشعر وتلحظه ، ونحسب من كل علم أحسنه ، فحلت من قلب المتوكل محلا جليلا ، فدخلت يوماً للنادمة ، وخرج المتوكل وهو يضحك وقال : يا علي دخلت فرأيت قبيجة كتبت علي خدتها بالمسك جعفر فما رأيت أحسن منه فقل فيه سبنا ، فسبقتني محبوبة وأخذت عودها فغنت :

وَكَاثِبَةٌ بِالْمِسْكِ فِي الْخَدِّ جَعْفَرًا      بِنَفْسِي خَطُّ الْمِسْكِ مِنْ حَيْثُ أُثْرَا  
 لِئِنْ أُوذِعْتُ سَطْرًا مِنَ الْمِسْكِ حَدَّهَا

لَقَدْ أُوذِعْتُ قَلْبِي مِنَ الْوَجْدِ أُسْطْرًا



فيا مَنْ لَمَمْلوكٍ يَظَلُّ مَمليكَهُ      مُطيعاً له فيما أُسْرُ وأُجْهَرَا  
ويا مَنْ لَميني مَنْ رَأَى مِثْلَ جَعْفَرِ      سَقَى اللهُ صُوبَ المُسْكِراتِ جَلْعَفَرَا

قال : فنقلت خواطري حتى كأنني ما أحسن حرفاً من الشعر وقلت للمتوكل : أقل فقد والله غرب عني ذهني ، فلم يزل يعيرني به ، ثم دخلت عليه للمنادمة بعد ذلك فقال : يا علي أعلمت أنني قد غاضبت محبوبتي وأمرتها بلزوم مقصورتها ، ومنعت أهل القصر من كلامها ، فقلت : يا سيدي إن غاضبتنا اليوم فصالحها غداً ، فدخلت عليه من الغد فقال : ويحك يا علي رأيت البارحة في النوم كأنني صالحت محبوبتي ، فقالت جاريتي ، شاطر يا سيدي لقد سمعت الآن في مقصورتها هينة فقال : ننظر ما هي ، فقام حافياً حتى وصلنا مقصورتها فإذا هي تغني :

أدورُ في القَصْرِ كي أرى أحداً      أشكو إليه فلا يُكَلِّمُنِي  
فمنَّ شَفيعٌ لنا إلى مَلِكِ      قد زارني في الكرا يُعَاتِبُنِي  
حتى إذا ما الصُّباحُ عادَ لنا      عادَ إلى هجرِهِ فقارَني

فصق المتوكل طرباً ، فلما سمعته خرجت تقبل رجله وتمرغ خدها في التراب حتى أخذ بيدها راضياً عنها . حدث أبو علي بن الامكري المصري واسكر هي القرية التي ولد فيها موسى عليه السلام . قال : كنت من جلاس عيم بن عيم ومن يخف عليه فأتى من بغداد بجمارية رائعة فائقة الغناء فدعا بجلساته وقدمت الستارة فغنت :

وَبَدَّالِهِ مِنْ بَعْدِ ما اَنْدَمَلَ الهَوَى      بَرَقَ تَأَلَّقَ مَوْهِنًا لَمَعَانَهُ  
يَبْدُو كعَاشِيَةِ الرِّداءِ ودَوَانَهُ      صَبُّ الزُّرَى مُتَمَنِّعٌ أَرْكَانَهُ

وَبَدَا لِيَنْظُرَ كَيْفَ لَاحَ وَلَمْ يَطِيقْ      نَظْرًا إِلَيْهِ وَهَدَّهُ هَيَجَانُهُ  
فَالنَّارُ مَا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ ضُلُوعُهُ      والماء ما سحّت به أجفانه

قال : فأحسنت ما شاءت فطرب تميم ومن حضر ثم غنت :

سَيَسْلِيكَ مِمَّا دُونَ دَوْلَةِ مَفْضَلِ      أوائله محمودة وأواخره  
تَنِي اللهُ عِطْفِيهِ وَأَلْفَ شَخْصَهُ      على البرِّ مُذْ شُدَّتْ عَلَيْهِ مَازِرُهُ

فطرب تميم ومن حضر ثم غنت :

أَسْتَوْدِعُ اللهُ فِي بَغْدَادِ لِي قَمَرًا      بالكرخ من فلك الأزار مطلعة

فأفرط تميم في الطرب جدا وقال لها : تمني ما شئت فلك مناك ، قالت :  
أتمني أيها الأمير عافيته وسلامته ، فقال : والله لا بد ان تتمني ، فقالت  
على الوفاء أتمني ان أغني هذه النوبة ببغداد ، فتغير وجه تميم ، وتكدر  
المجلس وقمنا فلدحتني بعض خدمه فردني ، فلما وقفت بين يديه قال : ويحك  
أرأيت ما امتحننا به ولا بدلنا من الوفاء ولم أثق في هذا بغيرك فنأهب لملها  
الى بغداد فاذا غنت هناك فاصرفها فقلت : سمعا وطاعة ، ثم أصبحها جارية  
سوداء تخدمها وتعادلها ، وأمر بناقة لي فحمل عليها هودج وأدخلت فيه ،  
وسرنا مع القافلة الى مكة فقضينا حجبنا ثم لما وردنا القادسية أنتمني السوداء  
فقلت : تقول لك سيدتي أين نحن ؟ فقلت لها : نحن الآن بالقادسية  
فاخبرتها فسمعت صوتا قد ارتفع ناشدا :

لَمَّا رَأَيْنَا الْقَادِسِيَّةَ      حيثُ مُجْتَمِعُ الرِّفَاقِ  
وَسَمَّتُ مِنْ أَرْضِ الْحِجَابِ      زِ نَسِيمِ أَنْفَاسِ الْعِرَاقِ  
أَبْقَنْتُ لِي وَكَلَسْنَا أَحَدًا      بَ يُجْمَعُ شَمْلٌ وَاتِّفَاقِ

## وَضَحِكْتُ مِنْ فَرَحِ اللَّسْقَا ۚ كَمَا بَكَيتُ مِنَ الْفِرَاقِ

فصاح الناس من أقطار القافلة : أعيدي بالله فلم يسمع لها كلمة ، فلما نزلنا الناصرية على خمس أميال من بغداد في بساتين منصلة تبيت الناس فيها ثم يبكرون بغداد ، فلما قرب الصباح اذ السوداء قد أتني مذعورة فقالت : إن سيدتي ليست بمحاضرة ، فلم أجدها ، ولا وجدت لها ببغداد خيراً ، فقضيت حوائجي وانصرفت الى تميم وأخبرته خبرها ، فلم ينزل واجماً عليها . واخبار القينات كثيرة فنقتصر منها على هذا القدر .

### ٤٨ - محاسن الجوارى مطلقاً

قيل ، كان يقال : من أراد قلة المؤنة ، وخفة النفقة ، وحسن الخدمة وارتفاع الحشمة فعليه بالإماء دون الحرائر . وكان مسلمة بن مسلمة يقول : عجبت أن استمتع بالسرايري كيف يتزوج المهاجر ؟ وقال : السرور باتخاذ السرايري ، وكان أهل المدينة يكرهون اتخاذ الإماء أمهات أولادهم حتى نشأ فيهم علي بن الحسين بن علي رضي الله عنهم وفاق أهل المدينة فقهاً وعلماً وورعاً ، فرغب الناس في اتخاذ السرايري ، قال : وليس من خلفاء بني العباس من أبناء الحرائر الا ثلاثة : السفاح والنصور والأمين ، والباقون كلهم أبناء الجوارى ، وقد علمت الجوارى لأنهن يجمعن عز العرب ودهاء العجم .

(ضده)

إِذَا لَمْ يَكُنْ فِي مَنْزِلِ الْمَرْءِ حُرَّةٌ رَأَى خَالًا فِيمَا تَوَلَّى الْوَلَائِدَ  
فَلَا يَتَّخِذُ مِنْهُمْ حُرًّا قَعِيدَةً فَمَنْ كَعَمْرُ اللَّهِ شَرُّ الْقَعَائِدِ

وكان يقال : الجوارى كخبز السوق ، والحرائر كخبز الدور . ومن أمثال العرب : لا تقازح أمة ، ولا تبك على أكمة ، وقال بعضهم : لا تقترش من تداولتها أيدي النخاسين ، ووقع ثمنها في الموازين ، وقال : لا خير في بنات الكفر ، وقد نودي عليهن في الأسواق ، ومرت عليهن أيدي الفساق .

### ٤٩ - محاسن الموت

في الحديث المرفوع ( الموت راحة ) ، وقال بعض السلف : ما من مؤمن إلا والموت خير له من الحياة ، لأنه إن كان محسناً فإله يقول « وما عند الله خيرٌ للأبرارِ » وإن كان مسيئاً فإله تعالى جده يقول أيضاً « ولا يحسبن الذين كفروا أنها ثملي لهم خيرٌ لأنفسهم إنما ثملي لهم ليزدادوا إثماً » وقال ميمون بن مهران : أتيت عمر بن عبد العزيز فكثرت بكأؤه ومساأته الله الموت فقلت : يا أمير المؤمنين تسأل ربك الموت ، وقد صنع الله على يدك خيراً كثيراً أحييت سنناً ، وأمت بدعاً ، وفعلت ، وصنعت ، ولبقائك رحمة للمؤمنين ، فقال : الا أكون كالعبد الصالح حين أقر الله عينه وجمع له امره قال « رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الأحاديث » إلى قوله « وألحقتي بالصالحين » فما دار عليه أسبوع حتى مات رحمه الله ، قالت الفلاسفة : لا يستكمل الانسان حد الانسانية إلا بالموت ، لأن حد الانسانية إنه حي ناطق ميت وقال بعض السلف الصالح : اذا مات استراح ، والطاق إذا مات استريح منه قال الشاعر :

وما الموتُ إلا راحةٌ غيرَ أنه أبردُ بنا من كلِّ برٍّ وأزأفُ

وقال آخر :

جَزَا اللهُ عَنَّا الْمَوْتَ خَيْرًا فَإِنَّهُ  
يُعَجِّلُ تَخْلِيصَ النَّفُوسِ مِنَ الْأَذَى  
أَبْرًا بِنَا مِنْ كُلِّ بَرٍّ وَأَرَأْفُ  
وَيُدْنِي مِنَ الدَّارِ الَّتِي هِيَ أَشْرَفُ

وقال منصور الفقيه :

قَدْ قَلْتُ إِنْ مَدَحُوا الْحَيَاةَ فَاسْرَفُوا  
مِنْهَا أَمَانُ بَقَائِهِ بِلِقَائِهِ  
فِي الْمَوْتِ أَلْفُ فَضِيلَةٍ لَا تُعْرَفُ  
وَفِرَاقُ كُلِّ مُعَاشِرٍ لَا يُنْصِفُ

وقال أحمد بن أبي بكر الكاتب :

مَنْ كَانَ يَرْجُو أَنْ يَعِيشَ فَإِنِّي  
فِي الْمَوْتِ أَلْفُ فَضِيلَةٍ لَوْ أَنَّهَا  
أَصْبَحَتْ أَرْجُو أَنْ أَمُوتَ فَاعْتَقَا  
عُحْرِفَتْ لَكَانَ سَبِيلُهُ أَنْ يُعْشَقَا

وقال لنكك البصري :

نَحْنُ وَاللَّهِ فِي زَمَانٍ مَحْشُومٍ  
أَصْبَحَ النَّاسُ فِيهِ مِنْ سُوءِ حَالٍ  
لَوْ رَأَيْتَهُ فِي الْمَنَامِ فَرِحْنَا  
حَقًّا مَنْ مَاتَ مِنْهُمْ أَنْ يُهَيَّأَا

(ضده)

في الحديث المرفوع ( أكثر واذكرها ذم الذات - يعني الموت - )  
قال الشاعر :

يَا مَوْتَ مَا أَنْجَفَاكَ مِنْ نَازِلٍ  
تَسْتَلِبُ الْعَذْرَاءَ مِنْ خِذْرِهَا  
تَنْزِلُ بِالْمَرءِ عَلَى رَفْعِهِ  
وَتَأْخُذُ الْوَاحِدَ مِنْ أُمَّهِ

وقال :

وكلُّ ذي غَيْبَةٍ لَهُ إِيَابٌ وَغَائِبُ الْمَوْتِ لَا يَتُوبُ

وقال بعضهم : الناس في الدنيا أغراض تنتضل فيها سهام المنايا ، وقال ابن المعتز : الموت كسهم مرسل اليك ، وعمرك بقدر سفره نحوك ، وقال بعضهم : الموت أشد مما قبله ، وأهون مما بعده ، ونظر الحسن رضي الله عنه الى ميت يدفن فقال : إن شيئاً أوله هذا الحقيق أن يخاف آخره ، وإن شيئاً هذا آخره لحقيق أن يزهد في أوله ، وسئل بعض الفلاسفة عن الموت فقال : مغازة من ركبها ضل خبره ، وعفى أثره . والله أعلم بالصواب ، واليه المرجع والمآب .

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الواحد القهار . منشيء الخلق أطواراً بعد أطوار . وعلمهم من حكمة وآدابه ما به يتوصل الى تجلية الفكر عن الأغيار . وحلاهم في الآخرة بمشاهدته سبحانه كل شيء عنده بمقدار . والصلاة والسلام على سيدنا محمد النبي المختار . وعلى آله وأصحابه وآل بيته الخيرة الأبرار .

أما بعد فقد تم بعون الله طبع هذا الكتاب الذي ينعش النفوس ويؤدبها . ويذكى للطباع ويهذبها . فهو كما يصف الواصفون نديم نفيس ، وجليس أنيس ، وصحير كل أمير ، بل أمير كل سحر \* ألا وهو كتاب المحاسن والأضداد لمؤلفه العلامة النحرير . والشيخ الكبير . ذو التصانيف العديدة . والرسائل المفيدة . الشيخ أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ البصري إمام

أهل الأدب رحمه الله ، وذلك بطبعة الساحل الجنوبي الشياح - لبنان

وقد قام بنفقة طبعه الحاج ابراهيم زين عاصي

صاحب مكتبة العرفان الكبرى

بيروت - شارع سوريا

جزى الله الجميع خيراً

الجزء

—

تم طبع هذا الكتاب

على

طبعة الساجد المحنوبي

الشيح - لبنان

---



## الفهرس

صفحة	عنوان	صفحة	عنوان
٩٣	محاسن حب الوطن	٤	محاسن الكتابة والكتب
١٠١	محاسن الدهاء والحيل	٩	محاسن الخطابات
١٠٧	محاسن المفاخرة	١٤	محاسن المكاتبات
١٢٨	محاسن الثقة بالله	١٨	محاسن الجواب
١٢٩	محاسن طلب الرزق	٢٠	محاسن حفظ اللسان
١٣٣	محاسن المواعظ	٢٣	محاسن كتمان السر
١٣٤	محاسن فضل الدنيا	٢٩	محاسن المشورة
١٤١	محاسن الزهد	٣٠	محاسن الشكر
١٤٥	محاسن النساء العاديات	٣٦	محاسن الصدق
١٥٢	النساء الماجنات	٤٠	محاسن العفو
١٦٠	الأعرابيات	٤٤	محاسن الصبر على الحبس
١٦٣	محاسن المتكلمات	٤٩	محاسن المودة
١٦٨	محاسن النساء	٥٢	محاسن الولايات
١٧٤	محاسن التزويج	٥٣	محاسن الصعبة
١٧٩	أمثال في التزويج	٥٥	محاسن التطير
١٨٢	في الناصرة	٥٧	محاسن الوفاء
١٨٥	نساء الخلفاء	٦٢	محاسن السخاء
١٨٨	المطلقات	٨٠	محاسن الشجاعة

صفحة

عنوان

صفحة

عنوان

٢٧٣

محاسن الباء

١٩٣

محاسن وفاء النساء

٢٧٦

محاسن النيروز والمهرجان

٢٠٢

حديث الزباء

٢٨٠

محاسن الهدايا

٢٠٦

محاسن مكر النساء

٢٩٩

محاسن الجواردي

٢١٠

مساويء مكر النساء

٣٠٠

محاسن الموت

٢١٢

محاسن الغيرة

\*\*\*

٢٣٣

محاسن القيادة